لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com

طريق أوسلو

د. محمود عباس

طريق أوسلو

مُوَقِّع الإتفاق يروي الأسرار الحقيقية للمفاوضات

د. محمود عباس (أبو مازن)

طريق أسلو

الطبعة الأولى 1994
شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية 2011
بيلسان
رام الله - فلسطين

الفهرس

الفصل الأول: في الطائرة إلى واشنطن 05

الفصل الثاني: البدايات 17

الفصل الثالث: دور السويد 29

الفصل الرابع: قنوات خلفية مع الليكود 51

الفصل الخامس: إتصالات غير مباشرة مع حزب العمل 73

الفصل السادس: لوحة مدريد 115

الفصل السابع: الدور للنرويج 143

الفصل الثامن: قناة أوسلو 153

الفصل التاسع: الوثيقة 191

الفصل العاشر: اللحظات الحاسمة 227

الفصل الحادي عشر: هل حافظنا على أسرار أوسلو 239

الفصل الثاني عشر: غزة - أريحا من أين إلى أين؟ 255

الفصل الثالث عشر: المفاجأة 263

الفصل الرابع عشر: رؤية مستقبلية 279

قائمة الملاحق 289

الفصل الأول

في الطائرة إلى واشنطن

ملاحظات وذكريات

على طائرة جلالة الملك الحسن الثاني الخاصة، والتي وضعها تحت تصرف القيادة الفلسطينية، غادر وفدنا تونس يوم الأحد 1993/9/12 إلى واشنطن. ولمدة عشر ساعات ونصف، كنت أخلو في معظمها إلى نفسي لأراجع ما قمنا به على مدى ثلاثين عاما من النضال وحوالي نصف قرن من الضياع واللجوء خارج الوطن. هل هي رحلة العودة إلى الوطن؟ أم هي رحلة التوقيع عن التنازل عن جزء كبير من الوطن؟ لماذا أذهب للتوقيع على إتفاق لست جزءا منه؟ وقد لا يكون فيه بيت أو مقر إقامة؟ وهل ما سنقوم به سيفتح الباب أمام المستقبل أم يقل الطريق إليه؟ وهل فرطنا بحقوق الشعب أم حافظنا على هذه الحقوق؟

إن العبء ثقيل والمسؤولية جسيمة. وقد تكون الأخطار أكبر من المكاسب. ماذا ستكون ردود فعل شعبنا في الداخل والخارج؟ من يؤيد ومن يعارض؛ وماذا سيكتب عنا التاريخ؟

هل يمكن لرحلة العشر ساعات التي تفصل بين تونس وواشنطن أن تلخص رحلة التشريد التي إستمرت لقرن؟ وهل يمكن أن يغيب عن ذاكرتنا أولئك الذين سطروا بدمائهم منارات وأوسمة بارزة على تربة الوطن؟ وهل يمكن ونحن على أبواب إنجاز تاريخي أن ننسى الأجيال المتعاقبة وقوافل الشهداء. التي أسهمت بتحقيق هذا الإنجاز؟

قطار سار مائة عام وتوقف عند محطات هامة وعديدة، نزل منه ركاب وصعد إليه ركاب واستمر في طريقة منطلقا تارة ومتعثرا تارات، تتقاذفه الرياح وتعرقله الرمال والصحاري، لكنه يتابع مسيرته، وتتواصل رحلته.

سفينة تتقاذفها الأمواج في بحر لجي مظلم، تفقد بوصلتها حينا وتضيع دفتها عن الطريق أحيانا .. ولا أحد يدري متى تصل إلى شاطئ الأمان. ولا متى يكتب لركابها النزول إلى يابسة الإطمئنان.

أربع ثورات وخمس حروب، تفصلها عن بعض ثورات وحروب، لا إنقطاع ولا توقف ولا راحة واستراحة للمتحاربين. فلا أجدادنا عرفوا طعم الراحة والإستقرار ولا أحفادهم نعموا بحياة إنسانية. كلهم قاتلوا ويقاتلون من أجل الأمل الذي بدا سرابا ووهما، ولكنهم لم ييأسوا ولم يقنطوا ولم تفتر عزائمهم. جيل ينقل الراية لجيل، وجيل يحمل الأمانة عن جيل. فلم يفرطوا بالراية ولم يخونوا الأمانة.

وإذا قدر لنا أن نذكر بالخير كل الخير، مفتي فلسطين وأحمد حلمي عبد الباقي وأحمد الشقيري ويحيى حمودة، كرموز لشعبنا. فلا ننسى ولن ننسى شهداء الثورات وقادتها بدءا من عز الدين القسام والشيخ فرحان السعدي والشيخ حسن سلامة وعبد القادر الحسيني وعبد الرحيم محمود. ولشهداء ثورتنا المعاصرة حقوق علينا، لأن دمائهم هي التي مهدت الطريق وفتحت الأبواب وأحيت الآمال. أحمد الموسى أول الشهداء، وعبد الفتاح الحمود وأبوصبري وأبو علي إياد وكمال عدوان ومحمد النجار وكمال ناصر وغسان كنفاني وسعد صايل وماجد أبو شرار، وعشرات ألوف الكوادر والضباط والمقاتلين والأطفال والشيوخ والنساء.

وتنال يد الغدر أمير الشهداء أبا جهاد، وتطال يد الخيانة فارس الساحة ومجمع الصفوف أبا إيا، ورمز التضحية أبا الهول، والقافلة طويلة ونهر الدماء يجري في كل بيت وحي وقرية ومخيم ومدينة.

لعل أرواحهم جميعا ترتاح عندما ترى بعض الأمل يتحول إلى واقع وبعض الأحلام تتجسد حقيقة، والشعب يشعر بالإنتماء ويحمل الهوية، ويقول إياد لوالده كنت بلا هوية ومنحتني بدمك الهوية.

أسئلة كثير تزاحمت في ذهني ونحن في طريقنا إلى واشنطن، أتفرس الوجوه من حولي، وأستعرض الآخرين في المخيلة وأعود إلى نفسي، فأنا الذي

سيقف أمام العالم ليوقع الإتفاق ويتصدر المسؤولية. بينما يستطيع الجميع أن يعلنوا عدم مسؤوليتهم سواء منهم المحاضرون أو الغائبون.

لقد خلصت في النهاية إلى إستنتاج من نقطتين، أولاهما أنني أقوم بعمل تاريخي وبإنجاز عظيم لشعبنا، وثانيهما، خوفي من أن تدمر الممارسات الخاطئة والعقليات المتخلفة من كلا الطرفين كل هذا الإنجاز وهكذا إنتابني شعور متناقض، فبمقدار إهتمامي بالإنجاز، كان خوفي ورهبتي من التطبيق. وصلنا إلى قاعدة أندروز في واشنطن، ذلك المطار الخاص الذي يستقبل ضيوف الدولة والشخصيات الرسمية التي تصل إلى أمريكا.

واستقبلنا هناك إدوارد جرجيان ومديرة البروتوكول في وزارة الخارجية وسفراء الدول العربية، وعدد من الشخصيات الفلسطينية المعروفة. وانتقلنا فورا إلى الفندق حيث غرقنا بتفاصيل برنامج مرتب مسبقا لاستقبال أعداد هائلة من الشخصيات الأمريكية والعربية والفلسطينية. هناك إلتقينا لأول مرة مع الرئيس كارتر والرئيس بوش وغيرهما من الشخصيات التي تقاطرت للترحيب بالوفد الفلسطيني. لقد بدا لي كارتر وكأنه راهب أو قديس، وهو أقرب إلى هذا من أن يكون رئيسا لدولة عظمى، حيث ترتسم على وجهه إبتسامات غاية في البراءة والطهر تجعل من يلتقيه يحبه من اللحظة الأولى ويغدوا قريبا إلى القلب.

أما جورج بوش الذي تولى اللحظات الهامة والرئيسية في تاريخ الولايات المتحدة بل وتاريخ العالم، فقد ظهر وكأنه الفارس الذي حقق كل هذه الإنجازات وسلمها لغيره أو إضطر لأن يسلمها لغيره، بعد أن قبل بنتائج اللعبة الديمقراطية ورضي بها.

بين عشية وضحاها، تنتقل المنظمة وقيادتها من موقع الإرهاب -في نظر الإدارة الأمريكية- لتكون موضع إهتمام البيت الأبيض، وبشكل يتناسب مع الحدث الذي جاءت هذه القيادة من أجل إنجازه. إن هذا يذكرني بالمرحلة التي بدأت فيها أمريكا بالحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية بعد قرار المجلس الوطني وخطاب جنيف سنة 1988، اللذين بدأ معهما ما عرف بهجوم السلام الفلسطيني، ذلك الحوار الذي لم يستمر طويلا وتوقف بعدما أصبح

يدور في حلقة مفرغة. لكن الحوار الأهم، هو الذي كان يدور خارج إطار هذه اللقاءات الرسمية في الغرفة المغلقة، عنما كنت والسفير الأمريكي في تونس (بلليترو) ومساعده (هيل)، نبحث في عمق القضايا الجوهري للصراع العربي الإسرائيلي. وكان محور نقاشنا هدفا وضعناه نصب أعيننا، هو حوار فلسطيني- إسرائيلي يشكل مفتاح السلام.

وكان السفير الأمريكي مقتنعا بأن حزب العمل هو وحده القادر على البدء بهذا الحوار، بينما يبدي مخاوفه من تعنت الليكود وتسلمه السلطة في إسرائيل.

كنت أستعرض تلك الأيام وأنا أقف على منصة في البيت الأبيض على يسار وزير خارجية الولايات المتحدة وارن كريستوفر. ويقف على بعد خطوة واحدة بيل كلينتون رئيس الدولة الأمريكية. وقبل ذلك كنا نقف في إحدى قاعات البيت الأبيض بانتظار بدء الإحتفال، يجاملنا الرئيس مرة، وزوجته مرة أخرى، ونائبه غور مرة ثالثة. وزوجته مرة رابعة، والرئيس كارتر والرئيس بوش، ثم بعض كبار موظفي الخارجية، كذلك وزير خارجية النرويج ضيف الشرف المحتفى به، والرجل الذي أشرف ببراعة على مفاوضات أوسلو السرية.

ساعة ونصف وقفنا تحت الشمس المحرقة، حيث طغت حرارة الموقف على حرارتها، وشعرت وأنا أقف في ساحة البيت الأبيض والشمس الساطعة تلقي بأشعتها، إن شعبنا قد أخذ مكانه تحت الشمس، وبشهادة أولئك الذين كانوا ينكرون حقه في الوجود. كانت آلاف العيون ومئات الكاميرات وملايين الناس تراقب بلهفة هذه المشاهد، وتلك المنصة التي لا تزيد عن بضعة أمتار طولا ومثلها عرضا، والتي يكتب عليها تاريخ جديد للمنطقة وربما للعالم. وقد تبين لي أن المشاهدين المتابعين للإحتفال يحصون علينا كل حركة وسكنة، كأنهم يحاولون الدخول إلى أعماق قلوبنا وعقولنا ومسامات أجسامنا ليخمنوا أحاسيسنا وأفكارنا وهواجسنا، ويدرسوا خلجاتنا، ويجسوا نبضنا، ويعدوا دقات قلوبنا.

وبدون ترتيب بروتوكولي مسبق، وبعد أن إنتهيت من كلمتي، كان علي أن أصافح الرئيس كلينتون، ولكنني تابعت طريقي وصافحت رابين وكزيريف وبيريز، وقد لاقت هذه اللفتة ترحيبا من الحضور ومن المشاهدين. ورغم أن

المصافحة كانت مخالفة لما إتفق عليه بالبروتوكول، فقد شفع لي التصفيق الحاد من جمهور الحاضرين. وقد سألني الكثيرون عن عدد من الحركات واللفتات التي وقعت، مثل قولهم أن الرئيس كلينتون قدم لي الكرسي عندما جلست للتوقيع. ولكني لم ألحظ ذلك، ربما لأن الهواجس وحرارة الموقف صرفتنا عن ملاحظة أمور كثيرة.

قبل أيام قليلة لم يكن هناك مسؤول إسرائيلي يتجرأ على لقاء مع المنظمة، وقبل أشهر قليلة كان محرما على أي مواطن إسرائيلي أن يذكر منظمة التحرير وبالتالي أن يلتقي مع مسؤول فيها، وكثيرون إلتقيناهم سرا ورجونا أن نحفظ هذا السر، حتى لا يتعرض أي منهم للمحاكمة والسجن، وقد حفظنا لهم الأسرار.

كان محور أحاديثنا نقطة واحدة فقط، كيف نحقق السلام. كنا نعرف أن أولئك الذين يتكلمون معنا ليسوا في موقع القرار، ولكن كان أملنا أن ينقلوا ما يسمعونه منا لمن يمكن أن يستمع إليهم عنا. وكنا نعرف أيضا أن الطريق طويل للوصول إلى قلب الرأي العام الإسرائيلي لا يفهمنا ولا يريد أن يفهمنا ولا يريدون له أن يفهمنا. ومع ذلك فقد رأينا أن مثل هذه المحاولات مفيدة للغاية لأنها تقع في ظل حرب قائمة ومستمرة بيننا وبين الإسرائيليين، كما تحصل في ظل القانون الإسرائيلي الذي يحظر رسميا مثل هذه اللقاءات، فهي من وجهة نظري حقيقية ولكن باتجاه محاربة دعاة الحرب.

كان هاجس الإسرائيليين دائما، يتجسد في أسئلة محددة، ونعرف بأنها لم تكن أسئلة شخصية فحسب، بل هي أسئلة رسمية أيضا، لأن الأجهزة والمسؤولين هناك يريدون معرفة وجهة نظرنا الحقيقية فيها. ولم تقتصر هذه الأسئلة على الإسرائيليين وحدهم وإنما كانت تحملها أو تحمل بعضها شخصيات أمريكية أيضا مثل هارولد ساندورز وبيل كوانت[1] وواين ودان إبراهام وغيرهم. ومن هذه الأسئلة:

- هل نريد فعلا دولة فلسطينية مستقلة؟

1 اللقاء الذي جرى مع الأمريكان في 1989/2/15 في تونس وضم بالإضافة إلى هؤلاء هيرمونت وتوماس فريدمان، كارين دوايشة، وهاينا كوبان باسم معهد بروكينز.

- هل يمكن أن ترتبط الدولة باتحاد كونفدرالي مع الأردن؟
- هل ستكون لها علاقات مع السوفييت وإلى أي مدى؟
- هل سيكون لها جيش وما نوعية هذا الجيش؟
- كيف نرى التعايش والتعاون مع إسرائيل في حالة السلام؟
- ما هو نوع الحدود التي ستربط بين فلسطين وإسرائيل؟
- ما هي رؤيتنا لحل مشكلة اللاجئين؟
- كيف نرى مستقبل القدس؟

كنت أجيب على هذه الأسئلة بأننا نريد دولة مستقلة كباقي شعوب الأرض التي تبحث عن الإستقلال الوطني. ولكننا نرغب في إقامة إتحاد كونفدرالي مع الأردن. وإذا رغبت إسرائيل أن تنظم إلى هذا الإتحاد فنحن مستعدون للتفكير في ذلك جديا. أما بالنسبة للعلاقة مع السوفييت فنحن لسنا شيوعيين ولا أعتقد أننا سنبني دولة شيوعية وليس من مصلحتنا أن نكون قاعدة للشيوعيين في الشرق الأوسط.

وعندما كان محاورونا من الأمريكان والإسرائيليين يبدون تخوفهم. من وجود جيش لدى الدولة الفلسطينية. كنا نقول لهم بأن الجيش ليس غاية وإنما هو للدفاع. فإذا توفر الدفاع فستنتفي الحاجة إليه. وبالتالي هل لدى الأمريكان إمكانية لإرسال جيش أمريكي ليفصل بيننا وبين الإسرائيليين؟ أو هل يقبلون بقوات أممية تقوم بنفس المهمة؟

جميع من جاءوا إلينا كانوا يطالبون منا الإعتراف بالقرارين 242 ، 338. وكانوا يؤكدون بأن الإعتراف بهذين القرارين سيفتح الطريق إلى السلام. وأن الحكومة الإسرائيلية ستوافق حتما على الدخول في المفاوضات مع المنظمة.. والغريب أن أصعب نقطة كانت في كل مفاوضات واشنطن وأوسلو هي تطبيق القرارين 242 ، 338. حيث إن الوفود الإسرائيلية ظلت حتى اللحظات الأخيرة. وبخاصة في أوسلو تقدم المقترحات والمقترحات البديلة لتفادي كلمة (تطبيق) القرارين.

أما ما كان يحرج الإسرائيليين والأمريكان على حد سواء. فهو قولي بأننا نريد تعايشا كاملا وحدودا مفتوحة بين الطرفين. للعمل والإقامة والسكن وتبادل البضائع والسلع والأموال. وعندما يحاولون رفض هذه الفكرة. كنت أطرح

الفكرة البديلة وهي إقفال كامل للحدود، فيرفضونها أيضا .. فأطلب منهم أن يقترحوا علينا أية صيغة مناسبة للتعايش ونحن مستعدون لقبولها!!

كانت أعقد قضية يواجهها المعتدلون الإسرائيليون هي مشكلة اللاجئين، حيث كانوا يرفضون فكرة الحديث عن اللاجئين أو عن المرجعية الدولية لحل هذه المشكلة. وقد تعطلت مفاوضات بيننا وبين حزب راتس حول نقطة اللاجئين لأن المفاوض باسمهم (ديدي تسوكر) رفض بإصرار الإشارة إلى المرجعية الدولية الخاصة بهذه المشكلة. وذلك بعد عدة جولات من المفاوضات تمت بيننا وبينهم، آخرها كان بتاريخ 1989/1/31 في مدينة براغ بتشيكوسلوفاكيا (سابقا).

وبالنسبة للقدس فقد كان الجميع يتجنبون الحديث عنها، ويعتبرونها مشكلة معقدة ويقترحون تأجيل ذلك إلى حين، إلا أن الكثيرين يعتبرونها مشكلة معقدة ويقترحون تأجيل ذلك إلى حين، إلا أن الكثيرين يعتبرونها خطا أحمر لا يجوز الخوض فيه.

جميع هذه الصور كانت تتدافع في ذهني ونحن في طائرة ملك المغرب الخاصة متوجهين إلى واشنطن. وكأنني أريد أن ألخص مرحلة طويلة من النضال والعذاب في ساعة أو ساعات، قبل أن نصل إلى واشنطن لنضع بداية لحقبة جديدة من مسيرة طويلة لا نعرف متى تنتهي. ولم أكن أتوهم ان التوقيع الذي سنقوم به سينهي كل شيء، بل كنت على يقين أنه بداية لأشياء، بخاصة وأن الإتفاق لم يحسم قضايا كثير، ولم يوضح نقاطا كثيرة تحتاج إلى عمل شاق ودؤوب.

عدت بذاكرتي بعيدا إلى الوراء، عندما كرست وقتي لمتابعة تطورات المجتمع الإسرائيلي، وتحمست لإجراء لقاءات مع من يريد أو يرغب في اللقاء معي من الإسرائيليين، كنت يومها أتعرض إلى كثير من النقد من أقرب الناس إلى نفسي في حركة فتح، كما كنت أواجه السخرية في أحيان كثيرة.

وكانوا يتساءلون، هل يمكن أن تغير المجتمع الإسرائيلي بهؤلاء البسطاء الذين تقابلهم؟ وما هو أثر تلك الحفنة الصغيرة من أدنى شرائح مجتمع إسرائيل؟ في العام 1968، أطلق بعض القياديين في فتح شعار الدولة الديمقراطية

الفلسطينية، واستمر هذا الشعار ببريق خاص فترة طويلة من الزمن، حتى أجهضه الإعلام الإسرائيلي، وتعاملوا معه بخفة واضحة، إلا أنني وجدت فيه مادة هامة لتصور إمكانية تطبيقه، وهذا يتطلب في النهاية تعايشا مع المجتمع الإسرائيلي الذي نجهله، ومن هنا كانت نقطة البداية .. لا بد أن نصل إلى السلام، ولكن .. كيف نحققه؟؟ وتتدافع صور الذكريات.

بعد إنتهاء الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، تلك الدورة التي كرر فيها المجلس موقف المنظمة من اللقاءات مع القوى الديمقراطية والتقدمية الإسرائيلية، قام الشهيد أبو إياد بزيارة إلى المجر في 1983/3/11. وهناك تحدث مع المسؤولين في الدولة والحزب عن قرارات المجلس. وأسهب في شرح القرار الخاص باللقاء مع القوى اليهودية، الأمر الذي أعجب المجريين. فما كان منهم إلا أن أبلغوا أبا إياد بأن وفدا من (حركة السلام الآن) يقوم بزيارة لهم وإنها فرصة جيدة أن يرتبوا لقاءا بين الطرفين، إذا لم يكن لدى أبي إياد مانعا أو لدى الإسرائيليين مثل هذا المانع.

لقد فوجئ أبو إياد لأنه لم يلتق في السابق مع الإسرائيليين، ولم يهيء نفسه لمثل هذه اللقاءات التي ربما يرغب في التحدث عنها فقط، أكثر مما يرغب في إجرائها، ولكنه في تلك المناسبة لم يتسن له الرفض، وتم اللقاء الذي حضره من الطرف الإسرائيلي الصحافية المشهورة (حنا زيمر) وعدد من أركان حزب العمل، واستمر اللقاء أربع ساعات كاملة.

كلما راجعت في ذاكرتي ما جرى بين الطرفين في هذا اللقاء، أتذكر كل مراحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، لأنه يلخص ويختصر سبعين سنة. فقد بدأ عدائيا وتبادل الطرفان خلاله الإتهامات وتراشقا بالجمل النارية الفظة، وانتهى الأمر بهما إلى قناعة كاملة بضرورة إقامة سلام يحقق مصالح الشعبين وحقهما بتقرير المصير. لقد إتفقا على أن يبقى اللقاء سرا. إلا أن حنا زيمر نشرته كاملا في صحيفتها هآرتس ..

إلى توليدو (طليطلة) المدينة النموذج للتعايش الإسلامي اليهودي في العهد الأندلسي. إنطلق وفدان، فلسطيني وإسرائيلي.[2] والواقع أن الوفد الإسرائيلي

2 الإجتماع تم ما بين (3-1989/7/5).

لم يكن كله من الإسرائيليين بل كان كله من اليهود الشرقيين الحائزين على الجنسية الإسرائيلية أو أولئك الذين يعيشون في أماكن مختلفة من العالم مثل فرنسا وكندا والولايات المتحدة والمغرب.

خمس وأربعون شخصية توارثوا وتناقلوا ذكريات أسلافهم عن تعايش كان قبل خمسمائة سنة. من بين الإسرائيليين، كان فلسطينيون عرب يحملون الجنسية الإسرائيلية جاءوا ليستمعوا إلى مشاعر وعواطف أولئك اليهود وهم يتحدثون عن تجربة حياتهم الناجحة، في الوقت الذي فشلوا فيه أن يتعايشوا اليوم، بسبب إختلاف الظروف. ومن بين الفلسطينيين يهود يناضلون في صفوفهم من أجل إسترجاع ذلك التعايش القديم، لكن نظرة أبناء دينهم لهم لا تخلو من الغضب والمرارة بسبب هذا الوضع المعقد.

بدأ اللقاء بمفاوضات عسيرة حول بروتوكول اللقاء وترتيب جلوس الأعضاء، وترتيب الكلمات، ومن الذي سيبدأ بطرح السلام على الطرف الآخر، باعتبارنا نحن الطرفين قادمين من معسكرين متعاديين، لا صلح بينهما، ولا علاقات، بل حرب مشتعلة تسفك فيها الدماء.

ساعتان من أصل إثنتين وسبعين ساعة سادهما التوتر، توتر البداية. وباقي الساعات لم يعد أحد يستطيع التفريق بين أعضاء هذا الطرف أو ذاك.

تداخلت الوفود في أحاديث عن تجاربهم وذكرياتهم ومصاعبهم، ويحلو لليهود أن يعيدوا على مسامع الفلسطينيين ذكرياتهم أو ذكريات أهلهم في الوطن العربي ولم يتحرجوا من أن يجروا المقارنات والمفارقات، وانتهت السبعون ساعة ولم يكن أحد يريد أن تنتهي بل تمنى لو تمددت وطالت، ولكن لكل بداية نهاية.

لم يترك المجتمعون من اليهود هذه الفرصة تمر دون أن يعبروا بإرادة منفردة وبشكل معلن عن دعمهم وتأييدهم لحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة دولته المستقلة.

نعم .. لقد حصل تطور في المجتمع الإسرائيلي، ولا يعني هذا أن الإتصالات هي السبب، بل هناك أسباب كثيرة، أبرزها إستمرار نضال الشعب الفلسطيني

وانتفاضة أطفال الحجارة .. ولكن الإتصالات إستثمرت هذا النضال وتلك الإنتفاضة لتبلغ الإسرائيليين رسالة، بأن لا فائدة من العناد، ولا بد من أن نجلس على الطاولة .. وها هو صوتنا يأتيهم ليحكموا صوت العقل والمصلحة، ولينظروا إلى مستقبل أطفالهم.

وبعد سنوات تحولت الحفنة البسيطة إلى مجموعات من صانعي القرار والمسؤولين في المؤسسة التشريعية «الكنيست» ومن مختلف الإتجاهات والأحزاب وبخاصة حزب العمل، الذي يشارك في إدارة السلطة والدولة. ففي يوم 1991/9/22 تلقت وكالة الأنباء الفرنسية نداء موقعا من أربعة وعشرين عضوا من أعضاء الكنيست ينتمون إلى حزب العمل، راتس، مابام، شينوي، موجها إلى المجلس الوطني الفلسطيني يطالب أعضاءه بتليين مواقفهم والموافقة على عقد مؤتمر السلام مذكرين الزعامة الفلسطينية بأنه فقط في إطار السلام مع إسرائيل سوف تحل المشاكل الفلسطينية الوطنية، وفي إطاره فقط ستحقق إسرائيل أمنها مع الشعوب العربية. ومن الذين وقعوا على هذا البيان عيزرا وايزمان (رئيس الدولة الآن)، والوزراء الحاليون حاييم رامون، يوسي سريد، أمنون روبنشتاين، شولاميت ألوني، وكذلك يوسي بيلين نائب وزير الخارجية (حاليا)، وهو أحد الذين حملوا مسؤولية بدء المفاوضات في أوسلو ومتابعتها حتى النهاية.

كثيرا ما جمعتني وكالات الأنباء والصحافة بعيزرا وايزمان الذي عبر في أكثر من مناسبة عن إستعداده للقاء أحد المسؤولين في المنظمة. إلا أنه لم يتمكن من فعل ذلك، لأنه كان يتعرض إلى ضغوط شديدة من قيادة حزب العمل. وعندما إلتقى نبيل رملاوي في جنيف، كاد أن يفقد حقيبته الوزارية بسبب حملة شامير عليه. ومع ذلك فقد كانت هناك إتصالات غير مباشرة معه، حيث أعرب في مناسبة ما عن رغبته بزيارة الإتحاد السوفييتي، وكان الإتحاد السوفييتي محرجا من دعوته لأن العلاقات الدبلوماسية مقطوعة بين البلدين، بالإضافة إلى خشية السوفييت من إنتقاد الدول العربية. وفي وزارة الخارجية السوفييتية سئلت عن هذا الموضوع، فرحبت بدعوته ترحيبا أدهش السوفييت وحيرهم، ولكنني أوضحت لهم الأمر، بأن هذا الرجل يعتبر من حمائم الحزب ولا مانع من مساعدته واستقباله، لأن اللقاء معه مفيد .. وبالفعل فبعد أن تم اللقاء به، جرى بالمقابل إعتراف رسمي سوفييتي بدولة

فلسطين، وبمكتب المنظمة على أنه سفارة لدولة فلسطين، والغريب أنه في إسرائيل كان هناك من يتهم وايزمان بأنه هو الذي طالب السوفييت برفع مستوى تمثيل المنظمة.

بعد ساعات من التوقيع على الإتفاق في واشنطن، عقد لقاء مع شمعون بيريز في مقر إقامته. لم يحصل أن طلبت مثل هذا اللقاء، ولكن مدير مكتبه تلقى مكالمة من وفدنا لبحث مسألة تعديل إسم طرفي التوقيع على الإتفاق، فظن هذا أنني أريد لقاء بيريز، وعلى الرغم من أنها صدفة، إلا أنني لم يكن لدي ما يمنع أن ألتقي بيريز بعد أن وقعت معه الإتفاق. كما لم يكن لدي مانع أن نلتقي قبل ذلك، خصوصا وأن وسائل الإعلام جمعتني معه أكثر من مرة. وكان في كل مرة لا يحاول نفي تلك الأخبار.

لكننا اليوم وبعد التوقيع نلتقي علنا وأمام وسائل الإعلام ولمدة أربعين دقيقة، حضر معنا وفده الذي أدار المفاوضات في أوسلو، ووفدنا الذي كان هناك أيضا، بالإضافة إلى ياسر عبد ربه. لاحظنا (بيريز - وأنا) أن وفدينا يتحدثان بلغة حميمة تدل على أن علاقة نشأت بين الطرفين وذكريات مشتركة كثيرة تجمعهم. فالتفت بيريز إلي قائلا: يبدو أننا (أنت وأنا) فقط الغرباء في هذه الجلسة. حاول بيريز أن يكون موضوعيا وواقعيا في حديثه حول المستقبل، حيث أبدى رغبة في تطوير وضع الأراضي المحتلة من الناحية الإقتصادية مشيرا إلى زيارته الأخيرة إلى أوروبا، وأنه طالب الأوروبيين بوضع برنامج إقتصادي للنهوض بهذه المناطق. حاولت أن أدرس هذه الشخصية التي عرفتها من خلال الصحافة ومن خلال الرسل ومن خلال مفاوضات أوسلو ومن خلال عشرات التقارير الخاصة التي إطلعت عليها، لأقارن بين الصورة التي رسمتها له في ذهني وصورته الحقيقية التي أراها أمامي.

لم تختلف الصورة الحقيقية عن الصورة المرسومة في الخيال. فقد لاحظت أنه رجل دبلوماسي وله رؤية سياسية واضحة للمستقبل ورغبة في التوصل إلى سلام يكرس وجهة نظره. وقد ظهر لي من ملاحظة عابرة أنه لا يلتقي مع رابين في قضايا كثير، فعندما أبدى أحد أعضاء وفدنا إمتعاضه من كلمة رابين التي ألقاها، أعطى إشارة بيده وكأنه يريد أن يقول لا تهتموا كثيرا ولكنه إتبع بالقول: تعرفون أنه قادم وأربعة من جنوده قد قتلوا اليوم ولذلك

نرجو أن تقدروا الظرف ثم قال بيريز: نحن يمكن أن نجادل حول كلمة لمدة سنة .. ولكننا إذا وافقنا عليها فثقوا تماما بأننا نلتزم بها بالكامل.

شارك في اللقاء يوسي بيلين نائب بيريز، حيث تبادلنا الحديث ولكن بصورة مختلفة وأسقطنا منذ اللحظة الأولى كل التحفظات وانطلقنا بالحديث دون بروتوكول، لم يلفت نظري غير ذلك، إلا أنه يبدو كشاب في العشرينات مع أنه في حدود الأربعينات، ولكنه ذو وجود وحضور في إطار حزب العمل. وكان من القلة التي حافظت على حسن العلاقة مع بيريز ولم تنحز لرابين كما فعل الكثيرون. وقد حاولت أن أدرس بسرعة شخصية زنغر الذي كان في أوسلو صقرا كبيرا وقد تبين لي أنه يشكو من صقرية أبي علاء، حيث سألني ضاحكا: أرجو أن تعيرونا أبا علاء إذا دخلنا في مفاوضات صعبة مع أي طرف.

في واشنطن، إمتدت عصا سحرية إلى كل مناحي الحياة فبدلتها وغيرتها في لحظات من الأقصى إلى الأقصى. الإستقبال الرسمي وغير الرسمي من مختلف الشخصيات الأمريكية التي تقاطرت للقاء، وسائل الإعلام التي تشيد بمنظمة التحرير ومواقفها البناءة وجهودها العظيمة في الوصول إلى السلام، ولم تتوقف آثار العصا السحرية عند هؤلاء بل تجاوزتهم جميعا إلى الجالية اليهودية والعربية اللتين كانتا إلى ذلك اليوم 1993/9/13 متعاديتين، وإذا بهما تحضران الإستقبالات المشتركة وتتبادلان التهاني والتمنيات وتمسحان عقودا طويلة من الخصام.

وبين فترة التوقيع والمغادرة، كنا نقابل من كل الناس، كبارا وصغارا، بالترحاب والإبتسام والمطالبة بالتوقيع على الأوتوغرافات. حتى ظننا أنفسنا من نجوم السينما، لأن الأمريكان يعتبرون أن توقيع الإتفاق حدث تاريخي، وبالتالي يبحثون عن الذين وقفوا على المنصة ليحصلوا على توقيعاتهم. غادرنا واشنطن وقد بدأت تتلاشى فرحة الإتفاق، لتحل محلها هموم المستقبل ومسؤولياته.

الفصل الثاني

البدايات

بعد مخاض عسير، وبعد إنتظار طويل عاشته الساحة الفلسطينية في مختلف بقاع الشتات وأرض الوطن، إنبثقت منظمة التحرير الفلسطينية في العام 1964، تلبية لنداءات ورغبات جامحة ومكبوتة لمستها أنظمة العرب وأحست بها كمن يحس بالجمر المتأجج تحت الرماد.

كانت منظمة التحرير وليدة الأنظمة العربية، ولم تكن تلك الحاجة التي تلبي رغبات الجماهير، لقناعة هذه الجماهير، إن ما تمخضت عنه الأنظمة لا بد أن يكون على شاكلتها يحمل في بطنه جينات عجزها، ويرث عنها كل مواصفاتها وكل أسباب وهنها. ومع ذلك فقد رأى فيها الفلسطينيون عنوانهم الذي إفتقدوه منذ النكبة، ويافطة يصطفون تحتها بعد أن تعددت اليافطات واختلفت وتناقضت، ووطنا معنويا بعد أن عز وطن الواقع.

وفي العام نفسه كانت حركة فتح قد إستكملت إستعدادها لتطلق ثورة عسكرية داخل الأرض المحتلة، ومن دون تخطيط أو إتفاق مسبق، فقد شكل هذان الجسمان تكاملا للعملية النضالية الفلسطينية، ففي الوقت الذي تقوم فيه منظمة التحرير بدور رسمي علني في محاولة لتثبيت الشعب الفلسطيني على الخارطة السياسية الدولية، تقوم حركة فتح بالتعبير الشعبي عن رغبات هذا الشعب في تحرير الوطن والعودة إليه، بنفس الأسلوب الذي إحتل فيه الوطن وغادره أبناؤه.

وبعد مضي أربع سنوات على إقامة المنظمة وانطلاقة الثورة، ثبت أن الثورة أقدر على التعبير عن رغبات الشعب، والتحدث باسمه، لأن المنظمة بقيت أسيرة مواقف الأنظمة، محكومة بسقف لا تملك تجاوزه أما الثورة فقد خاضت أشكالا مختلفة من النضال العسكري وغير العسكري لقدرتها على الإنفلات من عقال رسميات الأنظمة والتزاماتها. وإذا كانت الثورة تتمتع بقدر من الحرية في العمل العسكري، فهي قادرة أيضا على إطلاق المبادرات السياسية التي تراها ضرورية لاستمرار نضالها، أو تجدها مفيدة

لمتابعة نشاطها مستخلصة تلك المبادرات من تجاربها، ومن الواقع الذي لامسته وعانته.

وهذا ما كان يدعونا بين الفترة والأخرى إلى وقفة، تقييم لما مضى، واستنتاج لما سيأتي، لأن مثل هذه الوقفة تعطي للنضال مضمونا حيويا يجعله قابلا للإستمرار. وهي مسألة ضرورية حتى يحصن المناضل من حين إلى آخر بنفحة أمل تجعله قادرا على العمل ما دام يشعر أن الهدف بات قريبا، بخاصة وأن المسألة الفلسطينية معقدة إلى درجة تجعل تحقيق الأمل النهائي الذي قامت الثورة والمنظمة من أجله يكاد يكون بعيدا، بل بعيدا جدا، الأمر الذي يلف المناضلين بغمامة سوداء من اليأس والقنوط.

لقد راجت في صفوف بعض القادة[3] الفلسطينيين فكرة تدعو إلى إقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية التي يعيش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون على قدم المساواة في الحقوق والواجبات .. ومن هنا كانت البداية، بداية المبادرات السياسية التي تطلقها الثورة الفلسطينية والتي تدعو إلى حلول سياسية للقضية الفلسطينية إنطلاقا من الواقع القائم، وتأسيسا على الظروف الدولية الراهنة، وانسجاما مع مجمل الأوضاع العربية.

وبمقدار ما عبرت هذه الفكرة في حينه عن تنازل هائل من قبل الشعب الفلسطيني حيث يقر بحق شرعي لليهود ويقنن وجودهم في فلسطين، بمقدار ما كانت نابعة أساسا من الإحساس بالعجز العربي، وعدم مقدرة الفلسطينيين على العمل منفردين لتحرير وطنهم، إلا أنها رؤية إستراتيجية صادقة وجريئة، إذا أخذنا بالإعتبار موازين القوى العالمية وقدرات المنطقة العربية، وإمكانات إسرائيل الهائلة.

لقد إحتلت إسرائيل جزءا من أرضنا، وشردت جزءا من شعبنا في عام 1948، ثم عادت واحتلت الجزء الباقي من هذه الأرض وشردت جزءا آخر، وأبقت تحت إحتلالها الجزء الأخير، وأصبح كل الشعب بين مشرد ومحتل، وإضافة إلى ذلك إحتلت جزءا من جولان سورية وسيناء من أرض مصر. وكان بإمكانها

3 أول من أطلق هذه الفكرة الدكتور نبيل شعث. (وترأس فيما بعد الوفد الفلسطيني المفاوض في واشنطن وطاباه) والذي أصبح في الثمانينات عضوا في اللجنة المركزية لحركة فتح.

أن تواصل إحتلالاتها إلى حيث تتوقف جنازير دباباتها ويصل جنودها، وتبني السور والبرج، لتقطع دابر كل من يحاول أن يعكر صفو مستوطنيها الجدد القادمين لملئ الشاغر، واحتلال الأرض والبيت الذي خلا من سكانه.

وكل ما عرفناه عن إسرائيل هو مظاهر قوتها، وآثار جبروتها، رأينا طيرانها المرعب يملك أجوائها و أجوائنا، ورأينا دباباتها تسرح وتمرح فوق أرضنا دون وازع أو رادع .. ولم نعرف، ولم يقدر لنا أن نعرف، ولم يسمح لنا أن نعرف أكثر من هذا .. كان الشعار المقدس الذي يكتب على الجدران ويملأ الصفحات والكتب والمجلات (إعرف عدوك) شعار يمكن أن يقرأ فقط ولا يمكن أن يطبق أو يسمح بتطبيقه. وهكذا عاشت الجماهير العربية مرحلة جهل وتجهيل بهذا العدو الذي نخافه ونخشاه حينا إلى درجة الرعب، ونستهين ونستخف به إلى درجة الرعب، ونستهين ونستخف به إلى درجة اللامبالاة أحيانا أخرى.

كان أمرا مستهجنا أن يضبط إنسان فلسطيني أو عربي يتابع أخبار المجتمع الإسرائيلي، أو يقرأ كتابا عن إسرائيل، ليتعرف على أسرار هذا المجتمع وخباياه، ويتعرف إلى تركيبته، ليكتشف مكامن ضعفه وأسباب قوته، ويفهم حقيقته وأسلوب حياته.

إن أول مبادئ العسكرية الناجحة، تفرض على قائد قبل أن يبدأ هجومه على أعدائه، أن يقوم بعملية إستطلاع لتقدير قوته وتحديد أنواع أسلحته وعدد جنوده وأماكن تمركزه، وشؤونه الإدارية، وطرق إمداداته وغير ذلك من التفصيلات الصغيرة، التي تجعله قادرا على تقدير الموقف، واستنباط النتائج المتوقعة ومدى قدرته على تحقيق الإنتصار.

وبالمفهوم السياسي فإن الدول التي ترسل مبعوثيها وجواسيسها ورجال مخابراتها إلى الدول الغريبة لتطلع عن كثب على طبيعة الناس وتركيبة المجتمع، ومظاهر قوته ونقاط ضعفه، وتناقضاته وعيوبه، ثم ثم تثقف جماهيرها بكل ما يساعدها على رفع معنوياته، بتقديم المعلومات اللازمة عن هذا العدو، بما يضمن لها في النهاية أن تضعه تحت المجهر لتتصرف على ضوء ذلك.

أما بالنسبة لنا في العالم العربي فقد كانت مجرد المعرفة مجالا للإتهام والتشكيك في وطنية من يحاول ذلك، أو يسعى إلى هذه المعرفة. وقد كنا نظن أن المعرفة والمعلومات مقتصرة على الحكام والمسؤولين ورجال الأمن والمخابرات، وموظفي وزارة الخارجية وأعضاء السلك الدبلوماسي، ولدهشتنا ودهشة غيرنا نكتشف فيما بعد أنهم على غير علم بأمور الدولة التي يقفون قبالتها وأيديهم على الزناد، ودخلوا معها حروبا أربعة.

في بداية عام 1970 وقد توليت مهمة التعبئة والتنظيم في حركة فتح، لم أجد ما أعبئ به كوادر الحركة إلا بضعة من التجارب الثورية التي سبقتنا مثل تجربة فيتنام والصين والجزائر وكتب غيفارا. أما التجربة الصهيونية منذ هيرتزل إلى إقامة الدولة، ومنذ إقامة الدولة إلى يومنا ذاك، فلم نكن نعرف أكثر من عناوين بسيطة وبدون أية معلومات.

وفي أحد الأيام قرأت خبرا في صحيفة محلية، يفيد بأن يهود البلاد العربية أصبحوا يشكلون أكثر من نصف سكان إسرائيل. وأثار هذا الخبر فضولي وتساؤلاتي .. كيف زودت الدول العربية إسرائيل بنصف سكانها؟؟ وكيف يعيشون فيها؟ وما هي علاقاتهم مع اليهود الغربيين؟؟ وعدد من الأسئلة التي لم أجد جوابا عليها، وكان لا بد من بدء مرحلة جديدة من القراءة والإطلاع للبحث عن مكنونات إسرائيل وخباياها.

ومنذ عام 1970 حتى عام 1977 نشرت كتابين عن الهجرة اليهودية من البلاد العربية والدول الغربية، وعلاقات إسرائيل بأمريكا، وأنصار السلام داخل هذا المجتمع وغير ذلك من المعلومات الأولية، التي تفيد في تكوين فكرة أولية عن إسرائيل.

وفي هذه الفترة رفعت شعارين، الأول مطالبة الدول العربية بالسعي لإعادة اليهود الذين هاجروا أو هجروا منها. وقد لبت كل من مصر والعراق وليبيا وتونس والمغرب واليمن هذه الدعوة وأصدرت كل منها بيانا أو قرارا يسمح لليهود بالعودة إلى بلادهم. والثاني، العمل على الإتصال بالقوى الإسرائيلية لإجراء حوار معها للوصول إلى السلام. وقد صادف الشعار الأول معارضة من بعض السياسيين والمثقفين الفلسطينيين، بينما ووجه الثاني بهجوم عنيف من مختلف الأوساط الفلسطينية والعربية الرسمية منها والشعبية.

ومن الذين إقتنعوا بهذه الفكرة ودفعوا حياتهم ثمنا لها الشهيد سعيد حمامي مندوب فلسطين في إنكلترا، والشهيد عز الدين القلق مندوب فلسطين في فرنسان، والشهيد نعيم خضر مندوب فلسطين في بلجيكا، والشهيد عصام سرطاوي الذي كان مكلفا من قبلي بالإتصال بالقوى الإسرائيلية الداعية للسلام.

عقدت دورة المجلس الوطني الثالثة عشرة في الفترة مابين 12-1977/3/22 وقد سبق هذه الدورة لقاءات، أجراها الشهيد عصام سرطاوي مع عدد من الإسرائيليين. وقد شنت جميع الفصائل دون إستثناء علي السرطاوي هجوما لا يحتمل. وقد تولى المساهمة في هذا الهجوم عدد من قيادات وكوادر حركة فتح التي ينتمي السرطاوي لها.

وقبل أن ينهي رئيس المجلس الحوار ويقفل باب النقاش في هذا الموضوع، طلبت الكلمة لأرد على كل المتحدثين في هذا الموضوع. وقد إكتشفت أنهم على غير علم بالموضوع الذين يتحدثون عنه، ولا يعرفون من إسرائيل إلا إسمها، ولا يفهمون عنها إلا أنا العدو، الذي لا بد أن نستمر في حربه. ولذلك عملت على أن أستغل نقطة الضعف هذه، وأن أتسلل من هذه الثغرة لأعرض أسلوب التعامل مع الأعداء، وطرق الوصول إلى الهدف، غير مقلل لأهمية البندقية، التي هي إحدى وسائلنا للوصول إلى غايتنا. وساعدتني قراءة سبع سنوات وتأليف كتابين، على الخوض في مواضيع لم يسمعوا عنها من قبل، وأن أقف بينهم بكل ثقة متحدثا مرتجلا حديثا دام خمسا وأربعين دقيقة، طارحا كل الأفكار التي رغبت في نقلها إليهم بأسلوب منظم ومسلسل، وقرأت في عيونهم وصمتهم المطبق ما يفيد بأنهم يستمعون لأول مرة إلى نوع من الكلام لم يسمعوه من قبل.

وعندما أدافع عن السرطاوي فإنما أدافع عن أفكاري التي رحت أبثها في كل مكان، وإذا كان هناك من توجه له الإتهامات، فيجب أن توجه لي أولا، لأن السرطاوي لم يقم بما قام به من تلقاء نفسه، وإنما بتعليمات مباشرة مني، والرجولة تتطلب من القائد أن يتحمل مسؤوليته، لا أن يعطي التعليمات ويتخلى عمن نفذها، إذا لم تجد هذه التعليمات صدى طيبا لدى الناس، وأشير هنا إلى أنا القرار بهذه الإتصالات لم يكن قرارا فرديا مني، وإنما باطلاع

وموافقة عدد من أعضاء قيادة فتح، الذين بدأت تروق لهم مثل هذه الأفكار، إلا أنهم كانوا غير مستعدين للدفاع عنها، لأن هذا الدفاع يتطلب ذخيرة من القراءة والمعلومات والإطلاع التي لم تتوفر لهم، وإن توفرت فلم يجدوا الرغبة في متابعتها، لأن الموضوع برمته لم يكن في ذلك الحين قد وصل من وجهة نظرهم إلى الجدية التي يستحق معها أن يتابع ..

وبعد ثمان وأربعين ساعة، إتخذ المجلس قرارا إيجابيا يشير إلى أهمية العلاقة والتنسيق مع القوى اليهودية الديمقراطية، والتقدمية المناضلة داخل الوطن المحتل وخارجه، ضد الصهيونية كعقيدة وممارسة. وتأكد نفس القرار في الدورة الخامسة عشرة (9-1981/4/11) والسادسة عشرة (14-1982/22) والدورة الثامنة عشرة (20-1981/4/25) والدورة التاسعة عشرة (12-1988/11/15) ومؤتمر حركة فتح الخامس 1989/8/3.

وهكذا أصبحت الإتصالات ذات طابع شرعي محمي بالقرار الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني، ومع ذلك فقد بقي معظم من في الساحة الفلسطينية لا يؤمنون أو لا يقبلون الممارسة من الناحية النفسية، وذلك نتيجة للتربية الطويلة التي تربى على أساسها أجيال من الشعب الفلسطيني، تربية ترفض مجرد ذكر اليهود أو الإسرائيليين. وفي كثير من الأحيان كان البعض يطبق هذا الحضر على العرب الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية. ففي أحد مهرجانات الشبيبة العالمية، في إحدى الدول الشرقية (الشيوعية سابقا) حضر من إسرائيل الشاعر الكبير محمود درويش الذي كنا نتغنى بشعره ونردده في كل مكان شعبي أو رسمي. وفي نفس المهرجان حضر شخص فلسطيني ينتمي إلى حزب البعث السوري وهو فيصل الحوراني، والغريب أنه عندما علمت قيادة حزب البعث أن حوراني ألقى السلام على درويش فصل من الحزب لأنه وضع يده بيد «إسرائيل».

أقول ... بقيت هذه العقلية تسيطر على الكثيرين على الرغم من صدور القرار، وكانوا يصدرون بيانات الإستنكار والتنديد كلما وقع لقاء فلسطيني مع هذه القوى التي صنفها المجلس الوطني. وكما أشرت فقد دفع العديد أرواحهم ثمنا لمثل هذا الجهد الذي كان ولا زال يبذل على صعيد التفهم والتفاهم بين القوى المحبة للسلام في إسرائيل وبين منظمة التحرير الفلسطينية.

وكان محور تحركنا ذا إتجاهين، الأول مع كل القوى اليهودية التي تناصر السلام والتي أطلقت على نفسها «حركة السلام الآن» وهذه القوى متعددة الأفكار، متفاوتة الفهم لعملية السلام، لديها تناقضات كثيرة واختلافات أكثر، ولكن تجمعها كلمة السلام بمفهومها العريض الواسع دون أن تجد تحديدا أو تعريفا موحدا لمعنى هذه الكلمة؟

والإتجاه الثاني كان نحو اليهود الشرقيين المتحدرين من أصل أندلسي والذين عاشوا أساسا في البلاد العربية وتركيا وبلغاريا.

وهؤلاء يختلفون عن الأشكناز من حيث العادات والتقاليد والمعتقد وهم يشكلون ثلثي سكان إسرائيل. وقد جاءوا إليها، في ظروف يحيطها الغموض والمؤامرات والدسائس وعمليات القتل والإغتيال. وعاشوا ولا زال بعضهم وهو كثير، يعيش في أسفل السلام الإجتماعي، بسبب الظروف العامة التي ألقت بهم في هذا الموقع، وربما بسبب التخطيط الخاطئ لمستقبلهم الذي رسمه لهم من سبقهم من المستوطنين الإسرائيليين، الذين كانوا في غالبيتهم العظمى من الأشكناز. وقد أدى هذا وغيره من الأسباب لأن تبرز ظاهرة مستهجنة، وهي أن اليهود الشرقيين أكثر قسوة تجاه العرب وأعنف، بالإضافة إلى ميلهم نحو التطرف والمتطرفين، مدفوعين بالفكر الأشكنازي السائد الذين كان يدعوهم لإثبات أنهم إسرائيليين أكثر من غيرهم، فأخذوا جانب حركة حيروت التي كانت عام 1977 تقود المعارضة الإسرائيلية ضد العمل وحلفائه. ولما تبوأ الليكود المشكل من حيروت وحلفائها أو أنصارها السلطة في إسرائيل، ظن اليهود الشرقيون أنهم قد وصلوا إلى تحقيق أحلامهم وأهدافهم التي منعها عنهم حزب العمل ثلاثين عاما.

بعد عام 1977، عقدنا عشرات اللقاءاتوحضرنا عشرات المؤتمرات التي تضم إسرائيليين من مختلف الإتجاهات، سواء من حركة السلام الآن أو من اليهود الشرقيين الذين كنا نحاول أن نجعل منهم جسر سلام بين الفلسطينيين وإسرائيل، ولم نخدع بالمعلومات التي تحاول وضعهم موضع العداء للعرب والفلسطينيين وإن كنا نعرف أنهم أنصار اليمين المتطرف. وقد لمسنا من اللقاءات والإجتماعات التي عقدت معهم أنهم مستعدون في حدود طاقاتهم ونفوذهم -وهي محدودة جدا- أن يقوموا بدور الجسر بين الفلسطينيين

والإسرائيليين وبين العرب واليهود. لكن الإعلام المضلل والدعايات التي يبثها اليمين الإسرائيلي، كثيرا ما كانت تحول دون البناء على اللقاءات والإجتماعات التي تحصل، خاصة بعد صدور قرار 6 أغسطس/ آب 1986 عن الكنيست، والذي يحرم اللقاءات مع منظمة التحرير تحت طائلة عقوبة السجن.

من المستحيل على الإسرائيليين أن يعيشوا في منطقة الشرق الأوسط دون أن يتعرفوا على جيرانهم سكان هذه المنطقة. ومن المستحيل أن تبقى إسرائيل دولة غريبة في قلب الوطن العربي، ولا أعتقد أن من مصلحة الإسرائيليين أن يكرروا مقولة أرينز وزير الدفاع الليكودي السابق، الذي نشأ إلى أمريكا وجاء إلى إسرائيل ليلتحق بالليكود وهو يفتخر بالقول: إنني أعرف عن الأعشاب في ألاسكا أكثر مما أعرف عن العرب.

كان الإسرائيليون يشكون للعالم بأن الفلسطينيين بشكل خاص والعرب بشكل عام لا يقبلون أيديهم الممدودة للسلام، لأنهم يريدون أن يدمروهم وأن يلقوا اليهود بالبحر .. في الوقت الذي لا يفتأ الإسرائيليون يعلنون قبولهم بالشرعية الدولية كأساس للحل السياسي، قناعة منهم بأن العرب غير مستعدين لذلك، ولهذا فقد كانت مبادرتنا والتي بدأت بشكل رسمي وشرعي وواقعي منذ عام 1977 محرجة للإسرائيليين، الأمر الذي جعلهم يخترعون سببا لعدم الرد علينا، وهو أنهم لا يمكن أن يتحدثوا مع إرهابيين ومخربين وقتلة.

لم يمنع قرار الكنيست أفرادا من المجتمع الإسرائيلي من العمل على محاولة تجاوز هذا القرار، وهم يعرفون سلفا أنهم معرضون إلى عقوبة السجن في سبيل رسالة سامية هي رسالة السلام. ولا بد أن نذكر هنا «أبي ناتان» صاحب إذاعة السلام التي بدأت بثها في أوقات مبكرة منذ الستينات واستمر دون كلل يحمل لواء السلام ويدعو له. وأبي ناتان هذا يهودي من أصل إيراني، كان ضابطا طيارا في عام 1948، وقد كلف بقصف بعض قرى الجليل، وعندما أنهى مهمته، عاد رؤساؤه وطلبوا منه أن يكرر العملية في اليوم التالي، وفي ذلك اليوم شاهد من طائرته منظرا لم يستطع أن ينساه، منظر النساء والأطفال والشيوخ الذين هاموا على وجوههم في الجبال والوديان، مسلوبي الإرادة والوجدان والوطن وفي حالة لا يمكن أن

يقبلها العقل البشري، ولما رأى ناتان ما رأى إتجه بطائرته إلى خليج عكا وألقى بحمولتها في البحر وقفل عائدا إلى قاعدته وقدم إستقالته من الطيران.

ومنذ ذلك الوقت كرس حياته للسلام، فأنشأ إذاعة في عرض البحر المتوسط وبدأ منها يدعو إلى السلام. وفي يوم من الأيام ذهب بباخرة إذاعته إلى مدينة بور سعيد ليتحدث مع المصريين في عهد المرحوم عبد الناصر عن السلام، إلا أن السلطات المصرية إعتقلته وأعادته من حيث أتى، ولكن هذا الحادث لم يثنه عن عزمه في مواصلة دعوته.

وبعد صدور قرار الكنيست لم يتوقف «أبي ناتان» عن الإتصال معنا، متحديا هذا القرار، ساعيا إلى العقوبة بأقدامه، إلا أنه كان يتصور أنه في حال محاكمته وسجنه فإنه سيحرك الشارع الإسرائيلي وسيتفز العناصر الكامنة لدى الجماهير. وقد سجن مرتين -كل مرة سنة سجن عقوبة- إلا أن السجن لم يغير قناعاته بل زاده إصرارا على المضي نحو هدفه. والغريب أن هذا الرجل وهو من الأثرياء جدا لا يغير لباسه الأسود الذي تعود عليه منذ سنوات طويلة وحجته في ذلك قوله: لن أخلع السواد حتى أرى نهاية الإحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة.

ولا بد أن نذكر شخصية أخرى هامة لعبت دورا كبيرا في الدعوة للسلام، وهو الجنرال متيتياهو بيليد. الرجل ذو الملامح الروسية والذي لعب دورا هاما في حرب حزيران/ يونيو 1967. وبعدها إستقال من الجيش ليدرس اللغة العربية، ويصبح أستاذا لها في جامعة تل أبيب.

إلتقى بيليد كلا من يوري أفنيري، وأرييه الياف وآخرين، حيث فتح هؤلاء قناة مع المنظمة عن طريق الشهيد عصام سرطاوي، واستمرت إتصالاتهم ولقاءاتهم معنا إلى فترة طويلة. وقد تمكن بيليد من دخول الكنيست باسم القائمة التقدمية التي تضمه مع محمد ميعاري. وبعد أن فشل في الإنتخابات الثانية عشرة في العودة إلى الكنيست، راح يلقي المحاضرات في الولايات المتحدة عن السلام وضرورته في منطقة الشرق الأوسط.

وعلى الرغم من حجم الإحباطات التي أصابت هذا الرجل من حلفائه العرب في إسرائيل، لم يفت هذا من عضده أو يضعف عزيمته في إستمرار دعوته للسلام. إننا لا نملك إلا أن نذكر هذا الرجل وغيره بكل الإحترام والتقدير. وعندما يستقر السلام في المنطقة لا بد لأحباء السلام في إسرائيل وفي دولة فلسطين أن يذكروا هؤلاء ويخلدوهم.

وكما أشرت سابقا إلى أن لقاءات حدثت مع حركة السلام الآن، وأخرى مع اليهود الشرقيين كفئة يمكن أن تكون جسرا بين العرب والإسرائيليين وقد عقدنا مع هؤلاء ثلاثة إجتماعات كبيرة، الأول في رمانيا 1986/11/6، والثاني في هنغاريا 1987/6/12، والثالث وهو الأهم في توليدو بأسبانيا 1989/7/5. لقد قام بترتيب هذا اللقاء السيدة سيمون بيتون وهي يهودية مغربية عاشت في إسرائيل فترة طفولتها وصباها ثم تحولت لتعيش بشكل دائم في فرنسا، إلا أنها لم تقطع صلاتها وجذورها بإسرائيل، ولم تنسى مهمتها الأساسية وهي الدعوة إلى السلام في أرض السلام، وقد عملت معنا سنوات طويلة في ترتيب اللقاءات والإتصالات والإعلام وغيره، وكانت مهمتها الكبرى في ترتيب هذا اللقاء الذي يستحق أن نلقي الأضواء على الأشخاص الذين شاركوا به.

لقد حضره شلومو الباز الأستاذ الجامعي وأحد كبار موظفي الوكالة اليهودية، وسيرج بوردوغو[4] رئيس الطائفة اليهودية المغربية، ونعيم جلعادي رئيس طائفة اليهود الشرقيين في أمريكا، وأندريه أزولاي[5] رئيس جمعية حوار وهوية التي تتخذ من فرنسا مقرا لها. إضافة إلى أربعين شخصية يهودية شرقية من إسرائيل ومن خارجها ممن يتمتعون بالتأثير والسمعة الطيبة لدى أقرانهم.

وقبل أن تنتهي جلسات الحوار التي إستمرت ثلاثة أيام كاملة، غادرت توليدو، ولم أطلب إصدار بيان أو تصريح صحفي من قبل اليهود حتى لا أحرجهم واكتفيت بنتائج الحوار التي وقع، إلا أنهم إجتمعوا وأصروا على إصدار بيان من جانبهم حيوا فيه منظمة التحرير على إعترافها بالقرارات الأممية ونبذ الإرهاب وطالبوا بإقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل.

4 أصبح وزيرا للسياحة في الحكومة المغربية

5 يعمل الآن مستشارا لدى جلالة الملك الحسن

وهكذا فإن إتفاقية السلام التي وقعناها في 1993/9/13 في البيت الأبيض في واشنطن، لم تأت صدفة ولم تكن نتيجة المفاوضات التي جرت في أمريكا أو في أوسلو فحسب، بل جاءت نتيجة تراكمات كثيرة ساهمت فيها أعمال الثورة الفلسطينية العسكرية والسياسية والإعلامية، وساهمت فيها ست سنوات من الإنتفاضة المباركة التي راح ضحيتها ألوف الأطفال والنساء والرجال من ضحاياومعوقين. كذلك كان لإنتهاء الحرب الباردة وسقوط المنظومة الإشتراكية وحرب الخليج المدمرة، نتئج صبة في طاحونة العملية السياسية، ولعبت شبكة الإتصالات الهائلة التي ربطتها المنظمة مع القوى الإسرائيلية المحلية واليهودية العالمية المحبة للسلام أو التي تحولت نحو السلام دورا هاما في تحويل الرأي العام الإسرائيلي وفي تقريب وجهات النظر، وفي التأكيد على أن التعايش أمر ممكن وأن تحقيق السلام لم يعد مستحيلا.

ولا بد من إعطاء منظمة التحرير الحق، حيث أنها فتحت الطريق أمام إمكانية تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط، عندما تبنت في عام 1988 وفي دورة المجلس الوطني التاسعة عشرة، إستنادا إلى قوة الإنتفاضة الفلسطينية وزخمها قراري مجلس الأمن 242، 338 اللذين يعتبرهما العالم أساسا لتسوية النزاع في تلك المنطقة.

فلا بد للرموز الفلسطينية التي ضحت في هذا السبيل والرموز الإسرائيلية التي عانت على هذا الدرب أن تأخذ حقها من الإحترام والتقدير، وأن ينالها نصيب من ذاكرة شعوب المنطقة لتبقى ذكراها لامعة ساطعة في الأجواء تقدم للأجيال الصاعدة أمثولة حية ونموذجا رائعا لبطولات مجهولة .. وإذا كانت الشعوب تكرم أبطال حروبها، فحري بها أن تكرم أبطال السلام، لأن صنع السلام أصعب بكثير من تفجير الحرب.

الفصول القادمة سوف توضح دور بعض الدول التي كان لها تأثيرها في دفع عملية السلام، وتلك الطرق والصعاب التي واجهتها المنظمة وغيرها من الدول والرجال، لكي تبدأ مسيرة السلام في منطقة الشرق الأوسط، والتي كانت ضربا من ضروب المستحيل، حتى تجمعت العوامل والتقت الجهود وساعدت الظروف للبدء بإنهاء صراع شد العالم بأسره، لأكثر من نصف قرن.

الفصل الثالث

دور السويد

بعد حرب 1967 صدر القرار الأممي 242 بتاريخ 1967/11/22، والذي يطالب إسرائيل بالإنسحاب من الأراضي التي إحتلتها، ويشير إلى ضرورة حل عادل لمشكلة اللاجئين ويضمن حق جميع دول المنطقة في العيش بسلام بحدود آمنة. وقد ورد في ديباجة هذا القرار عدم جواز إحتلال أرض الغير بالقوة.

إنتهت حرب أكتوبر/ تشرين أول بالقرار 338 الصادر بتاريخ 1970/10/22 والذي يدعو الأطراف المعنية إلى التفاوض تحت رعاية مناسبة. وعلى أثره دعيت الدولتان العظمتان إلى مؤتمر جنيف، حيث لبت مصر والأردن هذه الدعوة، ولم تلبي سوريا هذه الدعوة. وكنا في ذلك الوقت غير مدعويين إلى هذا المؤتمر، إلا أن مصر حاولت أن تضمن لنا نوعا من التمثيل ولم تنجح مساعيها حينذاك، لأن المؤتمر نفسه لم يستمر، وتحولت المساعي الدولية إلى مساع قام بها الوزير الأمريكي هنري كسنجرمن خلا جولات مكوكية إلى منطقة الشرق الأوسط.

وفي عام 1977 إقترح سايروس فانس على المصريين والسعوديين أن تتعامل منظمة التحرير مع القرار 242 تعاملا إيجابيا على أن تضع التحفظات التي تريد، وأعرب عن إستعداده في هذه الحالة أن يجعل الولايات المتحدة تفتح حوارا معها.

لقد جاء في قرارات المجلس الوطني للدورة الثانية عشرة ما يلي: نحن نرفض القرار 242 لأنه يتعامل مع قضية فلسطين على أنها قضية لاجئين، وكان المطلوب أن تقول: «لو لم يكن القرار 242 قد تعامل مع قضية فلسطين على أنها قضية لاجئين، وتعامل معها على أنها قضية شعب له حقوقه المشرعة لقبلناه».

هذه الصيغة إقترحها إسماعيل فهمي وزير خارجية مصر الأسبق، وسعود الفيصل وزير خارجية السعودية، وهي صيغة لا تغير في المضمون شيئا لأنها

تتعامل مع الصيغة بنظرية «المفهوم المخالف» وهي صيغة مقبولة ويمكن أن نقولها ولا نخسر شيئا بل نكسب إعترافا بنا من الولايات المتحدة الأمريكية.

وتمضي الأيام .. وفي كل زيارة يقوم بها وفد رسمي فلسطيني إلى موسكو، يتحدث أندريه غروميكو إلى هذا الوفد قائلا: لا حل أمامكم ما لم تعترفوا بالقرارين 242، 338، إن هذه الأوراق شك ثمين بأيديكم عليكم أن تستعملوه في الوقت المناسب، ويجب أن لا تتأخروا، لأنه سيأتي وقت ويفقد فيه قيمته. أرجوكم أن تعطونا هذا الشكل لنتحدث مع الأمريكان والأوروبيين والإسرائيليين لعلنا نجد لكم حلا. كان الجواب دائما .. لا يمكن القبول بالقرار.

كانت بعض الفصائل الفلسطينية تتوشح بالعلاقة مع السوفييت باعتبارهم زمز التقدم والإشتراكية، وباعتبارهم أنصار الشعوب المظلومة وسند حركات التحرر العالمية، وكثير من هذه الفصائل، إن لم يكن معظمها، تبنت الماركسية لتدعي التماثل مع السوفييت. وكانت تخترع لنفسها نمطا من العلاقة التحالفية معهم تجأر بها بمناسبة وبدون مناسبة. والسوفييت آخر من يعلم عن مثل هذه العلاقة، لأن الرابط الوحيد الذي يربطهم بنا هو قضية الشرق الأوسط، التي لا مدخل لهم إليها إلا القرار 242 الذي نرفضه نحن .. ولذلك فكثيرا ما كانوا يتسائلون عن نوع وأساس التحالف الإستراتيجي بيننا وبينهم ما دمنا مختلفين من حيث المبدأ على الرابط الوحيد الذي يربطنا معهم في تلك القضية.

في عام 1982، وأثناء حصار بيروت الذي دام ثلاثة أشهر تقريبا أرسلت بعض الوجوه السياسية الفلسطينية من عمان إلى القيادة في بيروت رسالة، وقعها المحامي إبراهيم بكر والمحامي ياسر عمرو (عضو اللجنة التنفيذية حاليا)، يقترحان عليها المبادرة الفورية إلى إعلان عن قبول بالقرارين 242 - 338 لأن مثل هذا الإعلان قد يساعدك على فك الحصار والحفاظ على منظمة التحرير الفلسطينية وتغير المناخ الدولي المعادي لها.

وعندما إنتهى حصار بيروت وعقدت قمة فاس الثانية سنة 1982، تقرر إعتماد المبادئ التالية، لحل مشاكل الشرق الأوسط، إستنادا إلى مبادئ الشرعية الدولية ومشروع الرئيس بورقيبة والملك فهد والملاحظات التي أبداها الملوك والرؤساء:

أولا: إنسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة التي إحتلتها عام 1967 بما فيها مدينة القدس العربية.

ثانيا: إزالة المستوطنات التي أقامتها إسرائيل في الأراضي المحتلة بعد عام 1967.

ثالثا: ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الأديان في الأماكن المقدسة.

رابعا: تأكيد الحق الفلسطيني في تقرير مصيره وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي الوحيد، وتعويض من لا يرغب في العودة.

خامسا: إخضاع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة إنتقالية تحت إشراف الأمم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة أشهر.

سادسا: قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

سابعا: يضع مجلس الأمن الدولي ضمانات سلام بين جميع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة.

ثامنا: يقوم مجلس الأمن الدولي بضمان تنفيذ تلك المبادئ.

إنفجرت الإنتفاضة بتاريخ 1987/12/7 لتحقيق التخلص من الإحتلال. وكان لا بد من وضع قواعد سياسية لها حتى لا تصبح فورة أو فقاعة لا تلبث أن تنتهي وتتلاشى.

إن الحديث عن قواعد سياسية للإنتفاضة تحتاج إلى عقل لا يخضع للخطوط الحمراء. ولا ينصاع للشعارات واليافطات الجامدة. ولا ينظر إلى المسألة نظرة تخلو من الإحساس بالمسؤولية تجاه الشعب ومصالحه واحتياجاته ومتطلباته. ولا يحدث بفخر عن منجزات الإنتفاضة والضحايا، ولا يجوز

الحديث عن أطفال الحجارة الذين يقضون نهارهم وليلهم في مقارعة جيش الإحتلال دون أن نفكر بمستقبلهم ومدارسهم ومعاشهم وصحتهم وحياتهم التي يحيوها بظروف لا يعلم بها إلا الله. ولا أن نتحدث عن صمود شعبنا وبسالته دون أن نؤمن له الأكل والعيش الكريم والعلاج والتعليم وباقي مرافق الحياة. وأبسط متطلباتها.

بعد أن مضى على الإنتفاضة بضعة أشهر جلست مع شخص إخترته لرجاحة عقله واتزان تفكيره وهو نعيم الأشهب عضو المكتب السياسي في الحزب الشيوعي الفلسطيني، وطرحت عليه سؤالا محددا: هل أنت مستعد لأن نفكر سويا دون خطوط حمراء، ودون الخوف مما تعارفنا عليه على أنه محرمات؟ قال نعم! قلت: هل تتفق معي بأن الإنتفاضة قامت من أجل إنسحاب القوات الإسرائيلية من غزة والضفة الغربية؟ قال نعم، قلت: هل تعتقد أننا لو طلبنا من أهلنا في الضفة والقطاع أن يستمروا في إلقاء الحجارة حتى يتخرج الإسرائيليون من حيفا وعكا سيقبلون بذلك؟. قال: لا .. قلت: ماذا سيكون ردهم علينا؟ قال سيرموننا نحن بالحجارة. قلت: إذن .. تعال ندرس ماذا يمكن أن نقدم لهم.

وهنا برزت ضرورة طرح فكرة القبول بالقرارين 242 - 338 كأساس لعملية سياسية، أو لمبادرة سياسية سميت فيما بعد المبادرة السياسية الفلسطينية.

وقد حرصنا على أن نبقي تفاصيل الفكرة سرية، وعلى أن نتحدث عنها بشكل عام للقيادات الفلسطينية ولبعض القيادات العربية، وكذلك الإتحاد السوفييتي. وقد قمنا بزيارة لمصر وعرضنا الموضوع على الوزير الدكتور عصمت عبد المجيد فرحب به بشدة مشيرا إلى أن مثل هذا العمل، يمكن أن يعتبر خرقا تاريخيا في مسيرة الشعب الفلسطين، وأنه سيترك أثرا على العالم الغربي وعلى إسرائيل بالذات التي لا تستطيع أن ترفض مثل هذه الأفكار.

وقمنا بزيارة موسكو حيث إلتقينا في وزارة الخارجية النائب الأول للوزير في ذلك الحين السكندر بسمرتنيخ الذي أصبح فيما بعد وزيرا للخارجية، وكذلك حظر اللقاء مسؤولين من اللجنة المركزية للحزب، وأكدوا لنا أن مثل هذه

الأفكار ستفتح الطريق أمام حل ملائم للقضية الفلسطينية وأن أمريكا وإسرائيل لن تتمكنا من المعارضة بل سترضخان للأمر الواقع. وهم واثقون أن أمريكا قد تفتح حوارا معنا، إذا تم تبني هذه القرارات في المجلس الوطني الفلسطيني.

لم يكن بالإمكان صدور مثل هذه القرارات عن المجلس الوطني دون أن تطعم ببعض القرارات المعنوية التي لا بد منها، ولذلك جرى الحديث عن ضرورة إعلان الإستقلال الفلسطيني، وكان الخوف من أن يتعرض إعلان الإستقلال مع المبادرة السياسية الفلسطينية، بالتالي فإن القرارت جميعها ستكون بلا فائدة ولا جدوى.

لقد حاول بعض رجال القانون الفلسطينيين أن يعدوا صيغة إعلان الإستقلال، فجاءت بشكل لا يمكن أن يلبي الغرض منها. بالإضافة إلى أنها تتناقض بشكل صارخ مع المبادرة السياسية، الأمر الذي جعلنا نطالب إعادة صياغتها، وقد كلف بهذه المهمة محمود درويش الذي سخر كل طاقاته الفكرية واللغوية ليقدم صيغة راقية فيها من صنعة اللغة والأدب العالي ما يجعلها في مضمونها تنسجم مع المبادرة الفلسطينية، وجاءت مليئة بالعبارات التي ترضي الرافضين.

في 1988/11/15 تبنى المجلس الوطني المبادرة السياسية بأغلبية ساحقة وإعلان الإستقلال بالإجماع، عبر المجلس كأعلى سلطة تشريعية فيها عن تعريفه للحق الفلسطيني والتزامه بتحقيقه كهدف يمثل الحد الأدنى المقبول لحل ممكن، وترك بهذا التعريف مكانا للآخر، فتشكلت بذلك قاعدة السلام الواقعية. وكانت الإنتفاضة وما أحدثته من ضغط متنوع على الأحداث في إسرائيل، الأساس القوي الذي إستند عليه المجلس في صياغة الهدف السياسي للموقف الفلسطيني، وانهالت إعترافات الدول بالدولة الفلسطينية المعلنة، سواء كانت من العالم العربي أو غيره، حتى تجاوز عدد هذه الدول المائة. وقد ظن البعض أن الإعتراف جاء بناء على إعلان الإستقلال، ولكنهم لم يعرفوا أن الموقف السياسي العقلاني، الذي تضمنته مبادرة السلام الفلسطينية، هو كان وراء هذا الإعتراف وذلك تشجيعا لمنظمة التحرير على الإستمرار في هذا النهج.

في هذا المجلس كانت قيادة حركة فتح والحزب الشيوعي وعدد من المستقلين هم وحدهم الذين تبنوا المبادرة السياسية، وقد تردد حواتمة حتى آخر لحظة، إلى أن إضطر للموافقة بعد أن هدده عدد من أعضاء مكتبه السياسي بالإنشقاق عنه إذا لم يعلن موافقته رسميا.

وللتاريخ فقد لعب الشهيد أبو إياد دورا أساسيا في هذه الدورة لإقناع المجلس بتبني المبادرة من خلال مداخلة مطولة ومقنعة، تناول فيها شرح المبادرة وفوائدها وضرورة موافقة المجلس عليها.

إن أهم ما في هذه المبادرة أنها طابقت بين موقف منظمة التحرير الفلسطينية والشرعية الدولية، التي ينادي بها المجتمع الدولي كأساس لحل ممكن لقضية الشرق الأوسط بما في ذلك القضية الفلسطينية.

إنتهى المجلس الوطني، وشعرنا أن الولايات المتحدة راضية إلى حد ما عن قرارات هذا المجلس، ولكن رضاها هذا لم يصل إلى حد فتح حوار مع المنظمة لأن هناك قضية لا بد من الإشارة إليها بوضوح وهي نبذ الإرهاب.

وظهرت آثار قرارات المجلس الوطني الفلسطيني على الجالية اليهودية الأمريكية، التي راحت تتحرك باتجاه المنظمة لبدء الحوار معها، مستعينة بحكومة السويد التي أبدت حماسا شديدا لاستضافة مثل هذا الحوار. لأنها وهي تستشف آفاق المستقبل. وجدت أن الدور الذي يمكن أن تقوم به دوليا هو في قضية الشرق الأوسط. ومن خلال البدء في حوارات فلسطينية أمريكية-يهودية على أراضيها.

كان هدفنا الأساسي من تلك القرارات أن نتوجه إلى أوروبا وأمريكا وإسرائيل، لسد كل الذرائع التي تتذرع هذه الدول بها، وتتستر وراءها لتبرير موقفها من منظمة التحرير ومن القضية الفلسطينية. وقد لاحظنا الإرتباك والعزلة اللذين أصابا أمريكا وإسرائيل نتيجة لصدى قرارات المجلس الوطني، بينما تجاوبت معها كل دول أوروبا الغربية دون إستثناء. وبصرف النظر عما إذا إعترفت هذه الدول بالدولة الفلسطينية المعلنة أم لم تعترف، إلا أنها إعتبرت ما صدر عن المجلس خطوات إيجابية، يجب أن تقابل بمثلها من أمريكا

وإسرائيل. وقد ظهر هذا جليا سواء بالمواقف الفردية لهذه الدولة أم بمواقفها الجماعية التي إتخذتها في قمة رودوس.

كنا نعرف أن أمريكا وفي الفترة الإنتقالية بين رئاستين تعيش حالة إنعدام الوزن، وأن الرئيس المستعد للرحيل ليس معنيا باتخاذ مثل هذه القرارات المصيرية، بينما الرئيس المستعد للقدوم غير مخول باتخاذ مثل هذه القرارات. ومع ذلك فقد كنا نعرف أيضا أن موقف أمريكا من الشعب الفلسطيني ومن مسألة الإعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ليس تفصيليا، وليس هامشيا، بصرف النظر عن عواطفنا القومية تجاه أمريكا ومواقفها العدائية التاريخية ضد مصالحنا وتطلعاتنا، وبصرف النظر عن إرتباط إسرائيل بها إرتباطا عضويا مصلحيا.

كنا نعتقد أن الإدارة الأمريكية ستتفهم الرسالة التي أطلقناها من خلال المجلس الوطني التي حددنا فيها سياستنا للمستقبل، تلك السياسة التي قومها معظم دول العالم إيجابيا. إلا أن إعتقادنا لم يكن في محله، بحيث أن هذه الإدارة لم تقبل ما قلناه وأصرت على مزيد من الوضوح باستعمال عبارات معينة، وإلا فإنها لن تسعى إلى تغيير موقفها من المنظمة. وكانت تشعر في قرارة نفسها أنها في موقف ضعيف لا تستطيع الدفاع عنه، ولهذا لم تعد تستطيع تجاهل المتغيرات التي تمت على أرض الواقع، والتغاضي عن المواقف المتراكمة التي تبنتها المنظمة من خلال إثبات وجودها خلال ربع قرن من النضال، فلجأت إلى أسلوب الحل الوسط بمعنى أن يستمر موقفها الرسمي والمعلن من المنظمة برفض اللقاء معها، وبنفس الوقت تفتح قنوات غير رسمية عليها من خلال لقاءات تمت بين مديري مكاتبنا في كل من أنقرة وتونس والجزائر، وبين سفراء أو كبار موظفي سفارات أمريكا في هذه البلدان. وبقيت هذه اللقاءات سرية وطي الكتمان بناء على طلب أمريكا.

وضعت الخطوات التي إتخذتها منظمة التحرير الفلسطينية في المجلس الوطني، الإدارة الأمريكية في موقف حرج جدا ولكنها أصرت على الإستمرار في نهجها، في الوقت التي راحت تبحث فيه عن مخرج. لقد وجدت الحكومة الأمريكية أن الإتصالات والقنوات التي فتحتها بشكل سري وغير رسمي مع منظمة التحرير لم تؤد إلى نتيجة. فكان أن أوعزت إلى زعماء الجالية اليهودية

في أمريكا لإجراء إتصالات مع منظمة التحرير في محاولة جس نبض تقرر من خلال نتائجها ما يمكن أن تقوم به في المستقبل. وقد مهدت لهذه الإتصالات بحملة موجهة إلى إسرائيل من هذه الجالية تبلورت في عديد من الوفود إليها محتجة على سياسة حكومته، مبدية قلقها من تشكيل حكومة يكون الأصوليون طرفا أساسيا فيها، ويفرضون شروطهم الدينية التي تسيء بشكل مباشر إلى إنتماء يهود أمريكا إلى الدين اليهودي، كما تسيء إلى الوجه الحضاري الغربي الذي تحاول إسرائيل أن تظهر به أمام العالم كدولة ديمقراطية، وكنموذج للدولة الغربية في منطقة الشرق الأوسط.

في 1988/11/21، علمنا من ممثلنا في ستوكهولم أن عددا من الشخصيات اليهودية الأمريكية المرموقين من الذين يمثلون الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي يرغبون باللقاء مع شخصيات من منظمة التحرير الفلسطينية للإطلاع منهم على فهمهم لقرارت المجلس الوطني، والوصول إلى إتفاق أو بيان مشترك يتضمن جملة من القضايا.

في البداية لم نعطي الأمر أهمية كبيرة، لأننا إلتقينا أكثر من مرة مع شخصيات يهودية أمريكية، فلم يكن لهذه الشخصيات تأثير ما، سواء على الإدارة الأمريكية أو على إسرائيل. ومع ذلك فقد قررنا أن نرسل وفدا يلتقي هؤلاء برئاسة خالد الحسن وعضوية كل من هشام مصطفى وعفيف صافية وممثلنا في ستوكهولم يوجين مخلوف. وقد لاحظنا فيما بعد أن الحوار تم برعاية وزير الخارجية السويدية أبدت إهتماما ملحوظا بالوفد الفلسطيني واليهودي، وفي النهاية صدر بيان عن الوفدين لم يعلن، ولكنه وقع من قبل رئيسي الوفدين وهذا هو نص البيان ... الذي ظل إلى الآن طي الكتمان.

إن وزير الخارجية السويدي ستين أندرسون دعا إلى ستوكهولم الممثلين التالية أسماؤهم لمنظمة التحرير الفلسطينية وشخصيات يهودية أمريكية يوم 1988/11/21 وهم خالد الحسن هشام مصطفى، عفيف صافية ويوجين مخلوف، ريتا هاوزر، ستانلي شاينباوم ودرورا كاس.

إفتتحت الجلسة الأولى بحضور وزير خارجية السويد وباقي الجلسات تمت بحضور مسؤولين سويديين، وتم الإتفاق على التالي:

إنعقد المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر بين 12 و 15 نوفمبر/ تشرين الثاني وأصدر إعلان الإستقلال الذي أعلن قيام دولة فلسطين وبيانا سياسيا، وفيما يلي توضيحات قدمها ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية لبعض النقاط الواردة في إعلان الإستقلال الفلسطيني في الجزائر.

تأكيدا للمبادئ التي تضمنتها قرارات الأمم المتحدة الداعية إلى حل عادل، بإقامة دولتي إسرائيل وفلسطين فإن المجلس الوطني الفلسطيني.

أولا: يوافق على الدخول في مفاوضات سلام في إطار مؤتمر دولي يعقد بإشراف الأمم المتحدة وبمشاركة الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن، وبمشاركة منظمة التحرير بصفتها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني على قدم المساواة مع أطراف الصراع الأخرى، وعلى هذا المؤتمر أن يعقد على أساس قراري الأمم المتحدة 242 و 338 وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره دون تدخل خارجي، وفقا لما ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة، بما في ذلك الحق في إعلان دولة مستقلة، وعلى هذا المؤتمر أن يجد حلا للمسألة الفلسطينية في كافة أوجهها.

ثانيا: يعلن إقامة دولة فلسطين المستقلة، ويوافق على وجود إسرائيل كدولة في المنطقة.

ثالثا: يعلن رفضه وإدانته للإرهاب في كافة أشكاله بما في ذلك إرهاب الدولة.

رابعا: يدعو إلى إيجاد حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين، وفقا للقانون الدولي والأعراف الدولية وقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بهذه المشكلة (بما في ذلك الحق في العودة أو الحصول على تعويضات).

إن الشخصيات الأمريكية تؤيد بقوة وتحيي إعلان الدولة الفلسطينية المستقلة والبيان السياسي الصادرين في الجزائر، وترى أن ليس ما يمنع بعد الآن من إجراء مباشر بين حكومة الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية.

في تلك الفترة صدر أكثر من تصريح لزعماء ومفكرين وصحافيين إسرائيليين يقولون «لا بد لأمريكا أن تنقذنا من أنفسنا، فنحن لا نستطيع ضمن تفكير زعمائنا أن نتحرك نحو السلام. إننا نسير نحو الإنتحار. المنطقة بحاجة إلى حل مرفوض».

كان العاقلون من الإسرائيليين يتطلعون إلى أمريكا لتملي عليهم حلا ما. ولكن أمريكا نفسها لم تكن مقتنعة لابحث عن حل، ولم تكن ترى أن الظروف ناضجة لهذا الحل، وربما لا تؤمن أن المنطقة بحاجة لأي حل. لأنها وطيلة أربعين سنة كانت مرتاحة إلى الوضع القائم الذي ترى فيه الوضع الأمثل، المتمثل في حالة اللاحرب لتستمر من خلاله في إستنزاف خيرات المنطقة، ومن ثم السيطرة عليها وإبقائها في إطار النفوذ الأمريكي.

مما لاشك فيه أن تطورات كثيرة وخطيرة وهامة وقعت في المنطقة وفي العالم دفعت أمريكا إلى إعادة النظر بسياستها تجاه القضية الفلسطينية، واو أنها كانت ولا زالت متمسكة بموقفها الثابت من منظمة التحرير الفلسطينية، في وقت راحت فيه تحاول أن تفتح الأبواب للتخلص من هذا الموقف. ولذلك فإننا يمكننا أن نستعرض الأسباب التي دعت أمريكا للتحول إلى الموقف الجديد على الشكل التالي:

1. الوفاق الدولي: منذ أن تم الإتفاق بين الدولتين الأعظم على الأسلحة النووية المتوسطة المدى، وبعد أن وضعت معظم بؤر التوتر في العالم على طاولة المفاوضات، أصبحت هناك حاجة ملحة لبحث قضية الشرق الأوسط كنقطة من نقاط التوتر الأكثر تفجرا في العالم.
2. الإنتفاضة، التي قدمت قضية فلسطين بصورة جلية وأثبتت للعالم ولأمريكا بالذات أن الفلسطينيين لم يذوبوا بالصحراء العربية كما تنبأ بذلك جون فوستر دالاس، وزير خارجية أمريكا الأسبق خلال فترة الخمسينات.
3. الوضع الناشئ عن الإنتخابات الإسرائيلية، والذي كرس نوعا من الراديكالية والأصولية بما يسيء بشكل أو بآخر إلى سمعة إسرائيل ومستقبلها. وفي نفس الوقت يضع شرخا قويا بين اليهود في العالم وبين إسرائيل.

4. الرغبة الأمريكية في فرض تأمين تدفق النفط من منطقة الخليج إلى السوق العالمية وخاصة الأمريكية بسعر مقبول، وفي إستعادة الأسواق العربية، وبعد أن تحولت إلى أوروبا لشراء الأسلحة.
5. تنامي الدور الأوروبي في تعاطيه مع الشرق الأوسط، وخشية أمريكا أن تصبح أوروبا في المستقبل شريكا في هذه المنطقة وهذا ما لا تقبله أمريكا.
6. تخلي الملك حسين عن الضفة الغربية من خلال قراره بفك الإرتباط والإبتعاد عن الصورة وأنهاء مقولة الخيار الأردني.
7. ظهور بوادر نقد متنامي تجاه يهود أمريكا من حيث تصرفاتهم في الصحافة الأمريكية، ومثل هذا النقد يقلق الأدارة الأمريكية، لأنه ربما تحول إلى نوع من الكراهية بين المواطنين الأمريكان ويهود أمريكا، وهذا ما لا ترضاه الإدارة الأمريكية، التي تريد أن تبقى صورة اللوبي الصهيوني كما تريد لها أن تبقى وبخاصة في العالم العربي، ولكنها في الوقت نفسه لا تريد أن تكون هذه الصورة راسخة في عقل المواطن الأمريكي. وبمعنى آخر فإن الإمعان في تكبير صورة اللوبي الصهيوني وتأثيرها، أمر يؤدي إلى نتائج عكسية، فقد أصبح المواطن الأمريكي العادي يتململ فعلا من هذه الصورة، ويتحدث بقناعة عن سطوة اليهود وسيطرتهم على مقاليد الحكم في أمريكا.
8. وهذه الصورة بالذات أدت إلى وجود وهم لدى المنظمات الصهيونية في أمريكا، بأنها قادرة ومسيطرة على القرار الأمريكي، فراحت تنشط في تصرفاتها، الأمر الذي دعا الحكومة الأمريكية لأن تضع الأمور في نصابها الصحيح وأن تعيد هذه المنظمات وبالذات الايباك إلى حدود المرسوم لها أصلا في السياسة الأمريكية.

كان من الممكن أن تقف أمور الإتصالات عند لقاء ستوكهولم مع بعض الشخصيات اليهودية، لو لم تبادر الحكومة السويدية إلى دعوة أبي عمار لزيارة سريعة، وألحت على تحقيق الزيارة في أقرب وأسرع وقت ممكن، الأمر الذي دعا أبا عمار لتلبية هذه الزيارة، والتي تمت يوم 1989/12/6 ورافقه كل من ياسر عبد ربه ومحمود درويش، وفي بداية الحوار مع وزير الخارجية السويدي أندرسون، عرض هذا رسالة وردته من جورج شولتز، كان مرفقا بها مقترح، هو عبارة عن بيان تصدره منظمة التحرير الفلسطينية وبيان آخر يصدر عن

الإدارة الأمريكية. وكان شولتز يرفض أية تعديلات لفظية على البيانين كما بدا في الرسالة. وإن كان لا يرى مانعا من إضافات على البند الخاص بمنظمة التحرير الفلسطينية، إلا إن وفدنا راح يجري التعديلات في هذا البند أو ذاك، وكلما أجرى تعديلا وأبلغه للوزير السويدي، يعود الوزير بعد هذا ليقول بأن الأمريكان موافقون على التعديل. وقد شمل التعديل البيان الذي ستتبناه المنظمة، وكذلك ما سيتبناه الأمريكان. وفي هذا الوقت طلب أبو عمار منحه فرصة كافية لعرض الأمر على اللجنة التنفيذية، مع التأكيد للسويديين بأنه شخصيا موافق على العرض، وعقد مؤتمرا صحفيا تحدث فيه عن الإتفاق الذي عقده خالد الحسن مع بعض اليهود الأمريكان. قائلا: إن الإتفاق قراءة جيدة لقرارات المجلس الوطني.

لقد بقي الحديث مع الأمريكان عبر السويديين سريا بينما أعلن فقط الحوار الذي جرى بين غير الرسميين. ويبدوا أن السويديين جاءوا باليهود إلى ستوكهولم لتغطية الحوار مع الأمريكان السريين. وقد كانت تعليقات أعضاء الوفد اليهودي وحكومة إسرائيل وأمريكا على ما قاله أبو عمار متفاوتة.

فقد قال شولتز بتاريخ 1988/12/7 أن تصريحات عرفات في ستوكهولم لا تصلح لتشكيل قاعدة للمباحثات الثنائية بين منظمة التحرير والولايات المتحدة.

أما مير فقد قال في التاريخ نفسه، أن بلاده تأمل في أن يعلن ياسر عرفات عن إعترافه بإسرائيل في الخطاب الذي سيلقيه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في جنيف.

وقال شمعون بيريز في اليوم نفسه: أنها عبارة عن توضيحات إضافية للموقف المتملص الذي أعلن عنه في الجزائر وعاد بيريز ليقول: أن إعلانا واضحا من قبل منظمة التحرير الفلسطينية تعلن فيه عن موقف الإرهاب والإضطرابات وقبول قرار مجلس الأمن رقم 242 بدون غموض، واعتراف واضح بحق إسرائيل في أن تعيش بسلام، فقط مثل هذا. من الممكن أن يجعلنا ننظر لهذه المنظمة بجدية.

وعندما سئل إسحق شامير بتاريخ 1988/12/7 عن تصريحات عرفات قال: أنا لا أرى ولا أتوقع أي تغير جوهري لأنهم أقاموا منظمتهم من أجل تدمير دولة إسرائيل، وفي الوقت الذي يتوصلون فيه إلى إستنتاج أن هذا الهدف لن يتحقق فإنهم سيحلون أنفسهم.

وصرحت ريتا هاورز رئيسة الوفد اليهودي الأمريكي في اليوم نفسه، أن ما قاله عرفات بالسويد أزال الضباب عن قرارات الجزائر وأوضح بصراحة إعترافه بدولة إسرائيل، وأن هذه التوضيحات تمهد الطريق للمنظمة لإجراء محادثات مباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

أما الناطق الرسمي بلسان الخارجية الأمريكية فقد علق على الأنباء الواردة من ستوكهولم، إنه إذا تأكدت المعلومات التي تناقلتها وكالات الأنباء من العاصمة السويدية، فإن وثيقة ستوكهولم ليست سوى تفسير آخر لاردواجية المواقف التي إتخذتها المنظمة الفلسطينية، وأن المنظمة حاولت بواسطة السويد إعطاء مصداقية لقرارات الجزائر، ولكنها لا تزال مجرد محاولة فقط لا غير.

نعود إلى رسالة شولتز إلى وفدنا في ستوكهولم عبر وزير خارجية السويد، لنقول بأن وفدنا، لم يوافق على الصيغة التي بعث بها شولتز سواء فيما يتعلق بالجانب الخاص بنا أو بالجانب الخاص بأمريكا. وإنما إقترح مجموعة تعديلات على الصيغ حتى أصبحت على النحو التالي:

بيان مقترح من منظمة التحرير الفلسطينية.

مساهمة منها في البحث عن سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط، فإن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي تتولى دور الحكومة المؤقتة لدولة فلسطين، ترغب في إعلان البيان الرسمي التالي:

1. أنها على إستعداد للتفاوض مع إسرائيل من أجل الوصول إلى تسوية سلمية شاملة للصراع العربي الإسرائيلي، وذلك في إطار مؤتمر دولي، على قاعدة قراري مجلس الأمن 242 و 338.

2. أنها تتعهد بالعيش بسلام مع إسرائيل والجيران الآخرين وأن تحترم حقهم في الوجود بسلام، وضمن حدود آمنة ومعترف بها دوليا. وكذلك ستفعل الدولة الفلسطينية الديمقراطية، التي تزمع إقامتها في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967.
3. أنها تدين الإرهاب الفردي والجماعي وإرهاب الدولة بكل أشكاله ولن تلجأ إليه.
4. (البند المشطوب) أنها مستعدة للوصول إلى حظر يشمل جميع أنواع العنف وعلى أسس متبادلة عندما تبدأ المفاوضات.

النص الأمريكي:

إن منظمة التحرير قد أصدرت بيانا قبلت في قراري مجلس الأمن 242 و 338 واعترفت بحق إسرائيل بالوجود ونبذت إستخدام العنف، ونتيجة لذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية على إستعداد لبدء حوار جوهري مع ممثلي منظمة التحرير. إن الولايات المتحدة تؤمن أن المفاوضات من أجل الوصول إلى تسوية سلمية للصراع العربي الإسرائيلي يجب أن تستند إلى قراري 242 و 338 وتدعو جميع الأطراف لتجديد مساعيها في البحث عن السلام بدون تأخير. إن الولايات المتحدة تعترف أن ممثلي الشعب الفلسطيني لهم الحق أن يطرحوا في المفاوضات جميع المواقف التي يرغبونها.

وقد أتبع ذلك بأسئلة مرتبة سيوجهها الصحافيون لجورج شولتز للإجابة عليها:

السؤال الأول: هل تصريحكم يعني أن الفلسطينيين يستطيعون أن يطرحوا على طاولة المفاوضات موقفهم بشأن الدولة الفلسطينية؟

الجواب: نعم الفلسطينيون من وجهة نظرنا لهم الحق في متابعة الرغبة في إقامة دولة مستقلة من خلال المفاوضات. أنه من خلال عملية المفاوضات والتبادل المباشر بين الأطراف المعنية، فإن نتيجة دائمة يمكن الوصول إليها.

السؤال الثاني: هل توافقون على أن المفاوضات يجب أن تتم في إطار المؤتمر الدولي؟

الجواب: إن الولايات المتحدة منذ زمن أوضحت أنها تؤيد المفاوضات المباشرة، ولكننا نبقى مستعدين للنظر في أي إقتراح يقود إلى مفاوضات مباشرة تؤدي إلى السلام الشامل. إن المبادرة التي أطلقتها في بداية العام، تدعو إلى مؤتمر دولي لبدء مفاوضات مباشرة، وأي مؤتمر من هذا النوع يجب أن ينظم بشكل صحيح بحيث لا يكون بديلا عن المفاوضات المباشرة.

هاتان الصيغتان حملهما وفدنا وعاد بهما إلى تونس، ليعرضهما على اللجنة التنفيذية التي عقدت إجتماعا خاصا لهذا الغرض إستمر ثلاثة أيام. وقد دار جدل طويل حول كل نقطة من النقاط، وحاول البعض أن يصور هاتين الصيغتين على أنهما أكثر مما يلزم لقرارات المجلس الوطني، ولكن الأغلبية كانت لا ترى ذلك، فتحول النقاش إلى الضمانات التي يمكن أن نحصل عليها، والنتائج التي يمكن أن نتوصل إليها. وفي النتيجة إنتهى الحوار إلى موافقة اللجنة التنفيدية على هاتين الصيغتين.

في هذه الأثناء كانت هناك مشاورات مكثفة تتم مع الإتحاد السوفييتي، حيث إستدعينا القائم بالأعمال السوفييتي في تونس وأبلغناه بكل التفاصيل التي حصلنا عليها من ستوكهولم. وكان الوفد قبل أن يعود إلى تونس إلتقى السفير السوفييتي في السويد، وأعطاه كل المعلومات حول الحوار وطلب جوابا سريعا من وزارة الخارجية السوفييتية، ولما كان أركان الحكومة السوفييتية برفقة الرئيس غورباتشيف في نيويورك، والذي كان يشارك في أعمال الأمم المتحدة، وينوي لقاء الرئيسين الأمريكيين، ثم يقوم بزيارة كل من كوبا وبريطانيا، فقد تأخر وصول جوابهم إلينا، والذي طلبناه سريعا. ولقد كان من المحاذير التي نبهنا إليها هو أن الأمريكان يؤيدون التوصل بأي ثمن إلى لقاء معنا للتأثير على السوفييت وعلى خطاب غورباتشيف في نييورك. وكذلك ليوحوا لهم بأنهم أصبحوا خارج اللعبة، وإننا نحن الفلسطينيين ساهمنا مساهمة كبيرة في طردهم منها. وكذلك كنا حريصين على الحصول على الموقف السوفييتي مسبقا، قبل أن نبلغ السويديين بموقفنا النهائي. ولذلك طلب مني أن أسافر إلى موسكو للتأكد من موقفها، ويذهب محمود درويش إلى ستوكهولم لإبلاغ وزير خارجية السويد بالموقف.

في موسكو تم عرض الموقف الجديد الناجم في إجتماع مع وزير الخارجية السوفييتي، وكان رأي السوفييت: سواء كان رد الفعل الأمريكي ملتزما بالإتفاق أم لا، فإن الخطوة ستؤثر بشكل كبير في العالم، ويجب مستقبلا تكثيف تبادل الآراء، ومن المحتمل أن تحاول الإدارة الأمريكية الحالية شق الطريق أمام الإدارة الجديدة وتعاود الخطا الذي إرتكب في موضوع منح تأشيرة لأبي عمار لدخول نيويورك كي يلقي كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة. ومن المحتمل أيضا أن الإدارة الراهنة تنوي التأثير بصورة ما على موقف الحكومة الإسرائيلية وأن رد الفعل الأمريكي يعني تنشيط النهج الواقعي الفلسطيني وكذلك السياسة السوفييتية في الشرق الأوسط. لذلك تظل مجموعة هذه التساؤلات وتبادل الآراء بالتفصيل حول كل ما يجري في الشرق الأوسط ضرورية، لكي تؤدي إلى نتائج فعالة.

وقد عرضنا الموقف الإسرائيلي المتوقع، من أعمال حمقاء كالإغتيال وتوسيع الإعتداءات وأعربنا عن إعتقادنا بأن إسرائيل ستكون في عزلة متصاعدة، وسيكون لسياستنا المشتركة إسهام كبير في ذلك. كما عرضنا الوضع المعقد داخل إسرائيل الناجم عن عملية تشكيل الحكومة وكان أمامنا الكثير لنعرف جيدا ماذا سيجري، فالإسرائيليون يشعرون بثقة تجاه بيكر رغم علاقاته الواسعة مع العرب، والحمق الإسرائيلي كان دائما يستند إلى الدعم الأمريكي، ومهما كان سياق الأمور في إسرائيل فالفلسطينيون سيرحبون.

بعد رفض أمريكا منح أبي عمار تأشيرة لدخول نيويورك، ليلقي كلمة المنظمة أمام الأمم المتحدة إلتجأنا إلى الجمعية العامة، التي أقرت بأغلبية 154 صوتا ضد صوتين (أمريكا وإسرائيل) نقل إجتماع الجمعية العامة إلى جنيف حيث المقر الثاني للأمم المتحدة. وهكذا بدأت الإستعدادات لتنفيذ هذا القرار. وبتاريخ 1989/12/14 ألقى أبو عمار خطابه، الذي إستقبل بترحيب عالمي جديد، ولكن أمريكا لم تقبل به واعتبرته غير كاف لبدء الحوارمع منظمة التحرير الفلسطينية، لأنه لم يلبي شروطها التي طلبتها.

ولكن وزير خارجية السويد الذي كان يعرف الحقيقة كاملة والذي شعر أن أبا عمار لم يقدم النص المطلوب منه حرفيا، والذي كان الوسيط الرسمي في هذه المسألة برمتها، أبا إلا أن يعتلي منصة الأمم المتحدة ويلقي خطابا يؤيد فيه ما

ورد على لسان عرفات ويقول: إنني أستطيع أن أقطع أن السيد عرفات قد أوفى في خطابه أمام الجمعية العامة بكل المطالب التي حددتها واشنطن من أجل بدء حوار أمريكي- فلسطيني، ومن وجهة نظرنا فإن هذا الوفاء جاء في صورة واضحة لا تحمل شكوك أي من المرتابين في الموقف الفلسطيني. لقد أكد عرفات في خطابه بوضوح كامل أنه مستعد للمفاوضات مع إسرائيل في إطار المؤتمر الدولي على أساس قراري مجلس الأمن 242 و 338 كما أكد إحترامه لحق إسرائيل في الوجود داخل حدود آمنة معترف بها، وأدان الإرهاب في كل صوره بما في ذلك إرهاب الدولة، ولقد كانت هذه هي مطالب واشنطن من عرفات.

في أروقة الأمم المتحدة، جرى حوار حاد ومكثف حول الموقف الأمريكي، وقد حاول وزراء خارجية الدول العربية الذين حضروا إلى هناك أن يهدؤوا من ثورة أبي عمار، وطلب إليه عدم الإنجرار نحو الإستفزاز أو ردود الفعل، مؤكدين له أن موافقة أمريكا ستأتي. كذلك إتصل به حول هذا الموضوع. عدد من زعماء العرب مثل الملك حسين والرئيس مبارك. وفي نفس الوقت كانت هناك إتصالات مكثفة مع أمريكا لحثها على الموافقة، ولكن الأمريكان لم يستجيبوا لأي من الندائين واكتفوا بالقول أن عرفات لم يلب كل شروطنا، وهنا إنقسم الوفد والأصدقاء إلى قسمين، رأي يقول بأن على أبي عمار ان يوضح ما قاله بنفس الكلمات المطلوبة، حتى يسحب كل حجج وذرائع أمريكا، ورأي يقول بأن المنظمة قد أعطت ما يكفي.

كنت في موسكو أتابع الأمور، وكان رأيي أنه إذا وجدت ضروة لمزيد من التوضيح فليكن، ما دمنا في إطار القرارات لأن تمسك الأمريكان بالصيغ والكلمات ما هو إلا نوع من المماحكة والذرائع لرفض الحوار مع المنظمة، وكنت أفهم كما يفهم غيري أن الحوار بيننا وبين أمريكا ليس مسألة تفصيلية، بل هو نقلة نوعية هامة وخطيرة، وإذا كنا قد إتبعنا أسلوب الواقعية في قراراتنا في المجلس الوطني، فقد كان ذلك من أجل أن نكسب تأييد الخصوم وتغيير موقف الأعداء وإحراجهم.

وأبو عمار يعرف ذلك، ولهذا فقد كان يبحث عن مخرج يضع الأمريكان في مأزق أو يجبرهم على الحوار، لقد حضر إلى جنيف كل من حسيب الصباغ وباسل عقل، وتابعا باهتمام بالغ مجريات الأمور، وعندما وجدا الأمور قد

وصلت فعلا إلى طريق مسدود قام حسيب بالإتصال هاتفيا بريتشارد ميرفي في الإدارة الأمريكية وأجرى معه حوارات مكثفة للتوصل إلى صيغة مقبولة للطرفين لإنقاذ العملية كلها، حيث أن الأمر أصبح متوقفا على كلمة واحدة وهي نبذ الإرهاب وأخيرا تم إقناع أبي عمار بضرورة ذكرها في المؤتر الصحفي الذي سيعقد خلال ساعة من الزمن ... فقرر أن يقول ذلك في المؤتمر الصحفي.. وهذا ما قاله:

دعوني أوضح وجهة نظري أمامكم، رغبتنا في السلام إستراتيجية وليست تكتيكا مؤقتا. نحن نعمل من أجل السلام مهما حدث.

إن دولتنا توفر الخلاص للفلسطينيين، والسلام للفلسطينيين والإسرائيليين كليهما.

وحق تقرير المصير يعني البقاء للفلسطينيين، وبقاؤنا لا يدمر بقاء الإسرائيليين مثلما يزعم حكامهم، أمس في خطابي أشرت إلى قرار الأمم المتحدة 181 كأساس للإستقلال الفلسطيني. وقد أشرت أيضا إلى قبولنا القرارين 242 و 338 كأساس المفاوضات مع إسرائيل في إطار المؤتمر الدولي. وهذه القرارات الثلاثة قبلها مجلسنا الوطني الفلسطيني في دورة الجزائر.

وفي خطابي أمس كان واضحا أننا نعني حقوق شعبنا في الحرية والإستقلال الوطني بموجب القرار 181 وحق كل الأطراف المعنية في صراع الشرق الأوسط في الوجود في سلام وأمن. وكما ذكرت، بما في ذلك دولة فلسطين وإسرائيل والجيران الآخرين بموجب القرارين 242 و 388.

أما فيما يتعلق بالإرهاب فقد أعلنت أمس بما لا يدع مجالا للشك، ذلك أنني أكرر لتسجيل المواقف أننا نرفض بالكامل وبشكل قاطع جميع أشكال الإرهاب بما في ذلك الأفراد والجماعات وإرهاب الدولة.

لقد أوضحنا مابين جنيف الجزائر موقفنا، وأن أي حديث على غرار "يجب أن يقدم الفلسطينيون أكثر" .. أتذكرون هذا الشعار؟ أو أنه "ليس كافيا" أو "إن الفلسطينيين يقومون بلعبات دعائية أو مناورات علاقات عامة". إن كل ذلك

سيكون ضارا وغير مثمر.. كفى .. يجب مناقشة كل المسائل المتبقية على المائدة وفي المؤتمر الدولي.

وليكن واضحا أنه لا عرفات ولا أي أحد يستطيع وقف الإنتفاضة.

فالإنتفاضة لن تنتهي إلا عندما تتخذ خطوات عملية وملموسة نحو تحقيق أهدافنا الوطنية وإقامة دولتنا الفلسطينية.

وفي هذا الإطار أتوقع أن تلعب دول السوق الأوروبية دورا أكثر فعالية في تعزيز السلام في منطقتنا، وأن عليها مسؤولية سياسية وعليها مسؤولية أدبية ويمكنها معالجة ذلك.

وأخيرا أعلن أمامكم، وأطلب منكم أن تنقلوا عني أننا نريد السلام وأننا ملتزمون بالسلام ونريد العيش في دولتنا الفلسطينية ونترك غيرنا يعيش.. وشكرا لكم..

وبعد أن أنتهى المؤتمر الصحفي بساعات قليلة، غادر أبو عمار جنيف إلى برلين وعندما كان في الجو جاءت الأخبار، أو تسربت من أمريكا، وتفيد أن الإدارة الأمريكية ستصدر خلال ساعة أو أقل بيانا تعلن فيه بدء الحوار. وبالفعل بعد أقل من ساعة صدر بيانان أحدهما من جورج شولتز وزير الخارجية، والآخر من الرئيس الأمريكي رونالد ريجان. ببدء الحوار مع المنظمة وتكليف السفير الأمريكي في تونس بدء هذه المهمة وحصرها به.

لقد حققنا مكسبا هاما، واجتزنا عقبة وضعها في طريقنا منذ أربعة عشر عاما هنري كسنجر، عندما قدم تعهدا رسميا لإسرائيل بعدم التحدث مع منظمة التحرير، ما لم تقبل القرارين 242 و 338 وبحق إسرائيل بالوجود، ثم أضاف شرطا ثالثا وهو نبذ الإرهاب، ولم يكتف بهذا بل أستصدر بشأنه قرارا من الكونغرس الأمريكي.

ماذا يعني حوار أمريكا معنا؟ إن ذلك يعني أننا كمنظمة تحرير فلسطينية أصبحنا وبشكل حتمي طرفا رسميا وأساسيا في أي حوار حول نزاع الشرق

الأوسط. وإذا كانت أمريكا جادة في الوصول إلى تسوية سلمية شاملة، فإن إسرائيل ستقبل بأسلوب أو بآخر بوجودنا وتعترف بهذا الوجود. وجدية أمريكا يمكن أن نستكشفها في المستقبل القريب. وفي هذه الحالة فإن إسرائيل لا تستطيع أن تقف وحدها أمام العالم لأنها تعرف ماذا يعني لها تأييد أو عدم تأييد أمريكا لموقفها.

لقد نظر إلى هذه الخطوة نظرات مختلفة، بحسب آراء أصحابها. فقد رحب جورج حبش بقرار الإدارة الأمريكية، واعتبره إنتصارا جديدا يضاف إلى قائمة الإنتصارات التي حققتها الثورة الفلسطينية، وقد أعطت الجماهير الفلسطينية بحسها الفطري إنطباعا إيجابيا لأنها وصلت إلى النتيجة القائلة بأن الحوار مع أمريكا ليس أمرا تفصيليا أو قانونيا، وإنما له أهمية قصوى لأنه يضع إسرائيل وحيدة في مواجهة العالم، وكذلك في مواجهة الولايات المتحدة نفسها، وهي ستكون غير قادرة على مواجهتها. أما في العالم العربي فقد كان مجمل الرد إيجابي ونقلت وسائل الإعلام العربية تصريحات زعماء العرب التي أيدت بدء الحوار.

واختلفت ردور الفعل في إسرائيل بين الشجب والترحيب، إلا أن الخوف كان السمة الرسمية لتلك الردود بسبب خطوات أمريكا، واعتبرتها في بعض المواقف أنها القشة التي قصمت ظهر البعير. حيث كانت إسرائيل تختفي وراء التعنت الأمريكي، وأصبحت الآن مكشوفة معزولة. وقد أعرب بيان صادر عن رئاسة الوزراء الإسرائيلية بتاريخ 1988/12/15 عن أسفه لقرار الإدارة الأمريكية، واعتبر أن الموقف الأمريكي لن يؤدي إلى إحلال السلام، وأكد أن إسرائيل لن تغير موقفها من المنظمة ولن تتفاوض معها. واعتبر بيان وزارة الخارجية الإسرائيلية أن هذا القرار يثير قلق إسرائيل، ويزيد إنتباهها إلى أن المنظمة بعد هذا القرار ستطالب الولايات المتحدة، باعتراف بالدولة الفلسطينية المعلنة، بسبب هذا الطلب بالذات، فإن إسرائيل ترى تهديدا على أمنها. ولا يمكن أن تتجاهله. وأشارت تصريحات رابين وبيريز إلى ضرورة النظر إلى التغييرات الجوهرية التي طرأت في المنطقة، وإلى القيام بمبادرة إسرائيلية سياسية تتمشى مع التطور الجديد، الذي نشأ في أعقاب القرار الأمريكي، حيث بدأت إمكانية التفاوض مع فلسطينيين يقبلون بقراري مجلس الأمن ويشجبون ويمتنعون عن ممارسة الإرهاب، وقد ذهبت بعض

التصريحات الصادرة عن اليسار الإسرائيلي إلى ضرورة الحوار مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي الولايات المتحدة سجلت ردود فعل عديدة. باركت الخطوة الأمريكية واعتبرتها خدمة للسلام، والتزاما بأمن إسرائيل وسلامتها واختبارا لعرفات، في مدى تقيده بالشروط التي وضعت، وقدرته على أن يقرن القول بالفعل.

وقد أصرت بعض هذه التصريحات على أن إستمرار الحوار الأمريكي الفلسطيني سيظل مرهونا بالتزام المنظمة وعرفات بأقوالها وأفعالها. وفي نفس الوقت فإن تصريحات وردت على لسان ريتشارد ميرفي في برنامج تلفزيوني بتاريخ 1988/12/18 أظهرت تفهم أمريكا لوضع عرفات ومدى سيطرته على الفصائل الفلسطينية المعارضة واستعداد الولايات المتحدة للنظر في كل حادثة إرهاب على حدة واعتماد الوسائل الجدية لمعرفة المتورطين من كل الجهات، وحرص الولايات المتحدة على أن لا يكون لمنظمة التحرير الفلسطينية صلة بأي حادث، حال قيامها بفصل من يكون له أي ضلع في أية عملية إرهابية.

وتعالت أصوات أخرى مسؤولة في الولايات المتحدة تطالب إسرائيل بطرح مبادرة سياسية إذا ما رغبت في الأمن. وعليها قبول حقيقة أن للفلسطينيين حقوقا سياسية مشروعة.

ولعل أبرز المواقف التي صدرت، ذلك الموقف الذي أعلنه رولان دوما وزير خارجية فرنسا من خلال إذاعة مونتي كارلو بتاريخ 1988/12/16، والذي أعلن فيه إرتياح فرنسا للقرار الأمريكي الذي إعتبره تقدما على طريق السلام، وأعرب عن أمله في عقد إجتماع سريع للدول الخمسة الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، للبحث في أساليب دفع عملية السلام.

وعلى الرغم من تواصل جلسات الحوار الفلسطيني- الأمريكي عبر سفارة الولايات المتحدة في تونس، فإن الحوار ظل في إطار مناقشات عامة، ولم ترتق إلى مستويات تصل إلى حد إرساء خطوات نحو تحقيق ما يؤدي إلى دفع عملية السلام في الشرق الأوسط وإبرازها إلى الوجود.

وقد إنقطع الحوار بعد أن إستغلت أمريكا قيام مجموعة عسكرية تابعة لأبي العباس بعملية على شاطئ تل أبيب في شهر مايو/ أيار 1989، مما حمل الولايات المتحدة على قطع عملية الحوار، لأنها إعتبرت العملية خرقا لشروط الحوار الفلسطيني- الأمريكي.

الفصل الرابع

قنوات خلفية مع الليكود

في لقاء جمعني مع منير فيلنر أمين عام الحزب الشيوعي الإسرائيلي في موسكو بعد إجتياح لبنان عام 1982 تحدث فيلنر عن واقعة حصلت له مع أرييل شارون في الكنيست حيث كان خارجا من بابه وشارون داخلا، فالتقت العيون ولم تلتق الألسن، فأمسك شارون بكتف فيلنر وقال له: لماذا لا تسلم علي؟ ولماذا تشيح بوجهك عني؟ فرد فيلنر: نعم أقصد دماء الفلسطينيين، أقصد حصار بيروت، شهوتك للقتل، ألا تعتقد أنهم بشر مثلنا ولهم حقوق مثلنا أيضا؟ فرد شارون وهو يغادر: ستعرف يوما أنني أنا الذي سيقيم الدولة الفلسطينية.

سألت فيلنر: هل تعتقد أنه صادق فيما يقول. أو أنه يقصد بالدولة الفلسطينية الأردن كما يصرح دائما؟ رد قائلا، لا أدري بالضبط ولكني لمست في صوته لهجة جادة لم أعهدها من قبل، قد يكون قصده ما قلت، وقد يكون غير ذلك. ولكني أروي لك هذه الواقعة لتمحصها، فليس في السياسة ثوابت ولا جوامد، كل شيء عند السياسيين قابل للمناقشة. إستغربت جدا أن أسمع مثل هذا الكلام على لسان زعيم ليكودي متطرف، تقوم سياسة حزبه على نظرية الترحيل للفلسطينيين، بل أن شعر حيروت لا زال قائما، والذي يعتبر الأردن بضفتيه وطنا قوميا يهوديا ويكتبون تحت خارطة الضفتين هذه لنا .. وهذه أيضا لنا .. وبهذا فقط (رسم بندقية). ونعرف أن جابوتنسكي زعيم التحريضيين ومنشئ حركة حيروت، إنفصل عن الوكالة اليهودية لأنها تهادنت في أهداف الحركة الصهيونية، وقبلت أن يتقلص الوطن القومي ليشمل فلسطين فقط.

ظل حوار فلنر- شارون عالقا في ذهني لا يفارقني، وكنت أتساءل في نفسي لماذا لا يكون صحيحا؟ لماذا لا نجرب الإتصال مع هذا الرجل أو غيره من أعضاء حزبه؟ إن الحوار لن يكون بين أصدقاء، وإنما بين أعداء. لقد إتخذ مجلسنا الوطني قرارا سمح لنا بالإتصال فقط مع القوة التي تعترف بحقوقنا. وكنت أرغب أن يوسع مجلسنا الوطني السماح بهذه الإتصالات لكي يشمل

القوة الرافضة وحتى القوة المعادية. لأن مثل هذه الإتصالات هي التي تؤدي بالنتيجة إلى إتفاق يشمل القوة المعادية وغير المعادية في إسرائيل.

إعتبارا من عام 1977 ووصول الليكود إلى السلطة تهمش، دور حزب العمل وأصيب بنوع من الضعف والهزال، خصوصا وأن خروج إيغال يادين منه واستقطابه لعدد من القادة التاريخيين جعل حزب العمل يصل إلى أدنى درجة ضعف في تاريخه. ولم يستطع في الجولات الإنتخابية المتتالية أن يستعيد وعيه ومكانته، وبقيت الكلمة الأولى في إسرائيل لليكود وللمتحالفين معه من صقور العمل والأحزاب الدينية. حتى عندما يحصل تساو في الأصوات، فإن فرص الليكود لتشكيل الحكومة كانت أوفر من فرص العمل، وذلك لأن الليكود حزب متماسك، ولديه شهوة للسلطة إنتظرها ثلاثين عاما في صفوف المعارضين، بينما أصبح العمل، بسبب التنافس الشخصي وربما السياسي بين رابين وبيريز، أكثر تفككا وضعفا. وهكذا لم يكن أمامنا إلا أن نبحث في صفوف الليكود عمن يرغب في لقائنا والحديث معنا .. إلى أن جاء لقاء عميراف- نسيبة.

لقاء عميراف/ نسيبة:

تصاحب لقاء عميراف- نسيبة مع نشاطات أخرى ولقاءات أخرى جرت في وقت متزامن وفي أماكن مختلفة، أثارت نوعا من الجدال السياسي في أوساط الإسرائيليين والفلسطينيين على السواء. وعلى الرغم من أن هذه اللقاءات لم تؤت أكلها في وقتها، ولم تؤد إلى نتائج مباشرة، إلا أنها أوجدت أرضية صالحة للحديث والحوار، وخلقت تراكمات تفيد مع إستمرارها وبمرور الزمن، ليبني عليها ما وصلنا إليه هذه الأيام وما حققناه أخيرا يوم 1993/9/13

إن ما كان يهمنا من نضالنا المسلح هو أن لا نكتفي بصوت السلاح الذي يطرق أسماع الإسرائيليين. وإنما يهمنا أيضا أن تصل مع الرصاصة كلمة، كلمة تقول للإسرائيليين تعالوا إلى كلمة سواء، تعالوا لنجلس سويا على طاولة واحدة نتحدث فيها عن همومنا المشتركة، وآمالنا وأحلامنا، تعالوا نبني للأجيال القادمة مستقبلا أفضل من حاضرنا، فإذا وصلنا نحن إلى قناعة بأنكم موجودون فما عليكم إلا أن تقابلونا بنفس هذه القناعة، ونأمل أن تكونوا قد توصلتم إلى الإستنتاج الذي يقول بأن شمس الصحراء

العربية لم تذب الشعب الفلسطيني، وإن حواراتكم مع الجيران لا تغني أبدا عن الحوار مع أهل الأرض وأصحابها المشتاقين إليها، التواقين إلى هوية وعنوان. إن سنوات الهجرة الطويلة المريرة وأيام الضياع والظلم التاريخي، لم تنسي هؤلاء حاجتهم إلى الهوية والعنوان، وأن حياة الرغد والسعة التي عاشها بعض هؤلاء زادتهم إحساسا ورغبة واندفاعا نحو ما ينقصهم وما هم بحاجة أبدية إليه. الصراع العربي الإسرائيلي أو بمعنى أدق الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، هو صراع قائم على نفي أحدهما للآخر، صراع شعبين على أرض واحدة وكل يدعي أنه صاحب الحق فيها، ويقدم براهينه وحججه، إلا أن ما يحكم النتيجة ليس الحق وليست البراهين والحجج، أنه الأمر الواقع والقوة. وفي هذا العصر وفي غيره من عصور التاريخ تبقى القوة الأمر الواقع والحكم الفاصل في كل القضايا.

إن مشكلتنا هي مع أولئك الذين يرون العالم من منظار قناعاتهم وفهمهم لمساره من خلال أيديولوجياتهم التي تناقلوها عبر السنين، فإذا أضفنا إلى ذلك تمتع هؤلاء بالتفوق التكنلوجي والعلمي والقوة العسكرية والتأييد العالمي، فلا أعتقد أنهم سيجدون أي مبرر لتراجعهم أو العدول عن مواقفهم.

إن هذا المفهوم ينطبق على كثيرين من رجال الليكود والأحزاب الدينية واليمينية المتطرفة التي لا زالت تضع على عينها غشاوة سوداء حتى لا ترى التطورات العالمية والمتغيرات الدولية التي طرأت، والتي تفترض على كل إنسان أن يعيد حساباته ويراجعها، والتي أوصلت إسرائيل إلى مأزق إستراتيجي في منطقة الشرق الأوسط لا يمكنها الخروج منه إلا برضوخها وتعاملها مع حقائقها، وأولها الإعتراف بحق الشعب الفلسطيني في أرضه، وإعادة النظر في كل سياساتها وتعاملها مع دول المنطقة وشعوبها.

إن قصة عميران- نسيبة تدل على أن بعضا من أطراف اليمين بدأ يراجع نفسه ويتلمس الحقائق، وإن كان على إستحياء. وسترى ميف تمت وإلى أين إنتهت.

بدأت الحكاية يوم 4 يوليو/ تموز 1987 في بيت موشيه عميراف عضو المؤسسات المركزية في حيروت ورجل الليكود القريب جدا من إسحاق شامير، وبحضور سري نسيبة وصلاح زحيقة، ودار الحديث حول الحل المفضل للقضية

الفلسطينية، حيث أن عميراف معروف بآرائه الليبرالية من القضية العربية، ومعروف عنه أيضا أنه يرى أن لا مفاوضات بدون مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية.

وكان الواسطة في هذا اللقاء دافيد إيش شالوم، يهودي من أصل شرقي كتب مؤخرا كتابا عنوانه «الرعب والأمل». وقد إقترح فيه إقامة كيان فلسطيني غير مسلح في يهودا والسامرة وقطاع غزة بقيادة المنظمة. وقد دار مع كتابه على وزراء وأعضاء الكنيست بدءا بأعضاء حزب العمل، ولكنه وجد في حزب حيروت وعند الفلسطينيين آذانا صاغية كما وجد أنه يوجد تحت السطح تيارات في حزب حيروت، تتخوف من إستمرار الوضع الراهن، وترى في حل القضية الفلسطينية مراهنة للحفاظ على الوجه الخلقي للدولة.

موشي عميراف ومثله كثيرون في حزب حيروت يرون أن مبادرة من الليكود نحو الفلسطينيين شوف تضع المعراخ في موقف حرج جدا، لأنه لن يستطيع معارضتها، الأمر الذي سيؤدي إلى إنتصار الليكود في إنتخابات 1988، لذلك فهو يرى أن هناك مصلحة مشتركة لليكود والفلسطينيين في إقامة حكم ذاتي كتسوية مرحلية مقبولة من الطرفين. ومثل هذه التسوية لا تتم إلا مع المنظمة، حيث أنه لن يوافق أي فلسطيني على كونه عضوا في «المجلس الإداري» بدون موافقتها.

هذه الأفكار إتفاق إيش شالوم وعميراف على تسويقها، الأول يسوقها لدى الفلسطينيين والثاني لدى حيروت. وعندما عرض الأخير أفكاره على شامير لم يرفضها ولكنه لم يوافق عليها، وقد عبر شامير عن خشيته أن يستغل الفلسطينيون هذه الأفكار لصالحهم داخل حيروت، إلا أن عميراف قال فيما بعد أن مجموعة من الشخصيات القيادية في حيروت تتفق معه على الحاجة الملحة لحل القضية الفلسطينية، إلا أنهم يضعون حواجز أمام أنفسهم. ومن هؤلاء الوزير موشيه كتساف وأعضاء الكنيست منير شطريت، دان مريدور، إيهود أولمرت، وابن رئيس الحكومة السابق بنيامين بيغن.

هذه الأفكار حملها نسيبة وزحيقة إلى فيصل الحسيني، لكي يتم اللقاء الثاني في بيت سري نسيبة في قرية أبو ديس يوم 1987/7/13. حضر هذا

اللقاء الصحفي أشالوم وعميراف، وفيصل الحسيني. وفي اللقاء إتفق عميراف والحسيني على أن حلم ضفتي الأردن[6] من جهة وحلم يافا وحيفا من جهة أخرى لن يتحققا أبدا. ثم دار حديث، قادة الحسيني من جهة وعميراف من جهة أخرى، وشارك فيه أشالوم حول مختلف القضايا، وكان واضحا أنه إقرار من الجانب الإسرائيلي بشرعية تمثيل المنظمة. ثم تحدثوا عن الدولة الفلسطينية المقبلة وأسلوب تسليحها والضمانات الدولية والمفاوضات ووقف العنف وغير ذلك، ثم غادر الحسيني المكان واتفق أن يعد عميراف ورقة عمل يلخص فيها أفكاره.

اللقاء الثالث تم في معهدة الدراسات العربية في 1987/7/30 حضره عميراف وإيش شالوم ونسيبة مع فيصل الحسيني. وقال عميراف أن عضوي الكنيست أهودا أولمرت ودان ميريدور سينضمان للمحادثات فيما بعد. وكذلك مدير مكتب رئيس الحكومة. إلا أنهم لم يفعلوا في الوقت المحدد بسبب تسرب الخبر إلى صحيفة علهمشار، ومع ذلك فإن أولمرت إلتقى نسيبة في بيته ولم يتطرق إلى أية مواضيع جدية.

وفي اللقاء الرابع في 22 آب/ أغسطس1987 وضعت الصيغ لورقة تفاهم تكون أساسا للنقاش بين القيادات، وطرحت إمكانية سفر عميراف إلى جنيف للقاء عرفات. تحدث الجميع عن تفاصيل دقيقة تتعلق مثلا بشكل نقود الدولة الفلسطينية والسفارات التابعة لها وجوازات السفر أو شهادات السفر وغير ذلك من التفاصيل وكان الأمر حديثا عن إتفاقية سلام حقيقية.

اللقاء الأخير تم في 22 آب/ أغسطس 1987 في فندق Orient House الذي تملكه عائلة الحسيني، حيث قال عميراف بأن الورقة التي أعدها سلمها إلى أعضاء مهمين في وفد رئيس الحكومة المغادر إلى رومانيا. وفي الورقة تسوية مرحلية لفترة من ثلاث إلى خمس سنوات يتم خلالها إنشاء كيان فلسطيني منزوع السلاح في الضفة وغزة، والعاصمة الإدارية لهذا المكان تكون القدس الشرقية. ويتمتع هذا الكيان بميزات قوية جدية، من بينها علم ونشيد وطني وعلاقة كونفدرالية مع الأردن، وفي الفترة الإنتقالية ستسحب إسرائيل جيشها من التجمعات السكنية العربية، ولكنها ستستمر في

6 ضفتا الأردن شعار حيروت، أي أن الدولة اليهودية لا تضم فلسطين فقط بل الأردن أيضا.

سيطرتها على نقاط إستراتيجية تحدد على طول نهر الأردن. وفي نهاية الورقة ثلاث شروط للبدء بالمفاوضات بين الجانبين، أولها وقف متبادل لأعمال العنف، والثاني تجميد المستوطنات، والثالث إعتراف متبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير.

كان يفترض أن تنقل الورقة إلى عرفات في جنيف، ولكن الحسيني إعتقل لمدة ثمانية أيام، ولم يسافر عميراف إلى جنيف لأنه لم يلتق -حسب قوله- ضوءا أخضر من شامير.

وعندما كشف الأمر، إعترف شامير بأنه كان يعرف عن أحد اللقاءات التي تمت في بيت عميراف وأنكر إعترافه بالباقي، كان ذلك في إجتماع للحكومة الإسرائيلية، لكن عميراف قال أنه قدم له تقريرا عن لقائه معه سري نسيبةوبالتالي فهو موجود بالصورة، وأن المستند الذي كتبه قد وصل إلى شامير بالفعل.

وقال إيش شالوم أن عميراف طلب منه يوم 16 آب/ أغسطس 1987 أن يوقع على ورقة مكتوب فيها: أن أي نشر عن أعمال أو أقوال أو نشاطات رئيس الحكومة ومساعديه من الموظفين الكبار وحتى أعضاء الكنيست بما يتعلق بالإتصالات مع الحركة الوطنية الفلسطينية يلزمه سلفا موافقة عميراف على ذلك خطيا. وهذا يعني من وجهة نظره أن رئيس الحكومة ومساعديه شركاء في هذه المبادرة.

في لقاء مع سري نسيبة أجرته مجلة هاعولام هازيه في 1987/10/6 قال: جاءني ديفيد إيش شالوم وقال أن له أصدقاء في الليكون معنيون بالإتصال مع منظمة التحرير الفلسطينية إنهم من أولئك الذين إهتموا باللقاءات بين الإسرائيليين والفلسطينيين التي جرت في بوخارست وبودابست، وفي بيت عميراف ذكر هذا أسماء دان مريدور، وإيهود أولمرت أعضاء كنيست، والدكتور بنيامين زئيف بيغن وهانغبي إبن غيئولا كوهين وغيرهم. ثم قال أنه يؤمن بأن الفلسطينيين شعب لهم نفس الحقوق على أرض إسرائيل كالشعب اليهودي، ولهم حق تقرير المصير وإقامة دولة لهم وانتخاب ممثليهم، ولئن كانت منظمة التحرير الفلسطينية حسب تقديرهم هي ممثلة فليكن، إلا أنه شرح أن نشر

هذه الأفكار علنا ستحطمه. ولذلك فقد تحدث عن سرية الإجتماعات، بينما نحن لم نبال بالنشر لأن الأمر لا يغير عندنا شيئا. فالمبادئ التي تكلمنا عنها هي ضمن الموقف الفلسطيني، إلا أننا إحترمنا إرادته وحافظنا على السرية.

وعندما ذهب إيش شالوم إلى جنيف والتقى عرفات ليسأله إذا كان على إستعداد لإعطاء رسالة تتضمن نفس النقاط الواردة في الورقة، سأله عرفات إن كان مندوبا عن الحكومة الإسرائيلية، ولما نفى، قال عرفات أنه ليس هاويا سياسيا، وبالتالي فهو ليس على إستعداد لإعطاء رسالة لأحد، وهو بهذا أصاب عصفورين بضربة واحدة، من ناحية لم يعطي رسالة ومن ناحية أخرى وغير مباشرة نجح بتبليغ الجمهور الإسرائيلي أنه بشكل مبدئي موافق ومستعد للأشياء التي دار الحديث عنها.

تقول مصادر إسرائيلية أنه بعد الإنتهاء من الوثيقة بثلاث ساعات تم إعتقال فيصل الحسيني، وأصدر إسحاق رابين أوامر بقصف مخيم عين الحلوة قصفا وحشيا، حل كل ذلك في الوقت الذي كان مقررا أن يسافر عميراف إلى جنيف للقاء عرفات.

بعد كل هذا، ما هي حقيقة الوثائق الذي قدمها عميراف، وما هي البنود التي وردت فيها. وما هي الشروط المسبقة وغير ذلك، وهذه هي نقلا عن صحيفة الشعب المقدسية في 1987/9/23.

1. الحقوق الوطنية بما فيها حق تقرير المصير للشعبين في هذه البلاد هي حقوق غير قابلة للتصرف.
2. إن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني ولها وحدها صلاحيات تمثيل الشعب الفلسطيني في أية مفاوضات مع الحكومة الإسرائيلية، مع الإقرار بحق إسرائيل بالوجود ضمن حدود آمنة ومعترف بها.
3. إن أية محاولة للتوصل إلى إتفاقية سلام بمعزل عن حزب الليكوك وعن منظمة التحرير سيكون مصيره الفشل.
4. الأوضاع الحالية لا تحمل في طياتها إمكانية التوصل إلى تسوية لحل الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي.

ونحن نتفق على مايلي:

1. وجود مرحلتين للمفاوضات بين منظمة لتحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية، وبحيث تؤدي المرحلة التمهيدية إلى التوصل إلى إتفاقية إنتقالية، على أن تؤدي المرحلة إلى التوصل لاتفاق سلام نهائي.
2. المرحلة التمهيدية من المفاوضات يمكن أن تبدأ عبر بلد آخر يتفق عليه، وتبدأ المرحلة الثانية من المفاوضات بعد مرور عام على تطبيق الإتفاقية الإنتقالية، وسوف تقرر الأطراف المتفاوضة طبيعة الشكل النهائي لمؤتمر السلام والضمانات الدولية المطلوبة لدعم إتفاقية السلام النهائي، ويكون مفهوما أن الإتفاقية الإنتقالية، تستمر لمدة تتراوح بين ثلاث إلى خمس سنوات.
3. مفهومنا للمرحلة الإنتقالية يكون على أساس إقامة كيان فلسطيني في المناطق التي وقعت تحت السيطرة الإسرائيلية في يونيو/ جزيران 1967 مع وجود عاصمة إدارية في الجانب العربي من القدس، ويتمتع السكان الفلسطينيون في هذه المناطق بإدارة شؤونهم بأنفسهم بطريقة يتفق عليها في المرحلة الأولى من المفاوضات، ويؤخذ بالحسبان الحقوق المشروعة لهذا الكيان الفلسطيني على الموارد الطبيعية، وفي نفس الوقت متطلبات إسرائيل منها. ويقوم الفلسطينيون بإدارة شؤونهم بأنفسهم بعد عام من توقيع الإتفاقية الإنتقالية.
4. ويكون مفهوما أن هذا الكيان يحق له أن يمارس شعاراته الوطنية كالعلم والعملة الخاصة به والنشيد الوطني وشبكة إتصالات إذاعية وتلفزيونية مستقلة، بالإضافة إلى إصدار هويات خاصة ووثائق للسفر وصلاحيات أخرى يتم الإتفاق عليها في المفاوضات، مع الأخذ بعين الإعتبار أن لا تمس هذه الصلاحيات بظروف السلام المنشود بين هذا الكيان وإسرائيل.
5. يتم التوصل إلى إتفاقية شاملة بخصوص إقامة هذا الكيان وبخصوص أوضاع المستوطنات الأسرائيلية والمستوطنين وعودة الفلسطينيين وإعادة إسكانهم واقتسام الموارد والإقتصاد والتعاون التجاري .. إلخ، خلال المرحلة الأولى من المفاوضات بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية.

بالإضافة إلى ذلك ونظرا إلى الحاجة لخلق الأجواء المناسبة لإقامة المفاوضات يتم الإتفاق على مايلي:

أ. تقوم إسرائيل بالإعلان عن إعترافها بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني. وتعترف منظمة التحرير الفلسطينية بنفس الوقت بدولة إسرائيل.
ب. يعلن الطرفان عن إستعدادهما للقيام بمفاوضات مباشرة فيما بينهما للتوصل إلى تسوية.
ج. تعلن إسرائيل رسميا عن تجميد كافة نشاطاتها الإستيطانية في المناطق المحتلة مع التوقف عن أعمال العنف ضد أبناء الشعب الفلسطيني وممتلكاته خلال المرحلة الأولى، كما تعلن منظمة التحرير الفلسطينية عن وقف كافة أعمال العنف ضد إسرائيل وشعبها وممتلكاتها، ويكون مفهوما أن المرحلة النهائية من المفاوضات ستؤدي إلى إقامة دولة فلسطينية مستقلة.

محاولات مع شارون

بعد فشل تجربة عميراف- نسيبة، إستنتجنا أن الفشل لم يكن نهائيا، وأنه بالإطلاع على حيثيات هذه التجربة، إكتشفنا أن عميراف لم يقدم على هذه الخطوة منفردا وبصفة شخصية، بل أنه إستشار عددا من قادة الليكود بما في ذلك مدير مكتب شامير. كما أن عددا من الوزراء كانوا على إطلاع على محاورات عميراف، وهذا يعني أن المسألة غير مرفوضة من حيث المبدأ من قبل أوساط الليكود. لذلك كان علينا أن نبحث عن طريق آخر نواصل من خلاله إستمرار الحوار. وقد رغبنا أن يكون الحوار مع أشد الإسرائيليين عداوة وقسوة، أرييل شارون.

شارون شخصية تبحث عن موقع قيادة، وطموحانه أكبر بكثير من قدراته الشخصية والسياسية، وحيث أنه لا يعرف عن نفسه، إلا أنه زعيم ملهم، فهو يتطلع دوما إلى التغيير عله يتبوأ يوما كرسي الرئاسة. في بداية السبعينات كان عضوا في حركة حيروت التي كانت تتآلف مع بعض الحركات الصغيرة لتشكل تجمعا إسمه «جاحال». شارك هذا التجمع في حكومة الإئتلاف الوطني التي شكلت عشية حرب يونيو/ حزيران 1967 وبعد ذلك إنفصل شارون عن حيروت وأسس قائمة مستقلة إسمها «شلوميت تسيون» حيث حصلت في الإنتخابات على مقعدين كان أحدهما له. عاد بعد ذلك لينضم إلى تكتل الليكود ويتمتع بدور ريادي فيه، وشكل هذا

التكتل حكومته إثر إنتخابات 1977، لم يلمع إسمه إلا في مناسبتين الأولى عندما قام بخرق الدفرسوار على قناة السويس والثانية عندما إجتاح بيروت في يونيو/ حزيران 1982 شغل منصب وزير الإسكان وكان حريصا على بناء المستوطنات والمساكن بشكل عشوائي، من أجل أن يحقق حلمه الصهيوني في السيطرة الكاملة على الأرض المحتلة.

بعد إنتخابات الدورة الثالثة عشرة للكنيستوسقوط الليكود، كان من ضمن أربع مرشحين للتربع على عرش حزبه، وهم شامير، أرينز، ليفي وشارون. وظهر بعد إعتزال شاميرو أرينز أن حظه سيكون وافرا، إلا أن نتنياهو تفوق عليه فأصيب بالإحباط.

قام (م.د) الذي لا نريد أن نذكر إسمه حفاظا عليه، بإجراء إتصالات تمهيدية للقاء مع شارون، لدى أحد مدراء المخابرات الإسرائيلية، الذي أعطى لنفسه إسم (بوني) والذي كان يتقن اللغة العربية، ويحمل درجة الماجستير في العلوم السياسية. وقد إجتمع معه في فندق شيراتون تل أبيب يوم 1992/3/20 وجرى الحوار التالي:

بوني: من أين تعرف أبا مازن ومتى عرفته.

م.د: عرفته منذ زمن بعيد عندما كنا زملاء بالمدرسة.

بوني: من يؤيده في اللجنة المركزية.

م.د: إنه يمثل التيار الذي يريد الحوار مع إسرائيل وهذا يشمل معظم أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية.

بوني: عن ماذا يريد أن يتكلم معنا.

م.د: تعرفون أن المفاوضات لم تتقدم، وهو يرغب أن يتم الحوار مباشرة مع المنظمة، وكل أمر قابل للتفاوض.

ثم جرى لقاء آخر يوم 25 ابريل/ نيسان 1992 مع طرف آخر من المخابرات الإسرائيلية. وانتهى الإجتماع. وعاد (بوني) و (م.د). ليلتقيا مرة أخرى يوم 1992/5/2 في نفس المكان. وجرى الحوار التالي:

م.د: أنا فلسطيني ولي مصلحة في الحل. ونجاحي يحقق لي سمعة طيبة ورصيدا لدى شعبي.

بوني: هل تلتقي مع أبي مازن في الأردن.

م.د: نعم نلتقي.

بعد ذلك قال بوني: لقد إجتمعنا نحن المدراء الخمسة. وقيمنا النائج ورفعناها للحكومة. أرجو أن تفهموا أننا إذا لم نعط جوابا سريعا فهذا لا يعني الرفض.

وبهذه المناسبة فقد أبلغنا الحكومة أن عرفات مطلع على هذه الإجتماعات.

وقد مهدت هذه اللقاءات لإجراء أول إتصال مع شارون من خلال (م.د) وهو فلسطيني من الضفة الغربية له أخ يعيش في إسرائيل. وذلك في يوم 1992/6/6 حيث وجهنا إليه أسئلة. وحصلنا على إجاباتها كما يلي:

س: هل أنت مستعد أن تتحدث عن عملية السلام.
ج: نعم.

س: هل أنت مستعد لإجراء لقاءات معنا.
ج: نعم.

س: ما هو موضوع النقاش.
ج: مفتوح.

س: أين المكان.
ج: يمكن الإتفاق عليه.

وبعد تسرب الخبر إلى الصحافة، إلتقى (م.د) مع شارون وكان اللقاء الأول المباشر معه، راح شارون يرغي ويزبد زقال: أنهم يريدون أن يبتزوني ويدمروا مستقبلي السياسي ثم قال: قد نفوض سالي موريدور للقاء معكم، ولكن عليهم أن يفهموا أن أي لقاء بعيد عن أمريكا لن يتم، وهم مخطئون إذا فكروا بغير ذلك.

محاولة ديفيد كمحي:

ديفيد كمحي إسم مشهور في عالم الموساد، خبير في الشؤون الإيرانية، مسؤول حاليا عن العلاقات مع الجمهوريات الإسلامية السوفييتية السابقة. وهو من أصل إيراني هاجرت عائلته إلى فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل. عمل في العلاقات الإفريقية- الإسرائيلية، ترأس لجنة اللاجئين في الوفد الإسرائيلي إلى أوتاوا في المفاوضات المتعددة الأطراف. لعب أدوارا هامة في هجرة اليهود، وأصدر مع شقيقه جون كمحي كتابا إسمه «الدروب السرية» عن الهجرة غير الشرعية إلى فلسطين. كما أصدرا سويا صحيفة جويش كرونيكل. وكان مؤخرا مديرا عاما لوزارة الخارجية إبان مرحلة كامب ديفيد، ثم عمل سفيرا متجولا.

ديفيد كمحي ينتمي إلى تكتل الليكود، وقد جرت إتصالات مع الليكود، إلا أن هذه الإتصالات لم يكتب لها التقدم أو النجاح لأنها كانت تكشف بوقت مبكر، بحيث لا يتيح لها أن تثمر أية نتائج، أو أن أعضاءا في الحزب لا تروق لهم مثل هذه الإتصالات. أو لأنها تجري مع شخص دون آخر أو جناح دون آخر مما يثير تنافس بين الأشخاص والأجنحة تؤدي إلى كشفها. إن تلك الإتصالات لمجرد وقوعها تملي علينا أن نغوص في أعمال الليكود لنبحث عن الأسباب الأيديولوجية أو النظرية السياسية التي تدعو إلى تلك الإتصالات التي يقبل بها البعض على غير ما هو معروف عن تطرف هذا التكتل الذي قاده إلى السلطة مناحيم بيغن وورث زعامته إسحاق شامير منذ عام 1982.

لا أستطيع أن أقبل أن اليهود كلهم يحملون نفس الأفكار والمعايير السياسية والإنسانية لمجرد أن دولة إسرائيل دولة يهودية، أو دولة اليهود كما يحلو للبعض أن يسميها. وإذا تعمقنا أكثر نصل إلى إستنتاج آخر، وهو أن الصهاينة أو معتنقي الفكر الصهيوني ليس نمطا واحدا من البشر والأفكار

والسلوكيات. وهذا ينطبق على الأحزاب أيضا، فليس كل من ينتمي إلى حزب يميني يصنف متطرفا. وكل من ينتمي إلى حزب يساري يصنف معتدلا. لقد جمع الليكود عيزرا وايزمن وميناحيم بيغن إلا أن الإثنين مختلفين في الأفكار والإتجاه السياسي ولم يلبثا أن إفترقا.

وكثيرون مثلهم ليس بالضرورة أن يفترقوا وإنما يمكن ولأسباب كثيرة أن يتعايشوا تستمر بينهم الرابطة الحزبية. وهذا ينطبق على موشيه شاريت وديفيد بن غوريون أو آبا إيبان وغولدا مائير من حزب العمل، كذلك فإن الظروف والمتغيرات والسن تؤثر على فكر الإنسان وتحوله وتطوره. فموشيه ديان المتورط في الخمسينا بفضيحة لافون ليس موشيه دايان في السبعينات، الذي يسعى إلى السلام ويستقيل من وظيفته كوزير للخارجية، لأنه إختلف مع بيغن على النهج والأهداف ليحقق السلام مع مصر.

وكثيرا ما نسمع في داخل الحزب الواحد عن أجنحة مختلفة. ففي حزب العمل كانت هناك مجموعة ال 17 التي تشير إلى عدد جناح الحمائم من أعضاء الكنيست التابعين لهذا الحزب، مقابل عدد متقارب معهم يسمى جناح الصقور. وكان الأول بزعامة شمعون بيريز والثاني بزعامة رابين. وكم كنا نشعر أثناء حكومات الإئتلاف أن إسحاق رابين أقرب إلى إسحاق شامير من سمعون بيريز بسبب مواقفه المتطرفة. ثم يأتي اليوم الذي يقف رابين علة منصة في البيت الأبيض يصافح ياسر عرفات. وفي الليكود تحدثوا كثيرا عن الجناح المعتدل في شريحة الأمراء، مقابل الجناح المتطرف الذي يقوده الكهول. بطبيعة الحال إن النظرة الواحدة لكل الإسرائيليين خاطئة، كما تكون خاطئة أيضا إذا إنسحبت على الأحزاب والفئات ومختلف التسميات. والخطأ الأكبر هو أن تشمل مثل هذه النظرة اليهود، كل اليهود في العالم. وعودة إلى البدايات نرى أن آحاد هاعام الذي يعرف بآشر غينزبرغ والذي ولد عام 1886 وهو الذي أسس حركة بني موسى. بنى مؤسسات صهيونية ثقافية في فلسطين وقال: إنهم يستشيطون غضبا ممن يذكرونهم بوجود شعب آخر يعيش هناك في فلسطين ولا ينوي المغادرة. لقد كان هيرتزل يتصور أن فلسطين لا شعب لها وكنت مثله أتخيل أنها مستنقعات، لكني أرى شعبا وحضارة وأطفالا وبرتقال. فإذا أخذناها وطردناهم منها فنحن نرتكب ظلما كبيرا.[7]

7 كتاب صك المؤامرة - إصدار دار الفتى العربي، 1991 ص 52

ونذكر في هذا السياق أن أدوين صموئيل مونتاغو، الوزير اليهودي الوحيد في وزارة لويدجورج، دخل في معركة حامية مع رئيس الوزراء ووزير الخارجية آرثر بلفور حول الوعد الشهير، لأنه كان يعتقد أن مثل هذا الوعد لا يسعى لتحقيق مصالح اليهود، وأن مستقبل اليهود وماضيهم لا يهم الواعدين، وأن هذا الوعد ليس لحل مشاكل اليهود وإنما لحل مشكلة الإمبراطورية. ويقول مونتاغو: «أصبحنا نحن اليهود لعبة في يد الدول الكبرى تستخدمنا للحفاظ على مستعمراتها، وتأمين طرق مواصلاتها». وكان لويد جورج بالذات يقول في جلساته الخاصة: أن ترك الأماكن المقدسة في فلسطين تحت رحمة فرنسا، يضرب نفوذ بريطانيا في الصميم.

إذا إعتبرنا أن الخلاف بين هيرتزل وآحاد هاعام نمطا من الخلاف بين المؤسسين الأوائل للحركة الصهيونية، وهو خلاف جذري وشامل، فإننا نواجه في قضية مونتاغو نمطا آخر من التوجهات الفكرية والسياسية بين اليهود وغير اليهود، فيما يتعلق بأساس الفكر الصهيوني وأهدافه ومنطلقاته.

ولذلك فإن النظرة المبسطة والمريحة لهذه الظاهرة لا يمكن أن تؤدي إلى أية إستنتاجات صحيحة في التعامل الحالي أو المستقبلي مع مسألة الصراع العربي الإسرائيلي. وبالتالي فلا يمكن إطلاقا أن نفهم ماذا يجري في منطقتنا وعلى أرضنا بدون نظرة تحليلية معمقة للماضي والحاضر والمؤسسات والأفكار والأشخاص والظروف والأحزاب وغير ذلك بما يضمن لنا فهما حقيقيا لطبيعة الأشياء.

لقد إنفصل في العقد الثالث من هذا القرن، فلاديمير جابوتنسكي عن الوكالة اليهودية وأسس حركة التحريفيين أو التي أطلق عليها هذا الإسم من قبل خصومها، بينما يقول هو أنها حركة التصحيحيين. تلك الحركة التي تعتبر الأساس التنظيمي والفكري والسياسي لتكتل الليكود الحالي أو بمعنى أدق لحركة حيروت، العمود الفقري لهذا التكتل.

وفي كتاب «الجدار الحديدي» تحدث عن العرب والفلسطينيين. ولم يكن حديثه منسجما مع الفكر الهيرتزلي، بل يفصله عم هامش واسع، فهو لا ينكر وجود الشعب الفلسطيني على أرض فلسطين، ولا ينكر حقه في فلسطين

ولا يتجاهل تمسكه به كوطن. وإن كان يحاول أن يبحث عن صيغة لا تجعل فلسطين لشعبين فيقول: إن طرد العرب من فلسطين يستحيل بالمطلق وبأي شكل من الأشكال. سيكون هناك دائما شعبان في فلسطين. إنني فخور بكوني من تلك المجموعة التي قامت بصياغة برنامج هلسنكي. لقد قمنا بصياغته ليس فقط من أجل اليهود، ولكن من أجل جميع الشعوب، وأساسه هو المساواة بين جميع الأمم، وأنا على إستعداد لأن أقسم، من أجلنا ومن أجل أحفادنا بأننا لن ندمر هذه المساواة أبدا، وبأننا لن نحاول أبدا أن نطرد العرب أو أن نضطهدهم.

ثم يضيف جابوتنسكي: أن بيننا من يحاولن إقناعنا بأن العرب هم صنف من الأغبياء الذين يمكن خداعهم من خلال صياغة ملطفة لأهدافنا، أو أنهم قبيلة من المتلهفين للمال والذين سيتخلون عن حقهم الموروث في فلسطين مقابل مكاسب إقتصادية. أنا أرفض بالمطلق هذا التقييم للعرب الفلسطينيين.

وأخيرا يقول: ستظل فلسطين بالنسبة للفلسطينيين ليست فقط منطقة حدودية بل مسقط رأسهم ومركز وأساس وجودهم الوطني الخاص. ليست مهمتي أن أبرز محاسن أفكار ومواقف بعض الزعماء الصهاينة أوأخترع لهذه الأفكار حسنات ومزايا. وإنما أبرز الحقيقة كما هي لنتعامل على أرض الواقع على أساسها وفي ضوئها دون أوهام.

يعرف الإسرائيليون أن فلسطين لم تكن في يوم من الأيام أرضا بلا شعب، ويعرفون أنهم عندما أقاموا دولتهم هذه ظلموا هذا الشعب وأساءوا إليه وحاولوا تدميه. إلا أن المشكلة الصعبة التي يواجهونها هي، هل يعترفون بذلك؟

تقول اليهودية الأمريكية هيلدا سيلفر مان: حتى يتضامن اليهودي أو الإسرائيلي مع الفلسطينيين عليه أن يراجع كل ما قام به ضدهم في الماضي، وهذه المراجعة تعني الإقرار بحجم المأساة التي سببها لهم، لذلك فبالنسبة للغالبية فإن الإصرار على أن ما فعلوه هو الصحيح يدفعهم للإستمرار في التطرف ضدهم، لأن هذا هو الحل الأسهل من المراجعة والإعتراف بالخطأ.

وهكذا فإنه -كان ولا يزال- على الكثيرين من الإسرائيليين، تجاهل الضحية كلية والإمعان في إلغاء وجودها المادي والمعنوي وألا يتحمل تبعات المراجعة، لأن المراجعة تصيب صلب الفكر الصهيوني وممارساته على كل الأصعدة الإنسانية والفكرية والتاريخية وحتى الدينية. ومعروف أن أبرز قواعد هذا الفكر هو نفس الأغيار التي تعني بالعبرية (الغوييم)، وتطلق على كل من هو غير يهودي، وهي تنطبق علينا نحن الفلسطينيين، حسب رأيهم.

وبمجرد أن يعترف الإسرائيليون بالأغيار، أي الشعب الفلسطيني، فهذا يعني بدء عملية المراجعة. والمراجعة لا تنحصر في فئة أو حزب أو شريحة إجتماعية أو سياسية، لأنها عملية إنسانية تتطلب مصالحة مع الذات ومع الواقع. وهذه إما أن تأتي بالمطالعة والمشاهدة والمحاكاة، وإما أن تأتي بالإصطدام اليومي بالواقع. وهذا ما حصل .. وطبقا لهذا التحليل فإننا لا نستغرب وجود التناقضات في البيت الإسرائيلي أو الحزب الإسرائيلي أو المدينة والقرية والمستوطنة.

من هنا نعود إلى بداية الحديث، إلى ديفيد كمحي الليكودي رجل المهمات الصعبة، الذي إتصل بالصحفي البريطاني إلين هارت وعرض عليه خطوطا عريضة لسيناريو يستند إلى تنسيق سري يتم بين شامير وأرينز من جهة، وعرفات من جهة أخرى.

ولا يبدو آلين هارت واثقا من حديث كمحي ونواياه، لأنه لا يخطر بباله أنه يمكن أن تصدر مبادرات سلامية عن الليكود. ولذلك أظهر تشككه فيما سمع ولكنه لا يستطيع ان يفلت من يديه فرصة من هذا النوع ولو كان الأمل ضعيفا. وقد شاركه الرأي جان كلود ايميه وأيده في المتابعة لأن الأمر يستحق ذلك. وهؤلاء الغربيون براغماتيون. لا توجد لديهم مسلمات وفرضيات ثابتة، وإنما يتعاملون مع الواقع، وإن كانوا مثلنا يفترضون أن الليكود يقف ضد السلام ويرفضه، إلا أن الإفتراض لا ينفي إمكانية الدخول في التجربة.

وفيما يلي نص رسالة آلن هارت إلى الرئيس عرفات:

عزيزي الرئيس.

لقد طرح علي ديفيد كمحي الخطوط العريضة لسيناريو يستند إلى تنسيق سري بين شامير وارينز وبينك على أن أكون أنا قناة الإتصال. في هذه المرحلة لا أدعي أنني أعرف النوايا الحقيقية لكمحي. يبدو لي أن هناك إحتمالين، الأول أنه يلعب لعبة تضليل معلوماتية والثاني أنه جاد في طرحه.

ويشاركني صديقنا المشترك والحيادي، جان كلود إيميه الرأي، بأن المسألة تستحق إختبار كمحي، وذلك بأن أطلب منه ترتيب جلسة خاصة بيني وبين أرينز. ما رأيك في ذلك؟

إني بانتظار إستدعاء منك لمناقشة هذه المسألة ومسائل أخرى، بما فيها محاولتي الأولى لتطبيق فكرة هاني الحسن حول تأسيس مجموعة عمل مستقلة تتألف من أفراد بارزين ومرموقين، يمثلون كافة الأطراف والتي يمكن أن تسمى اللجنة (أو المؤسسة) من أجل السلام والتطور في الشرق الأوسط. لا بد أن نتباحث في أسماء الأعضاء المرشحين لعضوية اللجنة التنفيذية (للمؤسسة) عربا ويهودا وأوروبيين وأمريكان إلخ.

محاولات أخرى:

في أوائل ديسمبر/ كانون أول 1992. عاودنا الحوار مرة أخرى مع الجهات الإسرائيلية المرتبطة بالليكود والقريبة من شارون، بشأن إعادة الإتصال وإمكانية فتح قناة خلفية للمفاوضات المتعثرة في واشنطن. وقد رحبت هذه الجهات بلقاء تم في إحدى العواصم الأوروبية، إلا أننا لم نتفق على بعض التفاصيل، التي إحتاجت لأكثر من لقاء. حتى إستقر الأمر أن يكون اللقاء في روما وفي بيت سفير فلسطين فيها.

في هذه الأثناء بدأت قناة أوسلو عملها الأولي. وعولنا على هذه القناة على الرغم من أنها بدأت بشكل متواضع وأخذت طابعا غير رسمي، على الأقل من الناحية الإسرائيلية، إلا أننا رأينا فيها بارقة أمل، لا يمكن أن نفرط بها أو نشوش عليها.

ولذلك عندما عاد الرسول وأعطيه الرمز (ق.د) ليسألني رأيي وتحديد الموعد للقاء الذي تم الإتفاق على تفاصيله كافة، فوجئ برفضي للقاء. ولكنني ام أستطع أن أرفض دون تبرير أو إعطاء أسباب معقولة، بخاصة وأنه مضى بضعة أشهر زار فيها إسرائيل أربع مرات من أجل هذا الغرض. ولذلك عندما سألني عن سبب الرفض، لم يكن بالإمكان إبلاغه الحقيقة، نظرا للسرية المطلقة التي أحيطت بها قناة أوسلو منذ البداية وإنما قلت له: أبلغ الجماعة بأنني لا أستطيع اللقاء معهم لأنهم يعرفون السبب. فرد علي قائلا: ما هذا الجواب الأحجية الذي سأنقله لهم؟

قلت له: إنهم يعرفون تماما ماذا أعني وبالتالي سيتفهمونه.

في الواقع لم أعط مثل هذا الجواب عبثا، لأنني فكرت فيه مليا، فإن كانوا مسؤولين كبار في أجهزة أمن الدولة، فإنهم حتما سيعرفون أن هناك قناة سرية بيننا وبين حكومتهم، وإن كانوا ممن لا يعرفون الخبايا والأسرار ولا يطلعون على مجريات الأمور فلا حاجة لإطلاعهم على هذه القناة، لأنهم ربما يكونون من أنصار المعارضة، وبالتالي يكشفون هذا السر ويفضحون هذه القناة.

إن إطلاعنا على الأوضاع السياسية والتنظيمية في إسرائيل جعلنا حذرين جدا من الإتصال مع أي إسرائيلي والتحدث معه بكل شيء ولو كان موظفا ساميا في الدولة أو نائبا في الكنيست أو حتى وزيرا في الحكومة، حيث أن الصراع ليس فقط بين أحزاب المعارضة والموالية، فللمعارضة وجود في كل أجهزة الدولة. كما أنه ليس بين حلفاء الإئتلاف وإنما بين أعضاء حزب العمل أنفسهم، وبالذات بين رابين وبيريز. حيث أن لكل منهما رؤيته الخاصة، وحساباته الخاصة ومفهومه الخاص لقضايا التسوية بكل أبعادها وتفاصيلها، ونظرته الخاصة إلى المفاوضات الثنائية أو المتعددة. ونحن نعرف تماما أن رابين ممسك بزمام ملف المفاوضات الثنائية ولا يسمح لأي وزير أو نائب أو موظف سام، غير خلصائه أن يطلع عليه.

وعلى الرغم من أنني أعرف أن جهاز الأمن بكل فروعه وأقسامه واختصاصاته مرتبط بشكل مباشر وشخصي برئيس الوزراء، إلا أنني رفضت أن أفصح عن نواياي لهؤلاء، لاعتقادي بأنهم قد تكون لهم إرتباطات أخرى وولاءات أخرى

خارج إطار اللعبة التي تقوم بها. إضافة لذلك فإن قناة أوسلو بدأت كما سنرى فيما بعد مع موظف أكاديمي مرتبط بالنائب يوسي بيلين أحد أقرب المقربين لشمعون بيريز، ونائبه في وزارة الخارجية. وهذا يعني أول ما يعني أن رابين قد لا يكون موافقا على هذه القناة. وإن كان مطلعا عليها فلا يعني أبدا أنه أعطى موافقته الكاملة عليها، الأمر الذي يمكن أن يجعل جهاز المخابرات الإسرائيلي يعطلها، ويدفع رابين إلى رفضها بتغذية الإنطباع القائل بأن الفلسطينيين لا يحفظون سرا. ولهذا كله أبلغت الرسول ما أبلغته وانتظرت رد الفعل من الطرف الآخر، مفترضا أنه إذا كان يعرف شيئا عن قناة أوسلو فإنه سيكتفي بذلك ويصمت، وإن لم يكن يعرف فلا حاجة لي به ولا ضرورة للقائه، لأنه سيكون، بالإضافة إلى ما ذكرت سابقا، ليس من أصحاب القرار. وانتظرت شهرا وبعض الشهر وعادر الرسول ليخبرني بالجواب ويقول على لسانهم لقد عرفنا سبب رفض مقابلتنا، إن الرجل غاضب من أبعاد أربعمائة فلسطيني إلى مرج الزهور.

هذا الجواب أكد لي تحليلي بأن الطرف الآخر لا يعرف شيئا عن قناة أوسلو، ولذلك لا حاجة لاستمرار الحوار معه، فأبلغته بلباقة بأن الوقت غير مناسب لإجراء لقاءات في الوقت الحاضر، إلا أننا سنبقى على صلة حتى يأتي الوقت المناسب، مع التأكيد على رغبتنا في السلام الأمر الذي يجعلنا نتطلع إليهم ليكونوا أكثر مرونة وفهما للمرحلة الحالية التي تحتم مزيدا من التقدم في المفاوضات التي يرى فيها الكثير خشبة الخلاص إذا حسنت النوايا. على ألا يعتقد الطرف الإسرائيلي أن الأوضاع الصعبة التي يمر بها الشعب الفلسطيني، يمكن أن تجعله يقبل ما دون الحد الأدنى المطروح، لأنه قادر على التحمل والصبر حتى يتجاوزها، فهي لن تستمر إلى الأبد.

حمل الرسول ما أمليته عليه، ولم نلتق إلا في شهر حزيران/ يونيو 1993، حيث جائني بمفاجأة أذهلتني فقال: أنهم يبلغونك عتبهم الشديد عليك، أنت الذي تعرف الإسرائيليين جيدا، وكتبت فيهم وعنهم كتبا كثيرة، ومع ذلك تخطئ في البديهيات، ألا تعرف أن رابين هو الذي يحكم إسرائيل؟ ألا تعرف أن بقية الوزراء فيها لا وزن لهم بما في ذلك وزير الخارجية شمعون بيريز؟ كيف ترتكب مثل هذا الخطأ وتفتح قناة مع موظفين صغار في وزارة الخارجية، وتتخلى عنا نحن مصدر القرار والسلطة؟ إننا في إنتظار موافقتك

لتنفيذ الموعد بلقاء في روما. وبأسرع وقت ممكن، حتى نتحدث في كافة القضايا المتعلقة بمصالحنا المشتركة.

عندما سمعت الرسالة إلى نهايتها، وجدت أنه لا مناص من الإعتراف. فقد أكتشفوا الحقيقة ولم يعد بالإمكان إخفاؤها .. فقلت له: نحن نلتقي فعلا مع بعض موظفي الخارجية .. لتبادل الرأي والحوار، ولم نصل إلى مستوى المفاوضات. وأحب أن أقول هنا بأننا ما دمنا نلتقي مع هؤلاء وهم من وجهة نظرنا يمثلون المؤسسة الرسمية الشرعية، ولا دخل لنا بحساسيات كبار المسؤولين ومشاعرهم ورغباتهم، لأنها أمور داخلية عليهم أن يحسموها، فهذا من واجبهم وهذه مشكلتهم وليست واجبنا أومشكلتنا. لقد رضينا لأنفسنا أن نلتقي مع هؤلاء وأن نبدأ حوارا رسميا معهم. وما دام الأمر كذلك فلن نقبل أن نقفز عنهم إلى جهة أخرى تزعم أنها أكثر تأثيرا ونفوذا، نحن نحترم مصداقيتنا حتى مع أعدائنا فلن نلعب على حبال الخلافات الداخلية اللهم إلا إذا فشلنا في الوصول إلى أية نتائج مع هؤلاء وأوقفنا بشكل رسمي كل حوار معهم، عندئذ فقط يمكن أن نتحدث مع هذا الطرف ونبدأ معه حوارا ومفاوضات إن أمكن. دعنا نجرب وننتظر، لسنا في عجلة من أمرنا، فلن نستبق الأحداث ولن نحكم على ما نقوم به الآن بالفشل المسبق قبل أن يفشل.

بعد أن أبلغ الرسول هذه الرسالة إلى الطرف الإسرائيلي لم نلتق بعدها أبدا، حيث أنني شغلت عنه على الرغم من أنه إلتقى بهم أكثر من مرة. إلا أن الظروف لم تسمح لي بلقائه حتى أعرف ردة فعلهم إلى أن تم التوقيع على الإتفاق وانتهت هذه المهمة. والغريب أنه في وقت مواز لهذه الإتصالات، وبينما كان الدكتور أسامة الباز في زيارة لإسرائيل عرض على أحد كبار رجال الأمن الإسرائيليين أن يلتقي بي أو بسعيد كمال سفير فلسطين في القاهرة. وقد كانت ردة فعل هذا المسؤول الأولية، عدم الإهتمام دون أن يرفض الفكرة من أساسها.

وقد أبلغني الدكتور الباز في حينه هذه الواقعة. واكتفيت بالإنصات إليه دون التعليق على ما قال، لأن الجواب الإسرائيلي لا يحتاج إلى أي تعليق، ما دام لم يرفض ولم يقبل.

بعد أسبوع من هذه الواقعة إلتقيت الدكتور أسامة الباز الذي بادرني بالقول بأن هذا المسؤول قد وافق على لقائي في القاهرة وأنه جاهز للقدوم إليها في الوقت الذي نتفق عليه.

عندئذ لم يكن بالإمكان إلا إعطاء الجواب، بالنفي أو بالقبول. وليس هناك ما يبرر النفي لأننا كنا في كل مناسبة لا نفتأ عن المطالبة بقناة خلفية مع المسؤولين الإسرائيليين، وعندما يوافقون نتذرع بأسباب واهية للرفض. لذلك قلت للدكتور الباز: أرجو أن لا تنسى أننا الآن نتفاوض سرا مع الإسرائيليين في أوسلو وأنت على علم بذلك. قد لا يكون مستوى المفاوضين الإسرائيليين يوحي بجدية حكومتهم. وقد يكونون يمثلون جهة في الحكومة دون أخرى. إلا أنه من غير اللائق أن نلتف عليهم بفتح قنوات أخرى. كذلك فإنني أخشى أنهم بهذه المحاولات يريدون أن يمتحنوا مصداقيتنا وجديتنا في الحديث معهم، ولذلك يحاولون إغراقنا بمثل هذا الإتصال، ألا ترى معي انه من الأفضل أن ننتظر ما ستتمخض عنه قناة أوسلو؟

وافقني الدكتور الباز وهو رجل لماح وسياسي ماهر، وقال أفضل لنا أن ننتظر وسأقدم الأعذار المناسبة لتأجيل هذا الطلب إلى أجل غير مسمى.

الفصل الخامس

إتصالات غير مباشرة مع حزب العمل

منذ عام 1977 وحزب العمل خارج السلطة، بعد أن هزمه الليكود وتمكن من تقسيمه واجتذاب إيغال يادين الجنرال المتقاعد والذي كان في ذلك الوقت من نجوم حزب العمل، وقد إستطاع هذا الجنرال أن يحصل على سبعة عشر مقعدا من خلال جماهير هذا الحزب. ويعقد تحالفا بعد ذلك مع الليكود ليشكل حكومة إئتلافية كان فيها نائبا لرئيس الوزراء. ولكن نجمه ما لبث أن أفل. وبعد سنوات قليلة توفي وانفرط العقد الذي كان يجمعه مع زملائه الآخرين، وظل الليكود المستفيد الأكبر من هذا الخرق التاريخي لحزب العمل. واستمر حزب العمل يترنح خمسة عشر عاما على الرغم من تحسن أحواله على الأرض. مما ساعده في فترتي إنتخابات، أن يشارك الليكود في السلطة، وقد تمكن في الجولة الثانية عشرة من التساوي مع حزب الليكود بل تجاوز الليكود بمقعد واحد في الكنيست، وهذا خوله الفرصة الأولى لتشكيل الحكومة، ولهذا توجه إليه رئيس الدولة يدعوه إلى تشكيل الحكومة الإسرائيلية. ولما كان شمعون بيريز رئيسا للحزب فقد بدأ مشاوراته مع الكتل البرلمانية المختلفة، واستطاع إقناع واحد وستين نائبا من الكنيست للحصول على ثقته، وكان بيريز واثقا تماما من أنه سيحصل على موافقة المجلس لا محالة وأنه أصبح رئيسا لوزراء إسرائيل. في هذه الأثناء كنت في القاهرة والتقيت وزير الخارجية المصري عصمت عبد المجيد، وجرى الحديث حول تشكيل بيريز للحكومة، ولاحظت أن الوزير سعيد بهذا الحدث، لأن وصول حزب العمل إلى السلطة سيجعل إمكانية الحديث عن السلام في الشرق الأوسط كبيرة جدا. ففاجأت الوزير بقولي: لن يتمكن بيريز من تشكيل الحكومة، لأن حساباته غير صحيحة، وهو يعتقد أنه سيحصل على واحد وستين صوتا، ولكنني متأكد من أنه لن يحصل عليها.

وبسرعة فائقة إتصل عصمت عبد المجيد بشمعون بيريز يبلغه هذه المعلومة، فاستغرب بيريز ذلك وبدا وكأنه واثق من نفسه، ثم ما لبث أن عاد ليسأل عبد المجيد عن إسم هذا النائب وعن أية معلومات إضافية متوفرة لديه. ولكنني لم أضف شيئا على ما قلت وإنما إكتفيت بتأكيد معلوماتي، مشيرا إلى

أنه على بيريز أن يتقصى الحقيقة بنفسه. كما رفضت الإفصاح عن المصادر التي أوصلت إلي هذه المعلومات وهي مصادر موثوقة ودقيقة. وعندما نقل عبد المجيد هذه المعلومات إلى بيريز، أجابه بأنه تفحص كل أوراقه ومعلوماته وراجع كل القوى والشخصيات، ولم يجد أثرا لهذه المعلومات. وعندما أبلغني الدكتور عصمت بهذا، لزمت بالصمت واكتفيت بما قلت.

وفي وقت التصويت على الثقة بالحكومة ظهر النائب[8] الذي أشرت إليه وامتنع عن التأييد. وهكذا فشل شمعون بيريز في تشكيل الحكومة الإسرائيلية، التي عاد وشكلها إسحاق شامير. بقد شكلت أكثر من مرة حكومة إسرائيلية من كلا الحزبين الكبيرين، وكان زعيما هذين الحزبين (الليكود والعمل) يتبادلان رئاسة الوزارة نصف مدة الكنيست (مدته أرع سنوات) لكل منهما.

وقد ظن البعض أن مثل هذا التعاون بين الحزبين سيؤدي إلى سياسة معقولة لحكومة إسرائيل، لكن المكسب االوحيد الذي حققاه هو تهميش وضع المعارضة، وقد أدى التوازن بين الحزبين إلى الشلل التام. فإذا ما قرر حزب سياسة ما يجد معارضة لدى الحزب الآخر، وكل خطوة إيجابية كانت أو سلبية لا تجد طريقها إلى الوجود.

مساعي الدراوشة

كان عبد الوهاب الدراوشة في بداية حياته السياسية عضوا في حزب العمل الإسرائيلي، وقد رشح أكثر من مرة لعضوية الكنيست الإسرائيلي ونجح باسم هذا الحزب، إلا أنه ومنذ الكنيست الحادية عشرة قرر أن يخرج من الحزب وأن يشكل حزبا عربيا داخل الوسط العربي، أطلق عليه إسم الحزب الديمقراطي العربي. وحيث أن هناك من سبقه في هذا الوسط مثل الحزب الشيوعي الإسرائيلي الذي مثل العرب فترة طويلة من الزمن، وكذلك القائمة التقدمية التي ترأسها المحامي محمد معياري، والتي تضم أغلبية عربية وأقلية يهودية. قلن أن هناك من سبقه إلى تمثيل الوسط العربي، ولذلك حاربوه حربا شعواء، لأنه جاء لينافسهم على الصوت العربي. ومع

8 ينتمي النائب إلى أغودات إسرائيل وقد تلقى تعليمات بعدم إعطاء الثقة لحكومة بيريز من الحاخام أبراهام فيرديغر الذي يقيم في أمريكا.

ذلم فقد إستطاع أن يثبت وجوده ويحقق نجاحا بمقعد واحد في الكنيست وكان هذا المقعد من نصيبه باعتباره رأس قائمته. وفي الكنيست الثالثة عشرة إستطاع أن يحصل على مقعدين، وكان مقعده الثاني للمحامي طلب الصانع الذي شكل النصاب لرابين للوصول إلى تشكيل الحكومة الحالية.
وبهذه الصفة، ونظرا لعلاقاته الطيبة والتي حافظ عليها مع حزب العمل، وعلاقاته مع المنظمة التي نشأت بعد تشكيل الحزب العربي، فقد رغب أن يلعب دور الوسيط بين حزب العمل من جهة ومنظمة التحرير من جهة أخرى، في الوقت الذي كان حزب العمل شريكا لليكود في الحكومة الإسرائيلية. وهكذا تردد على تونس أكثر من مرة محميا بالحصانة البرلمانية التي يتمتع بها، واستئذانه بالسفر إلى تونس من رابين أو من أي مسؤول إسرائيلي ليضمن حمايته من تنفيذ قرار الكنيست ضده.

في 1989/4/12، وصل الدراوشة إلى تونس يحمل مشروعا سياسيا من بنود وأقسام مختلفة، مشيرا إلى أن هذا المشروع من صنع إسحاق رابين وأنه حمله إياه إلى تونس ليعرضه علينا، وبعد عرض المشروع قدم تحليلا وتقويما عاما لوضع رابين وحزب العمل في السلطة الإسرائيلية التي يشاركه فيها الليكود.

لا بد لنا من أن نلاحظ أن الخطة التي قدمها رابين في عام 1989 لا تختلف في كثير من أفكارها عما تم التوصل إليه في أوسلو، كما أنها لا تختلف عن رسالة التطمينات الأمريكية في بنودها الرئيسية، وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على أمرين، أولهما أن حزب العمل كان يحضر نفسه منذ فترة طويلة لهذه المرحلة، والثاني أن هناك تنسيقا كاملا في الأفكار والمشاريع بين الأمريكان وهذا الحزب.

خطة إسحاق رابين للوصول إلى السلام على مرحلتين

أولا: المرحلة الإنتقالية:
تمتد خمس سنوات، خلال هذه الفترة المحددة تتم الخطوات التالية:

أ. يقيم الفلسطينيون مجلس سلطة محلي، إدارة محلية، مع مكاتب حكومية تتناول الشؤون الداخلية، الإسكان، الزراعة، البريد، المالية، الصحة، السلطات المحلية (البلديات) وغيرها من الشؤون الداخلية.

ب. خلال الفترة الإنتقالية المحددة بخمس سنوات تبقى شؤون الخارجية والأمن وشؤون المستوطنات في يد إسرائيل.
ج. تعاون إقتصادي بين، الكيان الفلسطيني وإسرائيل والأردن أيضا، في مجالات عديدة مثل الكهرباء، المياه، النقود، والعمال.
د. إتخاذ ترتيبات إقتصادية تضمن مصلحة الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي.

ثانيا: مرحلة الحل الدائم:

- بعد مرور ثلاث سنوات من المرحلة الإنتقالية تبدأ المفاوضات للوصول إلى الحل الدائم.
- خلال السنوات الأولى يكون هناك تفاهم وثقة بين الطرفين وتخفيف حدة التوتر في المنطقة.
- التفاوض يستند إلى أساسين:
  1. قرارات الأمم المتحدة 242 ، 338 ومبدأ الأرض مقابل السلام.
  2. التمثيل الفلسطيني: الممثلون للجانب الفلسطيني في المفاوضات هم من سكان المناطق وفلسطينيين من الخارج يتفق بشأنهم.

ثالثا: الخطوات المطلوب إتخاذها لكسر الجمود:

- في حال حصول تفاهم بين الجانبين حول هذه الخطة المتكاملة يحدث هدوء تلقائي يمكن من إجراء إنتخابات في الضفة والقطاع خلال ستة أشهر.
- الإنتخابات هي لاختيار ممثلين سياسيين وليست للسلطات المحلية.
- الإستعداد الكامل لقبول إقتراحات من الجانب الفلسطيني تتعلق بطريقة الإنتخابات، والقوائم، فردية، أو كتل، أو قوائم موحدة متفق عليها فلسطينيا.
- نتائج الإنتخابات تقرر وتفرز القيادة المحلية للفترة الإنتقالية.

رابعا: كيفية إجراء الإنتخابات:

- الإنتخابات ديمقراطية كاملة، مع تأكيد الجانب الإسرائيلي على ذلك.
- قبول إشراف دولي على الإنتخابات، مع تفضيل الإشراف الأمريكي لوحده، بقرار من الكونغرس، وبالإمكان إشراك الأوروبيين. لكن. يرفض مشاركة مراقبين من دول العالم الثالث (لأنها لا تنتهج النهج الديمقراطي).

- الترحيب بقبول إقتراحات تتعلق بكيفية إجراء الإنتخابات.
- يحق لسكان القدس الشرقية الترشيح والإنتخابات، ولكن، التصويت يتم في رام الله أو بيت لحم.
- عند الحل الدائم، يمنح سكان القدس الشرقية الحق في إختيار المواطنية الفلسطينية أو الإسرائيلية.
- أسس ومبادئ إجراء الإنتخابات تتم من خلال المحادثات بين الجانبين.
- في مرحلة الإعداد للإنتخابات، تكون الحكومة الإسرائيلية على إستعداد لسحب القوات الإسرائيلية من التجمعات السكنية.

خامسا: إطار التفاوض:

- يفضل مؤتمر مصغر تشارك فيه الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي ووفد إسرائيلي ووفد أردني ووفد فلسطيني.
- المؤتمر الدولي الموسع مقبول مبدئيا.
- الأردن ليس بديلا عن الفلسطينيين.
- وفد فلسطيني يشارك في المؤتمر كممثل مستقل للفلسطينيين.
- الخطة الموطروحة هي خطة متكاملة، والمرحلة الإنتقالية هي الجزء الأول منها.

وقد عرض الدراوشة على رابين عدة مطالب لتحسين الأجواء وتهيئة مناخ ملائم لدفع المسيرة السلمية ودون إشتراط وقف الإنتفاضة. وأبدى إسحاق رابين موافقته عليها، دون أن تكون الموافقة مرتبطة بالخطة السياسية، بل هي تمهيد لبدء نقاش متبادل حول الخطة وإظهار حسن النية.

لقد كان واضحا أن رابين في جلسته مع الدراوشة متفهم ومستعد لما أسماه ببوادر الإنفتاح التي شملت: فتح المدارس والجامعات فورا، ووعد بإعطاء إجابة عاجلة بعد إجتماعه مع أركان الحكم العسكري والإدارة المدنية في الضفة الغربية، وإطلاق سراح عدد من المعتقلين قبل عيد الفطر، والسماح بحرية السفر للبعض إلى الخارج، وأشار إلى أنه بدأ بتنفيذ هذه السياسة، ووعد بالموافقة على فتح المؤسسات الوطنية المغلقة والسماح بحرية التحرك والعمل السياسي، وإخراج الجيش من المناطق والتجمعات السكنية، وأبدى إستعدادا للوصول إلى إتفاق حول ذلك، بالإضافة إلى تخفيف معاناة الناس وسياسة القمع المتصاعدة.

وبتاريخ 1990/3/17 حضر عبد الوهاب الدراوشة إلى تونس، يحمل سؤالا واحدا حول الكونفدرالية ومدى إلتزام المنظمة بها. وقد كان هذا السؤال مكتوبا ويريدون عليه جوابا مكتوبا. وبالفعل فقد أعطيناه الجواب المكتوب المبين أدناه، الذي ما لبث أن قرأناه في الصحف الإسرائيلية.

جوابنا على الكونفدرالية:

«لقد تبنت المجالس الوطنية الفلسطينية، منذ العام 1983 (الدورة السادسة عشرة) والمجالس الوطنية المتتابعة، وآخرها المجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد في الجزائر سنة 1988، مسألة الكونفدرالية بين الأردن وفلسطين. وقد بدأنا منذ فترة إجراء مباحثات جادة بين الطرفين لاستشراف آفاق هذه الكونفدرالية وحدودها القانونية وغيرها. وهناك إهتمام عال من كلا الطرفين نحو هذه المسألة لأنها تعتبر مسألة حيوية للشعبين الأردني والفلسطيني.

إن هذا هو موقف وخيار منظمة التحرير الفلسطينية الذي لا نرى بديلا عنه».

في الفترة الواقعة ما بين بدء الحملة الإنتخابية للكنيست الثالثة عشرة ونجاح حزب العمل في تشكيل حكومة إسرائيل، جرت إتصالات قام بها سعيد كنعان، أحد أعضاء حركة فتح البارزين في الأرض المحتلة والذي سجن أكثر من مرة، والذي كان على صلة مع أحد أعضاء الكنيست الإسرائيليين المقربين من رابين، وبعد ذلك جرت إتصالات عبر عمرو موسى حيث حمل مجموعة من المسائل تحدث فيها مع إسحاق رابين وشمعون بيريز بعد نجاح حزبهما في الإنتخابات.

وعلى الرغم من أن هذه الإتصالات لم تأت بنتائج فورية، إلا أنها ساهمت مساهمة كبيرة في توضيح وجهات نظر كل طرف للطرف الآخر، بما يمكن أن نعتبره توطئة مناسبة لما جرى في أوسلو. وبنفس القدر الذي حافظنا فيه على سرية مسار أوسلو، أيضا حافظنا على سرية هذه الإتصالات حتى لا نسبب أي حرج للطرف الإسرائيلي الذي كان يقود حملة إنتخابية حساسة للغاية. ولو تسرب أي خبر عن هذه الإتصالات لوسائل الإعلام العربية أو الغربية أو الإسرائيلية لقصم ظهر حزب العمل وأدى إلى فقدانه كثيرا من المقاعدالتي كان يسعى للحصول عليها للوصول إلى تشكيل الحكومة.

إن الأحزاب الإسرائيلية تقف بالمرصاد لبعضها بعضا وتترقب أية أخطاء لتكبرها وتسيء إلى بعضها البعض. وكذلك فإن كثيرا من الصحفيين خبراء بالفضائح والتعامل معها وينتظرون أية إشارة فضيحة ليجعلوا منها قضية الرأي العام.

وكانت قد سقطت حكومة رابين الأولى عام 1974 بسبب مبلغ من المال وجد باسمه في أحد البنوك الأمريكية عندما كان سفيرا هناك ولم يبلغ عنه. ولم تسقط الحكومة فقط وإنما سقط هو أيضا في إنتخابات حزب العمل عام 1975 أمام منافسة شمعون بيريز.

إن على الإنسان أن يتعامل بصدق مع الناس، كل الناس، أعداء وأصدقاء. وهذا لا يعني أن يمنح ثقته للجميع دون تمييز، ولكن هناك فرق بين الصدق في التعامل، والثقة. وفي إعتقادي أن تعاملنا مع الإسرائيليين ونحن أعداء كان يفرض علينا أن نمنح هذا التعامل قدرا عاليا من المصداقية مهما كان الثمن الذي يمكن أن ندفعه.

لئن تعاملنا بهذا المستوى مع حزب العمل، فقد تعاملنا أيضا مع الليكود بنفس المستوى، وقد تلقينا أكثر من مراسلة أو إتصال عن طريق أشخاص بمبادرات منا أو من الليكود، إلا أننا حافظنا على سريتها، باستثناء ذاك الإتصال الذي جرى مع شارون والذي نشر من قبلنا لأسباب تكتيكية، وبالمقابل فقد وجدنا في الصحافة الإسرائيلية جوابنا على السؤال الذي حمله الدراوشة من حكومة شامير حول الكونفدرالية مع الأردن.

وبهذه المناسبة أذكر أن ديدي تسوكر عضو حركة راتس والنائب الحالي عن حركة ميرتس زارنا في تونس في عام 1987، وكانت زيارة سرية وغير معلنة، وقد تمنى علينا أن لا نذكر إطلاقا أنه زارنا لأسباب تتعلق به شخصيا وبحزبه الذي لا يتحمل هزات. وبالفعل حافظنا على سرية اللقاء إلى يومنا هذا .. ولم ننطق بكلمة واحدة، ثم جرت لقاءات أخرى كثيرة معه في أماكن متعددة في أوروبا، وكان في نية الطرفين (المنظمة وراتس) عقد لقاء معلن ورسمي، لكننا لم نوافق على صيغة مناسبة تصدر عن هذا اللقاء وبقيت كل الإتصالات سرية من جهتنا، ورفضنا أن نتحدث عنها إحتراما لرغبة الطرف الآخر الذي تحدث عنها أكثر من مرة.

إن أي عمل يحتاج إلى السرية، التي تكمن في الرغبة في الوصول إلى نتائج إيجابية له، حتى لا يتعرض -من خلال العلنية- إلى الإحباط.

وهكذا فإن معظم الذي وقع في واشنطن لا يحتمل إخفاء أسراره وخفاياه، ونشعر أنه لزاما علينا. وحسب التفسير السياسي فإن السرية هي إعتراف الطرفين ببعضهم، حتى يصلوا إلى نتائج ملموسة يستطيعون إخراجها للعلن. وإن الإتصالات الفلسطينية الإسرائيلية التي حدثت على مستوى مراكز القرار في الطرفين، كانت تعني بكل واقعية إعترافا متبادلا بينهما. ومن واجبنا أن نوضح أمورا كثيرة تجلي ضبابية الصورة التي رافقت هذا الحدث. كذلك فإن من حق الكثيرين الذين ساهموا بصورة أو بأخرى في هذا العمل أن يشار إليهم وتبرز جهودهم ومساعيهم، لأن ما يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون في إسرائيل، وهو الإتصال بالمنظمة في ظل سريان القانون، ينظر إليه اليوم على أنه عمل بطولي أوصل الشعبين إلى إختراق تاريخي تتحدث عنه الأجيال.

ففي 1992/4/10، إلتقى سعيد كنعان بشخصية كبيرة من حزب العمل الإسرائيلي مقربة من إسحاق رابين، وتتبوأ مركزا مهما، وأبلغه رسالة من القيادة الفلسطينية تحتوي على ثلاثة نقاط وهي:

1. نحن مسرورون من برنامجكم الإنتخابي.
2. ماذا تطلبون منا لنقدمه إليكم، ونحن مستعدون لعقد إتفاق.
3. نرغب في ترتيب لقاءات على مستوى (Y.R) أو من يفرزه لذلك.

جاء الجواب من خلال ورقة مكتوبة باللغة العبرية قامت تلك الشخصية الكبيرة بإملائها عليه باللغة الإنكليزية. وحال إنتهائه من كل فقرة كان يعيد عليه قراءتها ثانية للتأكد من كل حرف، وقبيل الإنتهاء من تلك الرسالة حضر إسحاق رابين، لمدة دقائق معدودة لإعطاء إنطباع بأنهم جادون، ولإبلاغه بما يلي:

1. نحن جادون.
2. يجب ألا يكون هناك أي تسريب إطلاقا لهذه الإتصالات.

3. أنا مستعد لبحث أية رسائل أخرى.
4. إنتبهوا لكل كلمة تقولونها ونحن نتابع كل تصريحاتهم، ويجب بذل جهد حقيقي لضبط كل إنسان فيما يصرح فيه.

وبعد إنسحابه إستأنفت الشخصية الكبيرة الرسالة وذكرت الملاحظات التالية:

1. نحن جادون ونعني ما نقول ونفهم أن العمل جدي (Real Business).
2. نحن نفترض (We Presume) أن ياسر عرفات يعلم كل شيء، وأنه وراء هذا الإتصال.
3. لن نجري أي لقاء في الخارج قبل الإنتخابات.
4. نحن نفهم أن أربعة منكم فقط يعرفون عن هذه الإتصالات وهم أنت وأنا وياسر عرفات ومحمود عباس وسعيد كمال، ومن جهتنا إثنان يعرفانها ويتابعانها وهما، إسحاق رابين وتلك الشخصية الكبيرة.
5. لن نسمح بفتح أية قناة ثانية للإتصال ونثق بك يا سعيد كنعان.
6. إذا حصل أي تسريب لهذه اللقاءات فسنقوم بنفيها ونحملكم مسؤولية إجهاض هذه الإتصالات.
7. لقد بدأنا الآن فقط العمل الجاد، ونأمل باستمرار الإتصالات بصورة سرية مطلقة، ونحن منفتحون تماما ومدركون لأهمية ما يحصل.
8. نأمل ونفترض أنكم جادون وتتعاملون معنا بما يستحق الموضوع من أهمية تاريخية ومصيرية.

وذكرت تلك الشخصية الكبيرة أنها ستغادر في 4/20 وتعود بعد ذلك بأسبوع. وهي تنتظر الإجابة إما قبل 4/20 أو أواخر الشهر. وهذا نص الرسالة التي تضمنت إجابات على النقاط التي أرسلناها لهم والتي سبق ذكرها.

1. نرجو تجنب أي تعبير أو تعاطف أو دعم لنا، أو إلى إئتلاف اليسار: (مابام، راتس، شينوي إلخ..).
2. ننظر بعين الرضى إلى تشكيل الدراوشة وميعاري قائمة موحدة، وإذا لم يتحد دراوشة وميعاري فلن يتجاوزوا نسبة الحسم 1.5%، وستذهب أصواتهما إلى الليكود. وبالإضافة إلى ذلك نعتبر أن إتفاقية بينهما وبين راكاح حول الأصوات الفائضة، أمر إيجابي.

3. بصورة عامة نحن مع تشجيع المشاركة في الإنتخابات. وأنتم في وضع يمكنكم من تشجيع الناس على التصويت. وكذلك الأمر يجب تشجيع الإسلاميين على التصويت لأنهم في المحصلة النهائية لن يصوتوا لا لليسار ولا لليكود ولا للأحزاب الصهيونية. نحن لا نمانع في أن ترسلوا رسالة واضحة لا لبس فيها بعدم التصويت لأي حزب يدعم الإستيطان.

إن الليكود يصرف الآن أموالا طائلة. ويقوم ديفيد ماجن بإعطاء النقود لبناء المساجد ومنح البعثات الدراسية، وكذلك النقد السائل للعرب والبدو وحتى للمسيحيين.

4. عليكم ألا تنسفوا مباحثات السلام في واشنطن، وفي نفس الوقت يجب عليكم عدم إظهار هذه المحادثات وكأنها إنتصار ساحق لشامير.

وكذلك نرى أن لا تذهبوا لواشنطن بمواضيع تستفز الشعب الإسرائيلي. وهناك موضوعان من هذا القبيل وهما:

أ. موضوع القدس.
ب. الوضع النهائي.

أحضروا معكم لطاولة المفاوضات مقترحات بناءة وعملية حول:

أ. الحكم الذاتي (الحكومة الذاتية).
ب. الإنتخابات السياسية.

والموضوعان منصوص عليهم في إتفاقيات كامب ديفيد. وهنا لن يستطيع الليكود الرد إيجابيا، ويمكن أن يستفز الرأي العام الإسرائيلي ضد شامير.

وإذا ما أثرتم موضوعي القدس والدولة الفلسطينية في الوضع النهائي، فسوف تساعدون الليكود كثيرا جدا لأنه يستطيع عندها القول بأنه لا توجد هناك أرضية مشتركة للتفاوض حولها.

وأخيرا نشير إلى أن إثارة موضوع تجميد الإستيطان ووقفه سيطرح مقابله إنهاء المقاطعة الإقتصادية العربية لإسرائيل.

حمل سعيد كنعان رسالة جوابية منا تحتوي على نقاط محددة بتاريخ 1992/4/20 إلى قيادة حزب العمل ممثلة بتلك الشخصية الإسرائيلية الكبيرة، تضمنت ما يلي:

1. أن أبا عمار يعلم عن جميع هذه الإتصالات ويدعمها.
2. قرأنا رسالتكم بإمعان ونحن متفقون معكم على مضمون ما ورد في رسالتكم وسنعمل على تنفيذ كل النقاط المتعلقة بالعملية الإنتخابية.
3. نحن نسير في العملية السياسية بجدية كاملة.
4. نشعر أننا ملتزمون بما جاء برسالة التطمينات الأمريكية التي نعرف أنكم مطلعون عليها بالفعل. ونأمل أن يكون موقفكم ماثلا.
5. نحن نفهم تماما أن مسألة التمييز بين الإستيطان الأمني والإستيطان السياسي هو مسألة داخلية للدعاية الإنتخابية، حيث لا فرق بينهما.
6. قرأنا تصريحاتكم حول الكونفدرالية مع الأردن أو مع إسرائيل وأخذناها بجدية كاملة. وإذا كان لهذا الحديث أية أرضية سياسية أو فكرية أخرى لديكم، نأمل أن نطلع عليها بعد الإنتخابات.
7. وكذلك الأمر إستوعبنا تماما ما ذكرتموه عن إستعدادكم للحوار مع الفلسطينيين وإقامة حكم ذاتي خلال فترة من ستة أشهر إلى تسعة أشهر، ونعتبر ذلك كلاما مسؤولا وسياسيا جادا.
8. كيف ترون الوضع بين شامير وليفي؟ وإلى أي مدى سيصل؟

وفي وقت لاحق حمل سعيد كنعان من تلك الشخصية وبطلب من رابين الملاحظات التالية:

1. غضب شديد بسبب ما ورد في المجلة الفرنسية، بأن هناك إتصالات سرية بين رابين وعرفات عبر سعيد كنعان.
2. لقد قلنا لكم مرارا بأن أي تسريب عن هذه الإتصالات سيتسبب في وقفها تماما.

3. إن مصدر التسريب هو تونس، فما هو المقصود غير تخريب عملية السلام.
4. إستطرادا فإن ذلك يثبت أنكم غير معنيين بالسلام إطلاقا ولستم جادين.
5. إن تجربتنا معكم حول التسريب هي سيئة، إذ لا يوجد سر لديكم، وعلى كل حال فسنفتح هذه المرة صفحة جديدة، وعليكم أن تفهموا أنها آخر مرة نسمح فيها بتسريب أخبار إتصالاتنا.
6. فهمنا قضية المطبخ، من جهتنا لا مانع لدينا إذا كنتم جادين ونقترح ثلاثة منكم واثنين منا، أنا ورابين.
7. الإتصال سيكون فقط عبر سعيد كنعان ودعونا نفهم تصوركم لآلية العمل والإتصال المطبخي، وما هي صلاحية الوفد غير تنفيذ ما نتفق عليه.
8. سنوقف كل إتصال عبر مجموعات لندن وباريس.
9. الآن سنتكلم فقط عن المرحلة الإنتقالية ودعونا ننهيها أولا ومن ثم نتحدث بعد ذلك عن المرحلة النهائية.
10. ما هي إجراءات بناء الثقة التي تقترحونها في المرحلة الإنتقالية.
11. نحن أكثر من جادين وستكتشفون ذلك بأنفسكم، ونعني بذلك العمل بسرعة آملين أن تتجاوبوا معنا.
12. أرجو أن تفهموا أننا أسرى للناخب الإسرائيلي الذي أعطانا فرصة لن تتكرر أبدا لتطبيق الحكم الذاتي. ويجب إنجاحها وإلا فلن تعطى لأحد بعد ذلك. إفهموا ذلك جيدا وتصرفوا على أساسه.
13. الخيار الأردني مات وانتهى ولا رجعة إليه.
14. إننا مصممون على التفاوض معكم في كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية، أما الوفد المشترك فذلك شأنه وشأن كل ما يتعلق بالأردن وبالقضايا المشتركة.
15. الكونفدرالية التي نتكلم عنها هي بينكم وبين الأردن. أما عنها مع إسرائيل فكانت تعليقا عابرا على تصريح حيدر عبد الشافي. وبنظرنا فلا أهمية لها. ونحن لا نطلبها.
16. المستوطنات موضوع شائك وسيتبلور بعد زيارة رابين لأمريكا.

وهذه رسالة منا تضمنت أجوبة على أسئلة طرحتها الشخصية الكبيرة وحملها سعيد كنعان:

الآن وبعد أن ظهرت نتائج الإنتخابات، نود أن نبلغكم أننا عشنا مرحلة إرتباك خشية أن يعود شامير إلى السلطة وتنتهي فرص السلام. ولذلك كنا نتطلع إلى نجاح رابين بعد أن إطلعنا بدقة على برنامج حزب العمل وفحوى المناقشات التي جرت في مؤتمره، وبعد أن أطلعنا على التصريحات التي أدلى بها إبان الحملة الإنتخابية.

نحن، وإن كنا لم ننجح في توحيد القوائم العربية إلا أننا نستطيع القول أن الجهود التي بذلت أدت، أو ساهمت في الوصول إلى النتيجة النهائية للإنتخابات. تلك النتيجة التي قضت على كل أمل أو فرصة لشامير في العودة إلى السلطة.

هذا يدعونا إلى القول لرابين بأننا نعبر عن إرتياحنا لنجاحه وكنا نتمنى أن نقول ذلك علنا. ومن هنا عليه أن يفهم أن بمقدار ما يتحمل مسؤولية تجاه الناخب الإسرائيلي فإنه يتحمل مسؤولية تجاه المواطن الفلسطيني العربي. لأنه من الزعامة الإسرائيلية التي تتمتع بالشجاعة المطلوبة لصنع السلام. ولذلك فإننا نأمل أن لا يخيب أمل الناخب الإسرائيلي وكذلك المواطن الفلسطيني العربي.

وإذا أراد السيد رابين أن يفهم حقيقة موقفنا، فعليه أن يعلم أننا فتحنا خمس غرف عمليات في أماكن مختلفة من العالم لمتابعة دقائق عملية الإنتخابات.

وهنا لا بد لنا أن نشير إلى تسريب الخبر حول لقاء مزعوم نشر في فرنسا، لنؤكد أن هذا لم يصدر من جهتنا إطلاقا، وأن أسلوب نشر الخبر وفحواه يدل على أن الذين فعلوا ذلك هم خصوم رابين الإنتخابيين، وأنهم حاولوا ربط بعض الأحداث ببعضها ونسجوا عليها الخبر، وذلك للإساءة إليه إنتخابيا. فقد عرفوا بوجود (...) في القاهرة في الوقت الذي كان فيه أبو عمار، وصاغوا الخبر بعد ذلك على ضوء هذه المصادفة.

نحن متفقون تماما على تقليص قنوات الإتصال واقتصارها على الجهة التي ترتاحون إليها. وفي نفس الوقت فإننا حريصون على أن يبدأ المطبخ عمله

في الوقت الذي يناسبكم وإن كنا نتصور أنه كلما أسرعنا كلما كان أفضل لنا جميعا.

وما دمنا نريد -كلانا- سلاما حقيقيا ودائما. وما دمنا قررنا -بدون مناورة أو خداع- أن نتعايش في منطقة واحدة. فعلينا أن نبادر إلى بناء جسور الثقة والإطمئنان من الآن وأن نتجاوز كل الشكليات والخرتقات والشطارة. إن شجاعة رابين في طرح بعض الأفكار الإيجابية للوصول إلى حل في ظل حملة إنتخابات سمتها الأساسية الغوغاء والتعصب والعناد. إن هذه الشجاعة تفوقها شجاعة القيادة الفلسطينية التي تمكنت من تجاوز كل العقبات في الساحة الفلسطينية والعربية وأن تعلن بلا مواربة أو تكتيك، أنها تقبل بالشرعية الدولية. كما تقبل بالأفكار التي طرحها الرئيس جورج بوش وبمضمون رسائل الدعوات ورسالة التطمينات الأمريكية.

إن مثل هذه الخطوات الشجاعة من الطرفين تجعل من المؤسف جدا أن يتوقف أحدنا عند قضايا نعرف سلفا أنها لا تساعد على تحقيق الأمن والإستقرار والتعايش. ولقد سبق لكلينا أن جربنا التعايش بحلاوته ومرارته في الأندلس، عندما كنا معا وعندما طردنا سويا منها.

ولذلك فإنكم عندما تتسائلون عن تصورنا (البند رقم 1) عن المرحلة الإنتقالية، فإننا نقول لكم، أننا نتصورها كما وردت في رسالة التطمينات، أي بالإنتقال السلمي والمنظم للسلطة من الإسرائيليين إلى الفلسطينيين، ليتمكن الفلسطينيون من السيطرة على قرارهم السياسي والإقتصادي والقرارات التي تؤثر على مستقبلهم. وهنا سنبادر بكل عقل منفتح وشجاع إلى رابين لنطلب منه تفسير ذلك وتطبيقه مستندا في ذلك -وحسب قوله- إلى تفويض الناخب الإسرائيلي له بتطبيق الحكم الذاتي (البند رقم 5). واضعا في إعتباره أنه يطبق حكما ذاتيا إنتقاليا تمهيديا لمرحلة حل نهائي (تصريحاته في حملته الإنتخابية).

إن إنتهاء الخيار الأردني (البند رقم 6) في العقل الإسرائيلي دليل صحة. والحديث عن أن سقف التفاوض هو الكونفدرالية مع الأردن دليل إستيعاب كامل لمستقبل المنطقة، لا نوافق عليه فحسب بل دعونا ندعو إليه. وما

سؤالنا عن كونفدرالية ثلاثية تضم إسرائيل، إلا رغبة حقيقية في تمتين أواصر التعايش، وتعبيرا أكيدا على أننا نمد يدنا للسلام الحقيقي الذي لا يقوم على الغش والخداع. إن تحقيق مثل هذا الأمر يتطلب توافر الإرادات لدى كل الأطراف ولا يمكن أن يتم بالإكراه، ولربما جاء الوقت المناسب في المستقبل لتشعر كل هذه الأطراف أن مصلحتها تكمن فيه، فتسعى إليه (البند رقم 8).

لقد أزعجنا ما أعلنه أرينز وشامير عن نيتهما في التفاوض لمدة عشر سنوات دون الوصول إلى نتيجة. وإن كنا نعرف نوايا الحكومة السابقة، إلا أننا لم نكن نتصورمثل هذه الرغبات الشريرة في إيصال المنطقة إلى الهاوية، والمغامرة بمصير الشعوب بما في ذلك شعبكم الذي عبر من خلال الإنتخابات الأخيرة عن مواقف مغايرة تماما لمواقف تلك الحكومة. ومن هنا فإننا نتفق معكم تماما، بضرورة العمل السريع والمكثف في المفاوضات القادمة وستجدون منا كل تجاوب (البند رقم 4).

إن تقاليدنا وأعرافنا تتطلب منا أن نحترم عدونا الشجاع والذكي. ورابين حتى هذه اللحظة يصنف في خانة أعدائنا الذين يحتلون أرضنا ويضطهدون شعبنا. ومع ذلك فنحن نرى أنه رجل عسكري وقائد سياسي مشهود له، يفهم التحولات والتطورات العالمية، ويتمتع بنظرة شمولية للإستراتيجية العالمية. وبالتالي فهو قادر تماما على أن يفهم معنى الأمن، وإن كنتم بحاجة إليه -وهذا حقكم- فنحن أيضا بحاجة إليه. بل حاجتنا تفوق حاجتكم بآلاف المرات للفارق الشاسع بين قدراتكم وقدراتنا. وإلى أن تبنى عوامل الثقة بيننا ستبقى مسألة الأمن هاجسا لنا جميعا. إلا أن الشيء الذي لا نفهمه الخلط بين مفهوم الأمن في نهاية القرن العشرين، وفي عصر الصواريخ العابرة للقارات، وبين الجغرافيا، وبالتالي فإن إستمرار عملية الخلط هذه تزيد هواجسنا وقلقنا وتعطينا مؤشرات كثيرة بأن الرغبة الحقيقية للسلام لا زالت بعيدة. وهذا يقودنا إلى التفسير (الإنتخابي) لمسألة المستوطنات، حيث تميزون بين ما هو أمني وما هو سياسي. وإذا كنا نفهم أن معنى المفاوضات هو مساومات، لتحسين الشروط، ولكننا لا نستطيع أن نقبل من رجل إستراتيجي مثل رابين مثل هذه التفسيرات. وقد ورد كلام يبدو متعارضا إن لم يكن متناقضا في "البند 10" عندما تقولون "ونحن سنجمد الإستيطان"

وهذا جيد شريطة أن يشمل كل الأراضي التي إحتلت عام 1967، بما في ذلك القدس ولكنكم تستدركون بالقول: إنما سنحافظ على المستوطنات اللازمة للأمن وخاصة في المرحلة الإنتقالية. وإننا ننظر بكثير من القلق والرعب لجملة، "وخاصة في المرحلة الإنتقالية".

نحن في حالة حرب، نمارسها بوسائلنا ما زال الإحتلال قائما، ولكننا لا نمارس القتال والعنف من أجل القتال والعنف، وإنما لنصل إلى حقوقنا التي أقرتها لنا الشرعية الدولية، ولهذا فنحن شعب كبقية الشعوب نريد أن نحيا حياة طبيعية خالية من كل الشوائب. ولكي نؤكد لكم أننا نمارس حقنا بوعي كامل وإدراك سياسي عميق، فقد مارسنا وضغطنا على الآخرين أن يمارسوا ضبط النفس عشية الإنتخابات حتى لا يتسلح شامير بسلاح ضدكم.

نحن نفهم عدم تهاونكم في مسألة الأمن وقد جربنا هذا في الحقبة الماضية ونعرف بالضبط ما تقوموا به (البند رقم 12). ولكن دعونا نتسائل ونسأل؟ أليس بإمكانكم أن تقوموا بإجراءات كثيرة من شأنها أن تريح الناس وتزيل الإحتكاك؟ (المطلوب بالبند 3 مرفق). كذلك فإن سرعة التقدم في المفاوضات ستعطي الناس الإنطباع بأن نهاية معاناتهم قريبة. ولا بد أنكم تذكرون أن أطفالنا الذين حملوا الحجارة ويحملونها ضد جنودكم منذ خمس سنوات ويفهمون المعنى السياسي لهذه الحجارة، هؤلاء الأطفال فهموا وبسرعة المعنى السياسي من غصن الزيتون الذين حملوه بعد مدريد، أليست هذه أطروحة سياسية موجهة إلى أطفال إسرائيل وساستها وجنودها؟ ماذا سيكون مصير الأمل الذي برق بعد مدريد إذا عرف شعبنا أن شامير كا يحاول أن يكسب الوقت لمزيد من الإستيطان ومزيد من القمع ومزيد من التهجير؟ كيف يمكن لشعبنا أن يصدق أن الحكومة التي ستذهب إلى روما هي غير الحكومة التي ذهبت إلى مدريد وواشنطن؟ لا يمكن أن يصدق ما لم ير على الأرض الحقائق تتغير. وما لم يتغير ما بالنفوس .. والأمر بيدكم .. فنحن قدمنا كل شيء.

مهما كانت معلوماتنا إيجابية عن تلك الشخصية الإسرائيلية الكبيرة التي نتفاوض معها، فإن المسألة تتعلق بالتعليمات التي سيحملها. فإذا كانت إيجابية فمما لا شك فيه أنه -عندئذ- سيضفي عليها ميزاته الشخصية (البند 20).

أرجو أن تسمحوا لنا بأن نعلق على قولكم بأن الطريق طويل وشاق (البند 11). وذلك بسبب ما ذكرتموه عن الخارطة السياسية في إسرائيل. نحن نزعم أننا نفهم الخارطة السياسية الإسرائيلية، ونعرف أن نسبة كبيرة من التطرف يعود سببها إلى المزاودة وكسب الشارع للإستمرار على كرسي السلطة. وهذا يذكرنا بقول إسحاق شامير عشية خسارته الإنتخابات عندما قال: "لقد تعب الشعب الإسرائيلي من النضال من أجل إسرائيل الكبرى .. لقد فشلنا في إقناع الناخب الإسرائيلي بأهدافنا. ويذكرنا بما قاله موشي أرينز أيضا عقب إنسحابه من الحياة السياسية، لم أكن من المناضلين من أجل إسرائيل الكبرى ... إلخ".

وإذا إستثنينا موليدت وتسوميت، المتطرفتين. فإننا نعرف حقيقة أهداف الأحزاب الدينية ومتطلباتها وأنتم أدرى منا بذلك. وأرجو أن نكون قد فهمنا المغزى من حجب الثقة عن غينولا كوهين من قبل الناخب الإسرائيلي الذي صوت بشكل واضح للسلام. ولذلك فإننا نرجو أن لا تكون مسألة الخارطة السياسية الإسرائيلية ذريعة للتعطيل (البند رقم 11). وإذا جاز للطرف أن يتحدث عن تناقضات خارطته السياسية فنحن أول من يتحدث عن هذا سواء على المستوى الفلسطيني حيث المعارضة العقائدية الجادة لمسيرة السلام، أو على المستوى العربي الداعم لبعض الأطراف الفلسطينية المذكورة لتعطيل هذه العملية، ومع ذلك فعندما قررت مؤسساتنا التشريعية والتنفيذية السير في مخطط السلام، كان ذلك رغم كل المعارضات.

إن بناء السلام لا يتجزأ، ولإسرائيل مشاكل نتيجة الإحتلال مع كل من سورية ولبنان. والسعي إلى السلام يجب أن يكون شاملا، وأن يكون جادا على مختلف الجبهات، ولذلك فإننا نفهم من (البند رقم 2) أنكم ستركزون معنا حول المرحلة الإنتقالية، ما لا ينفي تركيزكم على إيجاد حلول مع الآخرين.

لقد قضينا في المفاوضات خمس جولات، كانت آخرها في واشنطن. ونحن نشاطركم الرأي أن نبدأ في روما من حيث إنتهينا في واشنطن. لقد قدمنا مذكرات ووثائق -لم تجد صدى- لدى الوفد الإسرائيلي، تتعلق بنقل السلطة، والإنتخابات التشريعية ومسائل الإستيطان وحقوق الإنسان. وقد راعينا بدقة أن تنسجم هذه الوثائق والمذكرات مع الشرعية الدولية ورسالة التطمينات

الأمريكية ورسائل الدعوة، تلك الرسائل التي أكد فيها الأمريكان أنها لا تتناقض أو تتعارض مع أية رسائل أخرى سلمت لطرف آخر وبالذات للطرف الإسرائيلي، ونحن بكل صراحة متمسكون بمضمونها جميعا على الرغم من التحفظات التي سجلناها في حينه وقدمناها إلى الإدارة الأمريكية. وأي تراجع عنها يجعلنا في موقف صعب أمام شعبنا ويفقدنا مصداقيتنا إذا قبلنا بذلك، ولن نقبل. ومن هنا فإن عين المفاوض الإسرائيلي الجديد سترة بموضوعية أن ما كتبناه هو منطقي وواقعي، الأمر الذي يدعوكم إلى البدء الفوري بإجراءات بناء الثقة، ثم الإنتقال فورا إلى الإنتخابات التشريعية والإتفاق على نقل السلطة.

وكان في الرسالة ملحقا حول إجراءات بناء الثقة تتضمن ما يلي:

1. إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين.
2. إلغاء الإعتقال الإداري وقوانين الطوارئ السارية المفعول منذ فترة الإنتداب.
3. إقفال معتقلي أنصار 3 ونفحة.
4. رفع الحظر والقيود عن حرية النشاط والإنتماء السياسي.
5. إعادة المبعدين وفق قرارات مجلس الأمن.
6. إلغاء الضرائب التي فرضت منذ عام 1967 (خمسة أنواع من الضرائب).
7. وقف مصادرة الأراضي والممتلكات وإعادة المصادر منها إلى أصحابه الشرعيين.
8. تسهيل عملية لم شمل العائلات.
9. رفع القيود عن تصدير السلع من الأراضي المحتلة والإمتناع عن عرقلة أية مشاريع تنموية.
10. إلغاء القيود على عمليات البناء.
11. إلغاء نظام البطاقة الخضراء وحرية دخول القدس.

إجتماع عمرو موسى مع رابين وبيريز:

وفي يوم الجمعة 1992/10/9 إلتقيت وزير الخارجية المصري إثر عودته من زيارته لإسرائيل. وذكر أنه إلتقى متفردا مع إسحاق رابين، ثم مع شمعون بيريز ثم جرى فيما بعد لقاء ثلاثي في تل أبيب. وعرض الوزير ما يلي

بخصوص النقاط التي أثيرت معه من قبلنا، لبحثها مع الإسرائيليين، قبل سفره إلى إسرائيل، والتي تتعلق بالمرجعية 242 - 338 وحضور المتعدد، والإنتخابات والقدس واللجنة المقترحة، والقناة الخلفية، والإستيطان والأمن والكونفدرالية، ومسألة غزة، والإشراف، ومبادرات حسن النوايا، والجداول الزمنية. وسنستعرض هذه النقاط دون ترتيب:

1. بخصوص المرجعية:
في اللقاء الأول مع رابين قال بأن 242 لا ينطبق على المرحلة الإنتقالية، وبعد ضغط الوزير بوجوب الإشارة بشكل أو بآخر إلى هذا القرار، أفاد بأنه سيبحث في صياغة عامة ويتم إبلاغه بها مساء. وعرض في هذا الخصوص على قوله أنه إذا كان الفلسطينيون يحتاجون إلى التفاوض معي فكل شيء يتم على مائدة التفاوض فقط، ولكن لأن الرئيس حسني مبارك له دور هام وإيجابي فإكراما له سأبحث الموضوع و أعطيك جوابي عليه.

وفي الجلسة الثانية وبحضور بيريز قدم له الصيغة التالية:

Negotiations on the final settlement of the Palestinian question which would start not later than the third year of the interm period will be based on the resoulution 242, 338.

وذكر أنه (أي رابين) سيعلن بنفسه هذه الصيغة أو ستقدم رسميا على مائدة المفاوضات كوثيقة.

2. القس والمجلس (الإنتخابات):
لفت رابين إنتباه الوزير حول موضوع القدس وأن هذا الموضوع شديد الحساسية ولا يستطيع البحث فيه الآن، ولكن الوزير عمرو موسى رد عليه بفكرة مآلها «لجنة القدس» وكذلك إجراء الإنتخابات في مسجد أو كنيسة، وتكون هذه اللجنة مرتبطة بالجسم المنتخب.

وعلق رابين قائلا: أتمنى على الفلسطينيين أن يتفاوضوا معي بجدية ولا يتمسكوا بالقشور، وقبل ذلك فلن أبحث في هذه القضايا. فقد ظهر لي أن السوريين أكثر جدية من الفلسطينيين، واستطرد يقول أن كلا من أعضاء الوفد له رأيه الخاص،

وكل ما يهمهم أوراق للدعاية والنشر، ومن جهتي فإنني لن أتحرك إذا بقي الأمر هكذا، وإذا كانوا جادين وجديين فأنا على إستعداد لمساعدتهم.

وأقترح بخصوص ما تحدث به الوزير عمرو موسى عن القدس أن يتم تشكيل فريقين:

الفريق الأول: فريق يبحث في الإنتخابات، وللفلسطينيين أن يطرحوا مقترحاتهم بخصوص القدس، وأنه مستعد لذلك على ألا يكون في إطار دعائي أو عشوائي، فإما أنهم يريدون أن يتحركوا، أولا، فأنا لا أخسر شيئا.

الفريق الثاني: يبحث في مسؤوليات المجلس أي "إطار ومسؤوليات المجلس". وقد رفض رابين الحديث في سلطات المجلس، مما جعل الحوار ساخنا. وبعد أخذ ورد طلب رابين مهلة للتفكير. وعقب عمرو موسى بأن مصر تريد فكرة مقبولة للطرفين، وبعد مرور بعض الوقت طرح رابين صياغة تسمية المجلس (Excutive Body)، إلا أن الوزير أعاد النقاش حول هذا المقترح، وقال أن مصر تقترح تسميته "المجلس الفلسطيني التنفيذي". وعقب رابين على ذلك قائلا: دعهم يطرحونها في المفاوضات وبدون إستخدامها في الإعلام.

وبعد نقاش مطول حول العدد، قال رابين لا مانع لدي أن يكون العدد (27). فطلب الوزير أن يكون مضاعفا وترك الباب مفتوحا.

3. القناة الخلفية:

لقد قرر رابين بأنه يقبل بمصر فقط لتكون القناة الخلفية في حال تعقدت الأمور، وذلك لأنه لا يثق بأن المعلومات لن تتسرب إلى أكثر من العدد المقترح، الأمر الذي يفقد هذا الموضوع مضمونه، وهو يوافق على مصر لتكون القناة الخلفية لنا ولهم، بحيث نعود إليكم، كلما دعت الحاجة إلى ذلك وخاصة في القضايا الكبيرة.

4. المتعدد:

قال رابين أنه يوافق على دخول الفلسطينيين في اللجان الخمسة ومن الخارج وذلك ضمن الرؤية التالية:

1. أن لا يكون من ضمن الأعضاء أحد من مدينة القدس.
2. أن لا يكون من ضمن الأعضاء أحد من المنظمة وأجهزتها.
3. الأعضاء الحاليون في اللجنتين تبقى أسماؤهم موجودة، ويتغيبون بشكل دائم (يوسف الصايغ - وإيلي صنبر). (قال بيريز يوجد شخص ثالث).

وقال رابين: كل ما قلته يعتبر لاغيا إذا نفذ عرفات ما أعلنه أمس في عمان عن عقد المجلس بشقيه. وتابع الوزير قوله، المهم لنا عدم تنفيذ ما أعلنه أبو عمار ونحن سنبلغ إسرائيل بذلك.

5. حول الكونفدرالية الثلاثية:

عندما إستوضح الوزير من رابين عن تصريحات خاصة عن الكونفدرالية الثلاثية، قال رابين (نعم من حيث المبدأ موافق وبعد ذلك نبحث التفاصيل سواء ثلاثية إسرائيل- فلسطين- الأردن. أو ثنائية الأردن وفلسطين). وعقبت بقولي كما تعرفون يا سيادة الوزير أن هذا الأمر جيد ولا بد من بحثه أولا مع الأردن.

6. الإستيطان والأمن:

تعقيبا على ما تحدثنا به مع الوزير حول تمييز رابين ما بين الإستيطان السياسي والأمني وتأكيدنا أنه كله إستيطان توسعي، قلنا للوزير ما دام رابين يهتم بالأمن فنحن مستعدون لنبحثه بعقول مفتوحة لأن الأمن يهمنا كما يهمه، ولماذا نبحث الأمن من منطلق أبعاد الخوف المشترك؟ فلنبحثه من منطلق الحرص على المصلحة المشتركة. تعقيبا على هذا الكلام الذي نقله الوزير لرابين، أجاب رابين أننا موافقون من حيث المبدأ، على أن يثار ذلك على مائدة المفاوضات.

هنا قال لنا عمرو موسى: ممكن أن تبحث بشكل جانبي ومغلق في إطار المفاوضات الرسمية، وإذا كانت لديكم مشاريع جاهزة فإننا على إستعداد لنقلها.

7. الجداول الزمنية:

ذكر رابين أنهم إذا كانوا جادين فنحن مستعدون للإنتهاء من (Modaleties) في يناير/ كانون الثاني 1993 وأن تجري الإنتخابات في أبريل/ نيسان أو مايو/

أيار 1993. وإذا كانوا لا يريدون إجراء الإنتخابات فنحن مستعدون للإتفاق على قائمة أسماء المجلس.

8. الإشراف:
أقر رابين بأن مسألة الإشراف ككل تتعلق بالمرحل النهائية، أما في إطار المرحلة الإنتقالية، فإن ذلك أمر مرهون بالإتفاق بين حكومة إسرائيل والمجلس المنتخب.

9. غزة:
تعقيبا على ما طرحه أبو مازن حول تصريحات متعددة من مسؤولين إسرائيليين بشأن غزة. لم يطرح الوزير مسألة إنسحاب إسرائيل من غزة. وإنما تركز البحث من قبل بيريز في لقائه المنفرد معه على أزمة المياه في قطاع غزة من مجاعة وعطش. وطلب أن يتم تخصيص إقامة مشروع تحلية للمياه هناك، تشارك به السعودية وأوروبا وغيرهما، ونحن كإسرائيل جاهزون للمساعدة. وأضاف بيريز قائلا ستكون هذه المياه ملكا لأهل القطاع يستعملونها، وما يفيض عنهم يمكن أن يبيعوه، ويمكن أن نشتريه منهم.

10. إجراءات بناء الثقة (حسن النوايا):
قال رابين بأنني قمت بكثير من الإجراءات لأبدأ حسن النوايا ولكن مع الأسف قوبلت بردود فعل سيئة. الأمر الذي جعلني أتوقف عن تكرار هذه العملية الآن.

وفي نهاية الحديث قال الوزير عمرو موسى بأن أية كلمة تخرج أو تسرب من هذا الحديث (المحضر) ستجعل رابين مرغما على أن لا يكرر مثل هذا الكلام ويعتبر نفسه في حل مما قال، إلا فيما عنى الذي يتم الإتفاق على نشره، مثال اللجان الخمسة.

وفي لقاء حسيب صباغ مع هنري سيجمان الذي تم بتاريخ 1992/11/15، حمل سيجمان حسيب صباغ رسالة غير مكتوبة للمنظمة، مطالبا المنظمة بتسهيل مهمة الوفد الفلسطيني، مشيرا إلى الدور الإيجابي الذي يمكن أن يلعبه يهود أميركا في عملية السلام.

بعد أن أمضى بضعة أشهر على قناة أوسلو، لا حظت أن كثيرا من المسؤولين الإسرائيليين يرغبون في لقاء معي، وكانوا يحددون إسمي، وكنت أستغرب مثل هذه الهجمة الضخمة، وقد كنت أرفض هذه اللقاءات المقترحة بناء على إحتمال وضعته، يدور حول سعي حكومة رابين لامتحاننا ومعرفة مدى تمسكنا بقناة أوسلو، ومدى رغبتنا في اللعب على الحبال والإتصال بأكثر من مجموعة وفتح أكثر من قناة، وهذا ما دفعني لأن أرفض اللقاء مع وزير التربية الإسرائيلية شولاميت ألوني التي حددت أكثر من موعد وأكثر من مكان للقاء معها، وكان آخرها يوم 1993/7/13 في روما، حيث إلتقاها هناك محمود درويش. وكذلك فقد إتصل بي باسل عقل وأبلغني بأن الشخصية الإسرائيلية الكبيرة المقربة من رابين، ترغب في لقائي، فطلبت منه أن يلتقي نبيل شعث، وقد تم هذا في واشنطن على هامش أعمال الجولة العاشرة للمفاوضات الثنائية. وبعد فترة قصيرة أبلغني سفيرنا في روما أن يوسي سريد والنائب ديدي تسوكر وهما من حركة ميرتس يرغبان في لقائي في روما، لكنني إعتذرت وطلبت منهما أن يلتقيا نبيل شعث في القاهرة وقد تم ذلك، إلا أن ما أصابني بالذعر هو أن سريد أسر إلى شعث بأن رابين أبلغه بوجود قناة سرية، وعندما نقل لي شعث هذا الخبر مصحوبا بمحضر اللقاء، أبلغته بأن سريد لا يعرف شيئا وأن رابين يتحدث عن قناة مصرية، وأن زيارات عمرو موسى وزير خارجية مصر، إلى إسرائيل هي ما كان يعنيه رابين في كلامه. وأضفت: أن هذه اللقاءات لا تعني قناة رسمية، لأن رابين رفض منذ البداية فتح أية قنوات خلفية معنا، لأنه يعتقد أننا نسرب الأخبار وأننا لا نحفظ الأسرار، ولا مصداقية لدينا. ولذلك لا تلتفت إلى مثل هذا الكلام.

وبعد ذلك حدثني باسل عقل بأن هنري سيغمان المدير التنفيذي للمؤتمر اليهودي الأمريكي يريد اللقاء بي في القاهرة. وقد سبق لهذا الرجل أن طلب من باسل أن يعرف رأينا في التسوية. فكتبت له مذكرة مقتضبة عن رؤيتنا لهذه التسوية. ولكنه لم يجب. والآن يطلب لقاء مباشرا ومعلنا إذا أردنا، وقد وجدت من المناسب أن يلتقيه أيضا نبيل شعث. وقد حصل اللقاء في القاهرة بتاريخ 1993/7/23.

كان الإسرائيليون الذين يطلبون اللقاء معنا، يعززون طلبهم بأنهم مقربون من رابين مثل تلك الشخصية الإسرائيلية الكبيرة، أو قريبون من منبع القرار

الإسرائيلي مثل يوسي سريد وديدي تسوكر. ولكن كنا نشعر أن رابين لم يطلب من أحد الإتصال بنا. ولعل الأمر معكوس أي هؤلاء يقترحون على رابين أن يتصلوا بنا، فلا يبدي أية ممانعة.

وهناك فرق كبير بين الحالتين. لذلك كنت أحرص على أن يتأكد نبيل شعث من هؤلاء فيما إذا طلب منهم لقاؤنا أو هم إقترحوا اللقاء. وكذلك كنت أرغب في الوصول إلى حقيقة أخرى، وهي: هل ما يحملونه هو من أفكارهم التي قدموها لرابين أم أن رابين حملهم هذه الأفكار؟ فهناك فرق كبير بين الحالتين. حيث أنه إذا إقترح شخص ما على رابين أن يحضر ليقول لنا أمرا ما، فهذا شيء، أو أن رابين يستدعي شخصا ويطلب منه أن ينقل أفكارا محددة أو أسئلة محددة، فهذا شيء آخر. وقد لاحظنا أن الجميع متطوعون للمجيء ويحملون أفكارهم الشخصية، وأنهم يبحثون عن دور شخصي، وأن رابين أو بيريز لم يكلفا أحدا غير أعضاء التفاوض في التباحث معنا.

وهذا ما كان يعزز عندي فكرة الإمتناع عن إجراء أية لقاءات خارج إطار أوسلو، وكنت أقدم الحجج والذرائع بأن المفاوضات في واشنطن تسير ولا نريد أن نعكر صفوها، ولا نريد أن نشوش المفاوضين بقنوات إضافية.

في يوم 1993/7/25، وصل إلى تونس د. أحمد الطيبي وهو فلسطيني من مدينة الطيبة يحمل الجنسية الإسرائيلية، ويتميز بوعي سياسي وبمعرفة كبيرة وواسعة لما يجري في الساحة الإسرائيلية، وتربطه علاقات قيمة مع عدد من الشخصيات الإسرائيلية البارزة. وهو يتسم بالنشاط والحيوية والحس الوطني. وقد وصفه الشهيد أبو إياد عام 1990 بأنه فلسطيني وطني مناضل من أجل السلام، له مصداقية قوية مع عيزرا وايزمن وحاييم رامون وآخرين في حزبي العمل وميرتس. وكذلك تربطه علاقات صداقة قوية مع عدد من القادة الفلسطينيين تتسم بالمصداقية والدقة. وكثيرا ما كان ينقل رسائل شفوية ومكتوبة تحمل أحيانا طابعا سياسيا وأحيانا طابعا إنسانيا، وقد لعب دورا في محاولة عقد لقاء بيني وبين عيزرا وايزمن آنذاك. ومن المعروف أن وايزمان كان من صقور الليكود، إلا أنه أثناء مباحثات كامب ديفيد أو ما قبلها بدأ يغير مواقفه. ويقال أن سبب التغيير يعود إلى العناية الفائقة التي أحاطه بها الرئيس الراحل أنور السادات الذي كان يناديه بـ

عزيزي عيزرا. ويقال أن هذا ليس السبب الوحيد. وإنما هناك سبب إنساني، وهو أن إبنه الوحيد، الوريث لعائلة وايزمان قد أصيب أثناء حرب الإستنزاف برصاصة في رأسه أصابته بعاهة مستديمة. وأثر الحادث عليه كثيرا وجعله يرى أن إستمرار الحرب ستصيب أبناء آخرين مثلما أصابت إبنه. ولذلك راح يدعو إلى السلام وخرج من الليكود إلى العمل. ومن العمل إلى إنشاء قائمة مستقلة. ثم عاد مرة أخرى إلى العمل. ولكنه لم يتوقف عن دعواه للسلام.

نعود إلى أحمد الطيبي الذي ساهم في الإتصالات بيننا وبين الإسرائيليين. بعد إجتماعات له مع حاييم رامون وزير الصحة الإسرائيلي، أقرب الوزراء الإسرائيليين إلى إسحاق رابين، جاء حاملا معه عدة أسئلة وطالبا الإجابة عليها.

وقد ساعدت مهمة الطيبي عرفات إلى الحد الأقصى، عندما كان يشرح قناة أوسلو دون أن يذكرها. حيث كان يكتفي بالحديث عن مهمة الطيبي، وأن كل الموضوع بدأ بهذه المهمة وينتهي بها أيضا. حتى أصبح الطيبي الإسم الرمزي للقناة الخلفية وذلك بسبب تكرار إسمه لدى كل من يريد أن يشرح له عرفات إتفاق إعلان المبادئ الإسرائيلي الفلسطيني.

ولم يكن بالإمكان عدم الرد على هذه الأسئلة بأية حجة من الحجج.

وقد أبلغني الطيبي بأنه قبل حضوره إلينا عقد لقاءين مع حاييم رامون وزير الصحة. وللدقة فقد سجل محضرين عن هذين اللقاءين وقدمهما لي ثم أتبعهما بالأسئلة التي قال بأن رامون كتبها بنفسه، وأنه لم يفعل ذلك إلا بعد أن إستشار إسحاق رابين.

بروتوكول

مكان الإجتماع: وزارة الصحة. مكتب المدير.
التاريخ: 1993/7/14. الأربعاء 11.45 صباحا.

ح.ر: أعرف أنك قريب جدا من عرفات.

أ.ط: إجتمعت معك بعد أن حصلت على موافقته. وهو على علم بهذا الإجتماع.

ح.ر: رابين لا علم له بهذا اللقاء، ولكني بناء على مجرى حديثنا سوف أعلمه بع وأطلعه على التفاصيل.

أ.ط: أنا مخول بسماع إقتراحاتكم ونقلها للرئيس. لا أستطيع إتخاذ قرارات أو إعطائك ردا الآن على أية ملاحظة أساسية.

ولكن أسعى لأن أقنعك وبالتالي رابين بحتمية التفاوض بشكل جدي مع ياسر عرفات. إنه صاحب القرار الوحيد في الشعب الفلسطيني، وهو الذي يستطيع التوقيع على إتفاقية معكم.

ح.ر: معارضتي للتحدث الآن مع منظمة التحرير الفلسطينية في تونس هي براغماتيكية وليست أيديولوجية.

أ.ط: لقد قيل لي أنك مبدئيا توافق على التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية. وأن رابين يوافق على التفاوض معهم من أجل التوصل إلى إعلان مبادئ مشترك..

ح.ر: يجب أن أكون دقيقا. رأيي الشخصي أنه إذا تبين أن منظمة التحرير قادرة على التوصل معنا إلى توقيع على إعلان مبادئ مشترك حول الحل المرحلي، فإني شخصيا أوافق، على أن يوقعه شمعون بيريز ومقابله أبو مازن أو أي شخص يختاره عرفات ... نبيل شعث أو آخرين. وأضيف وأقول أنني أشعر وأعتقد أنه إذا تبين لإسحاق رابين أن المنظمة ستوقع معنا بكل تأكيد على إعلان مشترك، فبرأيي أن رابين إنسان عملي وسوف يوافق، على أن توقع المنظمة بشكل علني على الإتفاق على مستوى وزاري .. ولكن رابين رجل كثير الشك، وأحيانا بحق. ويجب أن يكون متأكدا من نية القيادة الفلسطينية في تونس، أي التوقيع والتوصل إلى إتفاق جدي.

أ.ط: هناك نقاط خلاف كثيرة حول إعلان المبادئ. الإقتراح الأمريكي مرفوض بشكل كامل تقريبا لأنه يتبنى لغة ومواقف إسرائيلية.

ح.ر: أنت تفهم، أحمد، الشارع الإسرائيلي. موضوع القدس هو خط أحمر بالنسبة لنا...

أ.ط: وبالنسبة لنا أيضا. نحن نتحدث عن القدس الشرقية وليس عن القدس الغربية.

ح.ر: أدرك ماذا تريدون.. وأدرك ما تصبون إليه. لقد أعطيناكم الكثير، على عكس الحكومة السابقة ولكنكم تخطئون في رفض ذلك.

أ.ط: هناك إنطباع أنكم تعطون الجانب الفلسطيني حكما ذاتيا للسكان وليس للأرض..

ح.ر: على ماذا تتحدث.. ماذا تقول! لقد أعطيناكم سلطة على 60% من الأراضي. يجب أن يكون واضحا: لا مجال لأن لا تسيطر إسرائيل على المستوطنات في الفترة الإنتقالية. أنت تعرف الشارع الإسرائيلي.

أ.ط: ولكنكم تجعلون من المستوطنات منطقة Ex-territorial.

ح.ر: نحن نتحدث عن الفترة الإنتقالية فقط...

أ.ط: الشارع الفلسطيني فقد ثقته في مجريات المفاوضات كما تجري اليوم. صيغة مدريد يجب أن تعلن وفاتها منذ زمن طويل. عمليا المفاوضات الحالية إستنفذت منذ فترة ولا مجال للتقدم. يجب رفع مستوى المفاوضات والتحدث مع صاحب القرار في تونس.

ح.ر: يجب أن نسأل المنظمة إذا كانت مستعدة لتليين موقفها من نقاط الخلاف، ولكن يجب أن يكون ذلك بشكل سري للغاية.

أ.ط: ما هو المطلوب؟

ح.ر: هناك عدة أسئلة يجب أن يردوا عليها...

أ.ط: أكتبها وسوف أنقلها إلى القيادة في تونس.

ح.ر: سوف أكتبها على ورقة بيضاء...

أ.ط: إذن سوف لن تحصل على رد على ورقة رسمية لمنظمة التحرير، لأنك لا تعطيني ورقة رسمية إسرائيلية...

ح.ر: الهدف هو معرفة ردهم ومن ثم التقدم إلى الأمام معهم .. من جهتي فليعطوننا ردا على ورقة بيضاء.

أ.ط: سأطرح ذلك. ما هي الأسئلة...

ح.ر: الأسئلة هي حول ما يلي:

1. هل تقبل منظمة التحرير مبدأ الحل المرحلي؟
2. هل تقبل المنظمة إبقاء موضوع الحل النهائي للقدس حتى بداية المفاوضات حول الحل النهائي للأراضي؟
3. هل تقبل منظمة التحرير الفلسطينية بأن تكون إسرائيل هي المسيطرة على المستوطنات في الفترة الإنتقالية؟
4. هل توافق منظمة التحرير الفلسطينية على أن يكون الأمن الخارجي للأراضي تحت سيطرة إسرائيل؟

أ.ط: أتوقع أن تكون هناك إجابات وأسئلة أيضا من قبل منظمة التحرير الفلسطينية. هناك نقاط خلاف عديدة.

ح.ر: يجب جسر الهوة والتوقيع على إعلان مبادئ مشترك. أود أن أقول أن هذه الورقة التي كتبتها (كتب الأشئلة بخط يده على ورقة وزارة الصحة) سأعرضها على إسحاق رابين وسأعود إليك في نهاية الأسبوع. هذا الإجتماع هو إجتماع سري.

أ.ط: دعني أنتقل لموضوع آخر مهم، وهو وضع الجماهير العربية، وخاصة الأكاديميين العرب في إسرائيل، يجب أن تعملوا على إيجاد فرص عمل مناسبة لهم.

ح.ر: ألا تلاحظ أن طريقة تعاملنا مع الوسط العربي هي مختلفة تماما عن حكومة الليكود. نحن نعطي ميزانيات كبيرة الآن للسلطات المحلية جراء الغبن الذي لحق بكم. وهناك لجنة خاصة في مكتب رئيس الحكومة لإستيعاب الأكاديميين العرب في المكاتب الوزارية.

أ.ط: قانون الصحة الذي تسعى إلى إنجازه هو قانون جيد أتمنى أن تنجح في تمريره في الكنيست.

ح.ر: أعطني كل أرقام هواتفك.

أ.ط: هذه أرقام هواتفي في المكتب والمنزل.

ح.ر: سأعود إليك بعد عدة أيام لأن رابين الآن مشغول في الوضع على الحدود اللبنانية. أشعر أن هذا هو إجتماع مهم.

بروتوكول

إجتماع رقم 2
تاريخ اللقاء: 1993/7/20
المكان: نفس المكان

ح.ر: ماذا تعرف عن القناة المصرية؟

أ.ط: أعرف جزءا فقط. لا أعرف الكل..

ح.ر: هناك قناة في القاهرة ... أنت تعرفها .. أبو مازن بواسطة المصريين... عمرو موسى وأسامة الباز وبمعرفة عرفات .. ولكن الحقيقة أن الأمور «واقفة» عند موضوع القدس... إذا حل هذا الموضوع فإن أمورا

كثيرة ستحل ... عندنا رابين وبيريز أيضا متفتحون لأمور عديدة ... وأنا قادم الآن خصيصا من لقاء شمعون بيريز، ما يهمنا هو موضوع القدس ... ألا يبحث اليوم...

أ.ط: و Jurisdiction..؟!

ح.ر: لا .. نحن لا نقول حتى ذلك .. نحن نقول المستوطنات والأمن الشامل ... طبعا من هذا تفهم أمور من ضمن الولاية الجغرافية ... لأن الفلسطينيين يريدون تعريفا بأن الحكم الذاتي يشمل كل المناطق التي إحتلت عام 1967 .. وهذا .. القدس، ونعود مرة أخرى للقدس ... ماذا قالوا لك في تونس بعد اللقاء الأول بيننا ...

أ.ط: لقد أبلغت الرئيس عرفات بأن هناك شيئا مهما وهو ينتظر نتيجة هذا اللقاء .. لأنك أبلغتني أنك ستذهب بعد ذلك إلى إسحاق رابين ... لقد قلت لي أن رابين هو براغماتيكي .. وأنه إذا تم التفاهم أو التوصل أو الإقتراب من إتفاق، فإن رابين سيوافق على أن توقع منظمة التحرير الفلسطينية على إتفاق وبشكل علني.

ح.ر: نعم هذا ما أقوله .. هذا رأيي .. العلنية هي مقابل الجوهر.

أ.ط: تقصد التوصل إلى إتفاق مبادئ؟

ح.ر: نعم .. نعم، الإتفاق على الولاية الجغرافية وموضوع القدس ... إذا كان ذلك واضحا ... ولكن هناك شك لدى رابين .. أن تكون العلنية ولا يتم التوقيع ... في هذا الموضوع ... وضع الفلسطينيين أفضل من وضعنا لأن اللقاءات هي قبل التوقيع ... والإعلان العلني هو قبل التوقيع ... نخشى أن اللقاء العلني لن يؤدي إلى إتفاق ... يجب أن يتم بعد التأكد بـ 99% أن هناك إتفاقا.

أ.ط: قلت أنه من أجل السرية، فإنك سوف تنقل حديثنا السابق إلى رابين، وتعود إلى مع أسئلة موجهة إلى منظمة التحرير

الفلسطينية والتي بدورها ستعطي أجوبتها. وأتوقع أن تضيف إليها بعض الأسئلة التي تهم القيادة الفلسطينية ... إلى أن نصل إلى ضرورة أن تقوم أنت أو أي شخص آخر من قبل رئيس الحكومة بمستوى وزاري بالإجتماع مع...

ح.ر: شخص مواز من القيادة في تونس...

أ.ط: نعم.

ح.ر: أحاول.. لأن الموضوع جدي.. وقد إجتمعت مع رابين.. أحاول أن أكون حذرا.

أ.ط: مهم لنا .. ما رأي رابين .. لأنكم ستتلقون من عرفات رأيه..

ح.ر: رابين مستعد لأمور كثير يعرفها الفلسطينيون في تونس .. ما يقوم به شمعون بيريز في القاهرة ليس ضد رغبة رابين وإنما بالتنسيق معه، وهم يعرفون ذلك...

أ.ط: القناة المصرية قائمة طوال الوقت، هي مهمة لمنظمة التحرير .. ومهمة لجميع الأطراف .. ولكن المنظمة تريد إتصالا مباشرا .. حتى أن المصريين يطالبون بذلك علنا .. أنا من مؤيدي القناة المصرية ... تونس تحبذ الإتصال مع أولي الأمر مباشرة...

ح.ر: أنا أؤيد ذلك ... لا مشكلة عندي في ذلك. ما تقوله أنت بخصوص العلنية أو ما قاله نبيل شعث حول ضرورة رفع مستوى المفاوضات أي الإتصال مباشرة ... من المحادثات في القاهرة لم نفهم ولم نستنتج أن هذا هو أمر مركزي بالنسبة لتونس .. وأقول لك بيننا، أنه إذا لم يكن هذا هاما كما كنت أظن فما الموضوع؟ الورقة الأساسية لدي هي علنية اللقاءات الرفيعة .. يقولون عندنا وفي أعلى المستويات .. "رأس الهرم" أنه ليس واضحا تماما أن منظمة التحرير، بشكل عملي وليس بالتصريحات العلنية، معنية باللقاءات الرفيعة العلنية .. هذا الأمر يقلقني .. وعليها آنذاك،

فإن القناة الأخرى (أي القناة المصرية) هي عملية أكثر، لأنه لا يتم الحديث هناك عن ذلك .. بيني وبينك ماذا نقول هنا .. إن منظمة التحرير الفلسطينية ستلين موقفها بخصوص القدس.

أ.ط: لا. ليس كذلك .. أقول أن منظمة التحرير الفلسطينية ستنقل إليكم موقفها بهذا الخصوص ... وبهذا الشكل .. هذا الإتصال الكتابي ومن ثم الشخصي .. يمكن أن يكون تقاربا في مواقف الطرفين ... أقول لك رأيي، المخالف للرأي الذي طرحته هنا، أن القيادة في تونس وخاصة عرفات وأبو مازن معنيين بمفاوضات مباشرة، هذا واضح. مع إسحاق رابين أو مع من يعين من قبله.

أ.ط: عنما تقول أبا مازن يجب أن تعلموا أن أبا مازن وعرفات ينسقون كل شيء بينهم ... عرفات على علم بكل شيء. ما يجري بالقاهرة هو قرار جماعي..

ح.ر: ندرك ذلك. ندرك ذلك. عندما أقول أبا مازن أقصد أيضا عرفات..

أ.ط: بخصوص الإتصالات عن طريق القاهرة أبو مازن هو الرجل...

ح.ر: طبعا. هذا ما أقوله...

أ.ط: عندما لا تكون هناك قناة مباشرة فإن الإمكانيات تكون مقتصرة على قنوات جانبية أي طرف ثالث. أحيانا المنظمة ستستخدم الحكومة التونسية لإرسال رسائل إلى الإدارة الأمريكية ... وغالبا عن طريق مصر ... وأحيانا عن طريق الوفد الفلسطيني ... كان الأفضل لو كان هناك إتصال مباشر بين منظمة التحرير الفلسطينية والإدارة الأمريكية..

ح.ر: القناة المصرية، تدار بشكل أساسي بواسطة شمعون بيريز.

أ.ط: أفهم من خلال حديثك أن من يتخوف من إتصال مباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية هو شمعون بيريز، لكي لا يمس ذلك القناة

التي يديرها هو. والتي تعطيه إمكانية السيطرة على الأمور ... وهو متخوف من أن لا يرى المصريون ذلك بعين الرضى. على العكس .. المصريون سيكونون سعداء إذا تمت لقاءات مباشرة .. لقد قالوا ذلك مرارا.

ح.ر: عمليا توصلنا إلى قرار بإعطائك أسئلة ... ماذا ستفعل لا أريد أن ترسلها بالفاكس .. متى ستسافر؟

أ.ط: إذا أنجزنا ذلك اليوم فسأسافر خلال 48 ساعة.

ح.ر: ستأخذ الأسئلة اليوم.

أ.ط: أنظر باهتمام لما قلت عن براغماتيكية رابين التي تحدث عنها ... هل سيوافق على الجلوس مع منظمة التحرير الفلسطينية؟

ح.ر: لدي تقدير مثبت (based estimation) بأنه سيفعل ذلك... رابين يهمه موضوع القدس والأمن... في باقي الأمور فهو منفتح لكل شيء.

أ.ط: الجانب الفلسطيني معني بترتيبات مرحلية، خلال الفترة الإنتقالية في شرقي القدس... إلى جانب الحديث عن الوضع الثابت خلال مفاوضات الحل النهائي. أتمنى أن نتوصل إلى إتفاق في هذه النقطة.

ح.ر: أي أنك تقول أن الفلسطينيين مهتمون في موضوع شرقي القدس بالأساس...

أ.ط: بالأساس.

ح.ر: ماذا تقصد بترتيبات مرحلية في القدس.

أ.ط: هناك عدة نقاط ... هذا يدخل ضمن التفاوض المفصل ... أفضل العودة إلى القيادة ثم العودة إليك.

ح.ر: أعطني مثالا...

أ.ط: لا أملك حق الحديث عن ذلك ... أعطيني فرصة إلى العودة إلى القيادة في تونس .. سيكون لنا إجتماع في تونس في نهاية هذا الأسبوع.

ح.ر: على فكرة ... كان حديث نبيل شعث أمس خلال التسجيل جيدا. التلفزيون يبدي إنفتاحا مؤخرا .. أليس كذلك.

أ.ط: نعم هنام بعض التغيير.

ح.ر: كيف تريد الأشئلة مطبوعة أو بخط يد؟

أ.ط: كما تشاء...

ح.ر: أفضل أن لا تكون بخط يد. سأعطيك أسئلة مطبوعة على ورقة بيضاء. وننتظر ردكم من تونس.

أ.ط: في مرحلة من المراحل قد تكون هناك ضرورة لالتقائك مع أبي مازن أو آخرين يختارهم عرفات.

ح.ر: حتى اليوم أبو مازن لم يجتمع ... لقد جرت حوادث محرجة بالماضي ... وأتكلم الآن بنعومة ... هناك أشخاص إدعوا أن أبا مازن معني بالإجتماع بهم ... ولم يلتقوا ... أو لم يسمحوا لهم باللقاء ... وإلخ ... وهناك آخرون سمح لهم باللقاء ولكن اللقاء لم يخرج إلى حيز التنفيذ .. أعتقد أن أبا مازن لم يرغب في لقائهم...

أ.ط: أنت دقيق ... أبو مازن لم يطلب لقاء أحد. أنتم تطالبون لقاءه...

ح.ر: أنا أتكلم بنعومة ... ولكن عمليا إذا تم تقدم وكان حاجة للقاء، وعبر أبو مازن عن موافقته على اللقاء وتأكد رابين أن أبا مازن يريد اللقاء فإن رابين سيوافق. يجب أن يكون ذلك بهذه الطريقة ...

بسبب إدعاءات البعض أن أبا مازن أراد لقاءهم في الماضي، ولم تخرج هذه اللقاءات إلى حيز التنفيذ.

أ.ط: أرجو أن توصل إلى رابين بشكل واضح: مع كل مرونة أبو مازن وبراغماتيكيته، فإنه اليوم ليس معنيا بلقاءات غير مجدية مع رسميين إسرائيليين. ومن إدعى أمام رابين أن أبا مازن طلب مقابلته فعل ذلك على مسؤوليته...

ح.ر: سأنقل له ذلك. رابين يعرف ذلك حسب إعتقادي. يجب على رابين أن يقتنع تماما أن اللقاء المقترح هو بموافقة أبي مازن وعرفات. لماذا جئت اليوم راكضا إلى هذا اللقاء معك لأني كنت في إجتماعات مهمة إستمرت يومين قبل الإجتماع معك، نظرا لأهمية الموضوع. يجب أن يكون واضحا لك ولهم، إننا لا نريد أن تسبب هذه القناة أي ضرر للقناة المصرية .. لأنها مريحة لنا .. أنا صريح معك. موضوع السلام من أهم المواضيع بالنسبة لي. أنا لا أبحث عن النفع الشخصي ... المهم أن لا نلحق الضرر بالقناة المصرية. أقول لك بصراحة ... هناك نقطة أخرى .. تتعلق بك شخصيا. رابين لم يجتمع معك بالماضي. ولكنه يعرفك .. وهو يقول أنك مقرب من عرفات ولكنك لا تملك تأثيرا كبيرا على عرفات .. إنك لا تستطيع الضغط عليه كما يستطيع المصريون ... بصراحة.

أ.ط: أبلغ رابين أنني لا أنوي الضغط لأنني حقا لا أملك القدرة على ذلك، بالإضافة أنني لا أريد الضغط ... ولكن أهمية هذه القناة أنها مباشرة أكثر من القناة الأخرى وعليه فهي "أصيلة" أكثر ... وهي ستوصل بسرعة أكثر إلى إجتماع رابين- عرفات.

ح.ر: هذا ممكن، إن هذه القناة هي أصيلة وسريعة أكثر ... وقد توصل بين رابين وعرفات ... ولكن "القناة المصرية" مهمة لنا...

أ.ط: سأنقل تخوفك ... بالماضي لم يكن لأي قناة أي تأثير سلبي على قناة أخرى...

ح.ر: لا نريد أن تؤثر هذه القناة على التقدم الذي طرأ في القناة الأخرى ... خاصة وأن الفلسطينيين لم يطرحوا موضوع اللقاء المباشر (!!).

أ.ط: أهمية الإتصال المباشر هي أن حكومة إسرائيل ستتحدث إلى حركة تحرر وطني ... أن تتحدث معي وأنا ليس صاحب قرار ... وقلت لك ما هي الخطوات القادمة ... هذا هو الطريق السليم والتدريجي ... أنا أطرح رأيي على القيادة. أحيانا يقبل رأيي وأحيانا يرفض. أنا لست بديلا عن القيادة في تونس ... أنا مندوب مؤقت عنهم إلى هذا اللقاء.

ح.ر: هذه هي الميزة التي عندك، إننا لا نرى بك بديلا للمنظمة عندما نجتمع معك ... أما عندما أجتمع مع الحسيني فمن الممكن القول أننا نجتمع مع أناس يمكن أن يكونوا قيادة أخرى ... أو هكذا يظن عرفات.

أ.ط: لقد ثبت لكم أنه لا توجد قيادة أخرى ولا يمكن أن توجد وقد قال ذلك الحسيني بنفسه وزملاؤه في الوفد...

ح.ر: هذا واضح اليوم...

أ.ط: هل ترى إمكانية لقاء عرفات- رابين؟

ح.ر: إذا تم الإتفاق على نقطة القدس فإن الموضوع وارد بالحسبان.

أ.ط: ماذا حول الكونفدرالية؟

ح.ر: أنا لا أريد أن أتحدث من خلال الأسئلة عن موضوع الحل النهائي ... فليقوموا هم بطرح هذا السؤال ... هذا إستباق للحديث عن الحل المرحلي...

أ.ط: يمكن التحدث عن الحل النهائي بشكل سريع بموازاة التوقيع على إتفاق إعلان مبادئ للمرحلة الإنتقالية...

ح.ر: مع البدء في الحكم الذاتي عمليا، أو التوقيع على إتفاق الحكم الذاتي وليس على إتفاق إعلان المبادئ ... عليك أن تبلغ تونس أنه إذا ثبت أن القنوات غير المباشرة مجدية أكثر من القناة المباشرة فلماذا الحاجة إلى الإتصال المباشر ... مؤتمر مدريد حصل بعد ضغط الإدارة الأمريكية ومصر ... لأنهم يستطيعون الضغط. أنت تقول أنك لا تريد أن تضغط ولا تستطيع أن تضغط..

أ.ط: لذلك فإن عرفات مرتاح لهذه القناة...

ح.ر: على فكرة .. هل تضايقك السلطات كما كانت في فترة شامير...

أ.ط: لا. لا. شامير منعني من السفر ثلاث مرات إستنادا إلى قانون الإنتداب البريطاني. رابين على الأقل يسمح بحرية الحركة .. وللجميع .. الحق يقال...

ح.ر: هذا إثبات أننا على الأقل في هذا المجال أفضل من الحكومة السابقة..

أ.ط: هذا أكيد. إلى اللقاء.

ح.ر: إتصل بي رأسا عند عودتك. إلى اللقاء.

وهذا هو نص الأسئلة التي حملها إلينا أحمد الطيبي.

أولا: هل تقبل منظمة التحرير الفلسطينية مبدئيا بمبدأ الحل المرحلي كمرحلة قبل الحل الدائم؟

ثانيا: هل تقبل منظمة التحرير الفلسطينية المبدأ القائل بأن الوضع النهائي للقدس سوف يبحث ويحدد ضمن إطار الحل الدائم؟

ثالثا: هل تقبل منظمة التحرير الفلسطينية المبدأ بأن المسؤولية عن المستوطنات اليهودية خلال الفترة الإنتقالية تكون بأيدي إسرائيل؟

رابعا: هل تقبل منظمة التحرير الفلسطينية بأن المسؤولية عن الأمن الشامل في المناطق في الفترة المرحلية تكون بأيدي إسرائيل؟

وهذه أجوبة على أسئلة حاييم رامون التي حملها أحمد الطيبي، وحصل عليها يوم 1993/7/26.

1. **المرحلتان**: نوافق على وجود مرحلتين إنتقالية ونهائية ويتم تحديد موضوعات الحل النهائي في إتفاق المبادئ للربط بينهما: والتي تتعلق بالقدس، اللاجئين، المستوطنات، الحدود وغيرها حسب الإتفاق.

2. **القدس**: نوافق على أن يبحث وضعها النهائي في الحل النهائي.

حاليا:- المشاركة في الإنتخابات تصويتا وترشيحا. إرتباط بين مؤسسات القدس والسلطة الإنتقالية والإشراف عليها.

3. **المستوطنات**: نوافق على أن يبحث وضعها النهائي في الحل النهائي وحاليا: تبقى تحت مسؤولية الجيش الإسرائيلي في المرحلة الإنتقالية. ويتم وضع إتفاق خاص بها للتعامل معها في المرحلة الإنتقالية بسبب تعقيد وضعها وتشابكه.

4. **الأمن**: الأمن الخارجي مسؤولية إسرائيل في المرحلة الإنتقالية والأمن الداخلي مسؤولية السلطة الفلسطينية. يتم تشكيل لجنة إرتباط وتنسيق لحل القضايا المشتركة والخلافات.

5. نعتقد أن أي إتفاق حول. إعلان مبادئ يجب أن ترافقه خطوة معنوية كبيرة بين المنظمة وحكومة إسرائيل بشأن الإعلان عنه وتوقيعه.

وبتاريخ 1993/8/1 تلقيت الرسالة التالية من أحمد الطيبي:

- كما أبلغتكم بالأمس فالرد كان إيجابيا وجليا بشكل عام. لم يطلب منا تغيير في النص ولكن السؤال الذي طرحه المسؤول الأول هو هل سيتناقض ما سيضاف إلى هذا المكان «الهيكل» مع فحوى النقاط الأربعة، وبالتحديد في موضوع «الولاية الجغرافية»؟؟

- المسؤول الأول يقول أن موقف أبي مازن سوف يكون كالتالي. الولاية الجغرافية هي لكل الأراضي المحتلة عام 1967، وهناك نقاط إستثنائية هي: القدس والمستوطنات.
- المسؤول الأول يقول أن هذا النص يخلق تناقضا معينا مع الأجوبة للأسئلة الأربعة، وعليه ما هو إقتراحكم، للربط بين موضوع Jurisdiction وبين موضوعي القدس والمستوطنات، بحيث لا يكون هناك إدعاء حول التناقض المزعوم إياه ؟؟ مثلا: الولاية الجغرافية ستضم أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلة باستثناء القدس (وهنا يأتي الرد التفصيلي حول القدس والمستوطنات بالمثل) أو أي إقتراح آخر ترونه مناسبا.

ومرة أخرى وبتاريخ 1993/8/18، رد الطيبي على إجابتنا على الأسئلة التي تضمنتها الرسالة السابقة:

تحية طيبة .. رد فعل المسؤول الأول هنا كان إيجابيا للإجابات، وقد طلب مهلة أسبوعين لإتخاذ قرار نهائي حول النقطة الخامسة (أي التفاوض المباشر)، بعد أن فهم أن الإجابات هي جزء لا يتجزأ من المفاوضات مع المنظمة. الرجل يريد هذه المهلة لكي يتخذ قرارا وصفه بأنه يختلف عن كل القرارات الأخرى في الماضي. وذلك على ضوء الأزمة الإئتلافية الحادة مع حركة (شاس) وهو يخشى أن يفقد الأغلبية خلال الأيام العشرة القادمة.

وعليه فإن رأيي أن الجولة القادمة من المحادثات يجب أن تكون من أجل البروتوكول فقط، هناك إمكانية أكثر من جيدة للنجاح هنا، وهذا التقدير أيضا يشاركني به الشخص الثالث بعد الإجتماع الرابع والمقرر الذي عقد بينهما مساء أمس.

محاولات سابقة من حكومة شامير لقطع الطريق على إتصالات غير علنية مع م.ت.ف:

أعلن شامير عشية يوم 1989/12/13 أنه طرد وزير العلوم عيزرا وايزمن من الحكومة الإسرائيلية، وأن القرار يبدأ مفعوله بعد 48 ساعة أي يوم الثلاثاء ظهرا 1990/1/2. والإتهام يتركز على نقطتين:

1. الإتصال بأحد الرسميين المهمين في منظمة التحرير الفلسطينية.
2. إرسال موفدين برسائل لعرفات.

وحسب هآرتس فقد قدمت المخابرات الإسرائيلية، بتاريخ 1989/12/31 تقريرا لشامير عن رسائل أحمد الطيبي، فاستشاط شامير غضبا عندما علم أن الرسائل التي نقلها الطيبي من وايزمان لعرفات ساهمت مساهمة كبيرة في قرار المنظمة الإيجابي تجاه خطة بيكر. وكذلك دفع الفلسطينيين من منظمة التحرير الفلسطينية ليصبحوا شركاء في مسيرة السلام.

وقد أدت هذه الحادثة إلى إستنتاج أن وايزمن يؤيد المفاوضات المباشرة بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، ويطالب حزب العمل بصورة منتظمة بترك حكومة الوحدة الوطنية من أجل إعادة إطلاق عملية السلام في الشرق الأوسط من صفوف المعارضة.

كما أن شامير يرى في الوقت الراهن مناسبة لهزيمة حزب العمل، حيث أنه في أضعف حالاته، وهو أكثر تشتتا، وإذا إتجه نحو الإنتخابات فليس لديه أي شيء في يده ليقدمه للناخبين وبالتالي خسارته مضمونة، وإذا دعم الحزب وايزمن فهذا يعني إعتبار اللقاءات مع منظمة التحرير الفلسطينية شرعية وليس لديه الشجاعة الآن للسير في هذا الطريق، على الأقل بيريز ورابين. لذلك فقد خون شامير كل من يتصل ليصبح سيد الموقف أمام الأمريكان، وكسب الساحة في إسرائيل. حيث أن ضربة وايزمن، تعني قطع الطريق أمام حزب العمل بطريقة إستباقية، وللجم تطورات الشارع الإسرائيلي، كما أنه أراد وضع أمريكا أمام الأمر الواقع، وإقناعها بأنه سيد الموقف ولا بديل له، وضرب ضغوطاتهم الخارجية والداخلية، وأن حزب العمل سيسير مجبرا بالطريق الذي يخطه الليكود.

وكان الرأي حينئذ أن إسرائيل تعيش أزمة سياسية خطيرة، وأن المشكلة سياسية وليست أمنية، ولا بد من إستغلال الوضع إعلاميا بالتأكيد على مبادرة السلام الفلسطينية وتوجه منظمة التحرير الفلسطينية للحوار مع كل القوى الإسرائيلية. وأن المفاوضات هي في المؤتمر الدولي. وأنه لا بد من إجراء إتصالات دبلوماسية على مستوى عال للتصدي لهذا التحول الإسرائيلي الهادف لفرض شروطه وبناء جدار حديدي حول نفسه وسحق القوى التي تتوجه للسلام عبر الحوار والمفاوضات.

وكان علينا حذرا وحيطة أن لا ندافع عن وايزمن ونرد إتهامات شامير له بأنه مجرم، وقام بجريمة الإتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية. فكل القوى والآراء التي أخذت بالتحول باتجاه السلام مستهدفة بالتخوين من قبل شامير.

لقد كان وايزمان يصرح في أكثر من مناسبة أنه مستعد للقاء عرفات وأنه مستعد للإعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية، وأنه يدعم الوصول إلى حل سلمي يقوم على إحترام مصالح وحقوق الشعبين، ولكنه في كل مرة كان يتراجع عن اللقاء عندما تحين فرصته. والسبب في ذلك أنه كان لا يريد أن يقع في مشاكل مع حكومته خصوصا وأن حزب العمل يرفض مثل هذه اللقاءات، أما الليكود فإنه مستعد لإدانة بل محاكمة كل من يفعل ذلك. وكان وايزمان يتصور أنه إذا وقع مثل هذا اللقاء معه. فإنه سيفقد موقعه الوزاري وهذا ما لا يرضاه.

ومع ذلك وعندما كشفت الموساد اللقاء الذي تم بين وايزمان ونبيل رملاوي، تعرض الأول إلى هزة عنيفة كادت أن تطيح بحكومة الإئتلاف الوطني، ولكن الجميع توصلوا في النهاية إلى حل وسط، وهو أن يبقى وزيرا في الحكومة، على أن لا يحضر إجتماعات الحكومة المصغرة وذلك لمدة سنة ونصف.

بعد ما سمي بفضيحة عيزرا وايزمان، سافر هذا الإخاد السوفياتي في زيارة كان يحلم بها منذ زمن بعيد. وقد طلب منا أن نرتب له لقاء مع مسؤول سياسي، وبالفعل إلتقى عناك بالوزير إدوارد شيفرنادزه وكان سعيدا في هذا اللقاء، إلا أن الذي عكر سعادته أن شيفرنادزه أبلغه برفع مستوى تمثيل المنظمة إلى مرتبة سفارة، مما جعل شامير يتهمه مرة أخرى بالتواطؤ وبأنه إتفق مع الوزير السوفياتي على هذا الأمر. كذلك فقد إتهم مرة أخرى بالتآمر عندما رفض أن يأخذ معه القائم بأعمال القنصلية الإسرائيلية في موسكو للقاء شيفرنادزه، وكانه يريد أن يقول كلاما لا يجب أن يصل إلى حكومة تل أبيب.

وفي تصريح لصحيفة الأزفستيا في موسكو قال وايزمان: إن ما قمت به ليس خطأ، والعكس هو الصحيح، فإن خطواتي ستأتي بالخير في المستقبل على وطني، وأضاف أن المناخ الدولي العام يفرض على حكومة إسرائيل أن تستوعب أن الوقت ليس لصالحنا، وكلما فهمنا ذلك أسرع، كلما أسرعنا

للجلوس على طاولة المفاوضات. وفي الوقت نفسه علينا أن نجد في العالم العربي أناسا قادرين على تحمل المسؤولية وقادرين على إجراء المفاوضات معنا. وأنا على ثقة بأن مثل هؤلاء موجودون، وهم منظمة التحرير الفلسطينية، والذي من الضروري إقامة إرتباطات معهم.

وأكدت الأحداث التي تلت ذلك صحة نظرة عيزرا وايزمان. فقد شاركت حكومة إسرائيل الليكودية في مؤتمر مدريد.

الفصل السادس

لوحة مدريد

وجد جورج بوش الرئيس السابق للولايات المتحدة بعد أن حقق إنتصارين خلال ولايته الرئاسية أحدهما في حرب الخليج والثاني في تفكيك الإتحاد السوفياتي والدول الإشتراكية، حيث أصبحت الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة التي لا منافس لها، وجد أنه من المناسب أن يتابع إنتصاراته ويتجه إلى الشرق الأوسط ليس فقط من أجل تحقيق الإنتصارات وإنما من أجل أن يؤكد مصداقية الولايات المتحدة التي سارعت إلى تنفيذ القرارات الخاصة باحتلال الكويت، لذلك تعمل بجد لتنفيذ القرارات المتعلقة بالشرق الأوسط. وبطبيعة الحال مع الفارق في مستوى الحماس واستعمال آلية التنفيذ، حيث حشدت إلى جانب قواتها تأييد أكثر من ثلاثين دولة ساهمت في هذه العملية. وبالمقابل أقحمت أكثر من ثلاثين دولة في المفاوضات المتعددة الأطراف التي تخص الشرق الأوسط، وذلك كمظاهرة دولية تسعى إلى هذا السلام بأسلوب المفاوضات المكثفة والمرعية عمليا من أمريكا، وشرعيا من قبل أمريكا والإتحاد السوفياتي، الذي صار روسيا الإتحادية فيما بعد.

ولذلك وفي 6 آذار/ مارس سنة 1991 أعلن جورج بوش عن مبادرته ذات النقاط الأربعة لحل مشكلة الشرق الأوسط وهي:

- تطبيق القرارين 242 ، 338.
- مبدأ الأرض مقابل السلام.
- الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.
- الأمن والسلام لدولة إسرائيل.

لم تتوان القيادة الفلسطينية عن التعبير عن ترحيبها بما ورد في هذه المبادرة. وعندما قررت الإدارة الأمريكية أن تبعث بوزير خارجيتها جيمس بيكر إلى المنطقة تبين أنها مستعدة للتعامل مع الفلسطينيين في الأرض المحتلة، على أن هذا التعامل والتمثيل من خلال وفد أردني فلسطيني مشترك، وقد وقفنا في ذلك أمام مشكلتين أثارهما أغلبية القيادة الفلسطينية، الأولى

رفضها لأن يكون تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر السلام من داخل الأرض المحتلة مع إستبعاد القدس، أما المشكلة الثانية فهي رفض هذه القيادة لأن يكون التمثيل من خلال وفد أردني فلسطيني مشترك.

كنا نسعى للمشاركة بوفد فلسطيني مستقل، أو بوفد أردني مشترك، إلا أن الإقتراح الأول كان مرفوضا أمريكيا وإسرائيليا، أما الثاني فإنه مرفوض عربيا، لأن الدول العربية المشاركة وهي سورية ولبنان والأردن ترفض المشاركة فيما بينها، وترفض مشاركة الفلسطينيين لأنهم سيكونون عقبة في طريق وصولها إلى حلول إقليمية، نظرا لتشابك قضيتهم. ولذلك سمعنا من الجميع دون إستثناء بأن فكرة الوفد العربي المشترك فكرة غير عملية.

وعندما وجدنا أن الإقتراحين غي مقبولين قبلنا بعد نقاش طويل الدخول في مفاوضات مع الأردن من أجل تحديد طبيعة الوفد الفلسطيني الأردني المشترك.

لم يكن لنا مطالب فيما يتعلق بعملية السلام، إلا أننا تمنينا على السوفييت أن يسعوا لدى الأمريكان ليقدموا لنا رسالة تطمينات تتضمن المبادئ الأساسية للرؤية الأمريكية لعملية السلام التي تقوم على الشرعية الدولية. وبالفعل تحمس الوزير بسمير تنيخ وطالب بيكر بها، وتقدم الأمريكان برسائل تطمينات إلى كل الأطراف.

كانت حكومة إسحاق شامير ترفض مشاركة أوروبا في عملية السلام، كما ترفض أن تمنح الأمم المتحدة أي دور مهما كان صغيرا، وفي نفس الوقت ترفض فكرة المؤتمر الدولي، وإنما تطالب بأن يسمى المؤتمر الإقليمي، وقد لعب ألكسندر بسمير تنيخ وزير خارجية السوفييت في ذلك الوقت دورا في تقريب وجهات النظر. وذلك في لقاء تم داخل مقر البعثة السوفييتية في جينيف بتاريخ 1991/5/14 مع وفد فلسطيني برئاسة أبي عمار وعضوية أبي مازن وسليمان النجاب وياسر عبد ربه ونبيل عمرو، حيث وضعت النقاط التالية:

- يسمى المؤتمر: مؤتمر السلام.
- تشارك أوروبا كمراقب في العملية.

- تشارك الأمم المتحدة كمراقب أيضا.
- تودع الإتفاقيات لدى الأمم المتحدة.
- تصادق الأمم المتحدة على أية إتفاقيات يتم التوصل إليها.

وقد جاءت النقاط السابقة حلولا لمعضلات أثارتها الأطراف المعنية في عملية السلام.

كان جيمس بيكر يرى ضرورة الإيحاء لحكومة شامير بأن الإتفاق الأردني-الفلسطيني سيعقد من قبل فلسطينيي الداخل، ولذلك كان يلح في كل مرة على أن يذهب فيصل الحسيني وحنان عشراوي وزكريا الآغا إلى عمان في مناسبات مختلفة للإلتقاء بالملك حسين أو برئيس الوزراء طاهر المصري. وكان يقصد من وراء ذلك أن يطمئن حكومة شامير بأن منظمة التحرير الفلسطينية لا دور لها في هذه العملية، وأن الدور مقصور فقط على هؤلاء. وكان شامير يتوعد الفلسطينيين في الداخل بتطبيق قانون الكنيست الصادر في 1986/8/6 عليهم. والذي يقضي بعقوبة السجن على كل من يتصل بالمنظمة.

وبتاريخ 1991/10/23 أي قبل إنعقاد مؤتمر مدريد بأيام. كان علينا أن نتواجد في عمان لوضع اللمسات النهائية للإتفاق الأردني- الفلسطيني. وفي نفس الوقت وصل فيصل الحسيني وحنان عشراوي وزكريا الآغا. وبناء على طلب من جيمس بيكر فقد سلطت الأضواء على وصول وفد الحسيني. واختفى وفدنا من الصورة تماما لكي يقال بأن الإتفاق عقد مع وفد الحسيني وليس مع وفدنا. ولذلك إتفقنا على أن يذهب الحسيني ووفده إلى رئاسة الوزراء ويستقبل بصفة رسمية ثم يخرج للصحفيين ويؤكد أن الإتفاق قد تم. ومن ثم نذهب نحن لنتمم العملية. وهكذا وقع الإتفاق الأردني- الفلسطيني الذي أتاح لنا فرصة المشاركة في مؤتمر مدريد.

إن من رشح مدريد لتكون محطة أولى لقطار التسوية التاريخية في الشرق الأوسط، لا بد وأنه وضع لنفسه سيناريو للقاء، يحمل معاني مختلفة يعني بها الحاضرون والمحتفلون، ويغوص في بطن التاريخ ليستنتج منه المواعظ والعبر، وليعلم كل من لم يتعلم ماذا يعني التاريخ ليستفيد منه.

على أبواب العام 1992، يقع الحدث الهائل، الحدث الذي وكأنه جاء ليقوم أحداثا مضت وانتهت، ولم تنته. أو كأنه عيد ميلاد لشيخ يستعرض فيه ماضيه بكل ما فيه، أو هو إحتفال بذكرى جاءها المتذكرون يفتحون سجلاتها وليستعرضوا وقائعها ويحصون وثائقها، وهم يدرون أو لا يدرون. ولكن كاتب السيناريو والمخرج الكبير هو الذي يحدد الأدوار ويرسمها بدقة متناهية، ويكتب الحوار بحرفية بالغة التعقيد، تبقى كل الخيوط بيديه يحركها كما يريد، ليصل إلى الهدف الذي يريد.

كتب على الشاشة الكبيرة، ومضى خمسمائة عام على واقعة تهمنا جميعا نحن الحاضرين، تعالوا نعود إلى الوراء لنرى ونقرأ ونستنتج، لعلنا نستفيد ونفيد. ونفهم ليفهم من يأتي بعدنا، وتتعلم الأجيال، لأن قراءة التاريخ ليست متعة ذهنية، بل هي دروس مستفادة لمن أراد أن يستفيد.

إذا سجلنا أمامنا العام 1492، نكون اليوم جالسين لنحتفل بمرور خمسمائة عام على هذا العام. إنه يعني الكثير بالنسبة لنا جميعا، إنه نقطة فاصلة ولكنها مفعمة بالأحداث والوقائع، في ذلك العام خرج شريكا التجربة المزدهرة مثخنين بالجراح تطاردهما مقاصل محاكم التفتيش، وتستأصل جذور وجودهما الذي طال، وتقطع الطريق على إستمرار تلك الحضارة الإنسانية، لتبقى منها الأطلال التي تعرف عليها وتشير إليها، وإن كنتم ترونها تعكس أبشع مظاهر القسوة والوحشية، فهم يرونها قمة العطاء لاسترداد الأرض وطرد المتوسع منها.

وما بين العامين، إنقلب الشريكان عدوين. نحن لسنا حكاما على التاريخ وإنما نتعامل مع التاريخ .. لماذا حصل؟ وكيف حصل؟ فهو قد حصل .. وما علينا إلا أن نلئم الجراح بمقدار ما يسمح وضع هذه الجراح .. وأنتم هنا ليفصل بينكم المكان الذي جمعكم، ووحد في تلك الأيام جراحكم والنكبة التي أصابتكم .. إنهم الذين رفعوا لكم المقاصل ليفضوا اليوم منازعاتكم وليستمعوا إلى شكاواكم، ويحكموا بينكم وليقولوا لكم كفى .. فليس ضروريا أن تكون السنون كلها أحقادا ودماء وكوارث، بيدكم أن تحولوها إذا غيرتم نظرتكم إليها، وبإرادة الإنسان أن يفعل الخير، ويفعل الشر، وهو في هذا مخير ما دام إلى صوت العقل، الذي خلق ليميز ويفرق ويعي.

وكتبوا على الشاشة أيضا أنه في ذلك العام الذي كان، أبحر مغامر منبوذ على غير هدى، أبحر غربا وهو لا يعرف له هدفا، ربما كان في قرارة نفسه يبحث عن أرض يتوسع بها بعد أن أنهى التوسع على أرضه، وكأنه يريد أن يعيد تجربة كرهها وحاربها، أو أنه نسي ما عانى في لحظة النشوة وساعة الإنتصار، فلم يشق الأرض ويطال الجبال، بل أراد أن يضرب بسيفه بحر الظلمات لعله يضيء فيكتشف ما لم يعرفه الأولون، وما سيذكره الآخرون، فغاب عن الأنظار بعد أن حجبته الأمواج في بحر له أول وليس له آخر. ولدهشته فقد وصل إلى الأرض البكر يعب من ثرواتها وخيراتها. وينتزع من أعمق أعماقها ما لم يحلم به في وطنه. فصارت هذه الأرض وطنه وأصبحت ملكه يعمل سيفه بكائناتها الحية كلها وسكانها، لا فرق بين هذه وهذه وتلك، ما دامت تقف أمام أطماعه وجشعه وغرائزه.

وبنى مملكة من كل الأجناس والألوان، من كل الباحثين عن الثروة والجاه، والهاربين من وجه العدالة والضمآنين إلى العدالة، والمتطلعين إلى الحرية، أو الراغبين في قمع كل حرية .. أنماط متناقضة متباينة، تحمل معها أنماطا من العادات والتقاليد والحضارات متناقضة، ومتباينة.

وكتبوا على الشاشة الكبيرة، وبعد خمسمائة سنة جئنا ننصب ميزان العدالة والحق، بعد أن آلت لنا مقاليد العدل والحق .. بل القوة. جئنا نتربع على العرش الكبير لما حطمنا كل العروش وكل الحالمين بالعروش .. ذلك هو قدرنا الذي إختارنا له القدر، وعلينا أن نحضن هذا العالم بجناحينا نمنحه كل الأمن والأمان بعد أن أصبح مسؤوليتنا نحن، وربما نحن فقط وربما إلى الأبد. ونادينا المعنيين في زمان يذكرونه ويتذكرونه، وفي مكان يذكرونه ويتذكرونه، ونحن أيضا نذكر المكان والزمان ونتذكرهما. إذن، فنحن جميعا تربطنا شركة، سقط من عمرها ولم يسقط خمسمائة عام، فإذا كانت الأطراف واحدة لم تتغير، فهذه طبيعة الأشياء، لكن مرور الزمن يترك بصماته على الممثلين لتغيير نمطية أدوارهم وإمكاناتهم وظروفهم.

إلتأم الشمل واكتمل الجمع وارتفعت الستارة عن المسرح وظهر الحشد الضخم من الناس، مختلف الناس، ممثلين وكومباري وفنيين وكورال وأبطال، وراح الجميع يغنون أنشودة منغمة أنشودة السلام، ولو صدق المنشدون

وخرجت أصواتهم من قلوبهم لا حناجرهم لعم السلام العالم. وساد الأمن والإستقرار والأمان، فهل يصدق المنشدون؟

وبرز من بين الجموع ذلك الشيخ القديم ليمثل الأرض القديمة والشعب القديم، هو موجود وغير موجود، معروف وغير معروف، هو بين بين، جريح لا قتيل، طائر له جناحان ولكن لا يطير، تكلم، فأنصتوا .. وظنوا وتظاهروا بأنهم يستمعون إليه لأول مرة .. وتبادلوا النظرات كقضاة في محكمة يتشاورون بتبادل النظرات، ويتساءلون بخفي الحركات، حتى لا يخرجوا عن النص، فتهتز اللوحة وينفلت الزمام.

وجاء صوته من أعماق التاريخ هادئا كنار إبراهيم، عميقا كنداء إبنه نوح من وراء الأمواج وهو على الألواح، يدعو الناس للعودة إلى الرشد، وإلى إحقاق الحق ونشر العدل، يشرح ما هو مفهوم ويوضح ما هو معلوم، وهو يعرف أنهم يعرفون ولكنهم يتظاهرون، إنها فرصته السانحة التي لم تحدث، أن يسمحوا له بالدفاع عن نفسه والمرافعة عن حقوقه أصاله لا وكالة كما إعتاد واعتادوا حتى إستمرأوا.

ويرتفع صوت الشيخ مرة أخرى ينادي وينطلق النداء إلى أرجاء المعمورة قائلا: لقد حانت لحظة الحقيقة وعليكم أن تمتلكوا شجاعة الإعتراف بها وتمتلكوا الإرادة على تطبيقها فما عاد هناك أي مجال لإخفاء حقيقتنا في زوايا الإهمال المظلمة، إن شعب فلسطين يوجه أنظاره نحوكم مباشرة وبعيون محدقة في عيونكم سبيلا لملامسة قلوبكم بعد أن إمتلكتم شجاعة إثارة الأمل فينا، ذلك الأمر الذي لا يمكن التخلي عنه، لا مجال أمامكم أن تخذلونا طالما أننا نرقى إلى المبادئ والمثل التي تناصرون، وطالما أننا مخلصون لقضيتنا. أدهشتهم كلمته، أسلوبها، تعابيرها، كل ما فيها، تصوروا أنهم سيواجهون وحشا، مصاص دماء، أظافره سكاكين حادة، تنشب في أعماق الناس، وأسنانه سيوف باترة تلتهم لحوم البشر. ولسوء الطالع ظهر إنساسنا ككل إنسان له أحلامه وآماله وطموحاته وأسرته وأبناؤه وبناته وأحفاده، وهو من أحفاد بنات حضارة البلد المضيف، حضارة تقف شامخة شاهدة على التاريخ، بل تختزل خمسمائة سنة من التاريخ.

أطراف مدريد قبل خمسمائة سنة. هم أطراف مدريد بعد خمسمائة سنة، يتوزعون أدوارهم طبقا للحكمة القائلة، لكل زمان دولة ورجال، فهل نحن أمام تاريخ يعيد نفسه؟ أم تاريخ يحاسب نفسه؟ أم تاريخ لا يعرف نفسه؟ إنها فرضيات مطروحة قابلة للبحث .. محاكم التفتيش أقيمت للمسلمين واليهود معا، ومؤتمر مدريد أقيم لمصالحة المسلمين واليهود معا. والمسافة بحساب الزمان قصيرة أم طويلة لا فرق، ولم يسأل أحد نفسه: لماذا هذا .. ومن فعل هذا؟.

لقد أخطأنا التقدير، كما أخطأ شامير التقدير، نحن ظننا أن مدريد نهاية، بينما كانت بداية البداية، كانت حفل إفتتاح لموسم طويل لا يستطيع أن يخمن أحد متى يكون الختام، وكيف سيكون هذا الختام. توهم الكثيرون منا بأننا قاب قوسين أو أدنى من تحقيق الأماني، وبأن الحلم يكاد يتجسد حقيقة، وأن كابوس الأحقاد راح يتلاشى ويتداعى، وأن ليل الغربة الطويل سينجلي. أما شامير فقد كانت له حساباته الخاصة والمختلفة تماما، فلم يكن البحث عن مساومة تاريخية يدفع فيها، ولها ما يقبض منها، أمرا يدور بخلده، وقد أعطانا الإنطباع بأنه ما جاء إلى هنا إلا ليقبض فقط، يقبض ثمن الحاضر وثمن الماضي، لأنه بالحاضر سيمنح أعداءه السلام، وهذه منه منحة إلاهية عليهم أن يقابلوها بالتقدير والإمتنان. وعن الماضي جاء يطلب التعويضات ويطلب الإرث. فهو وريث اليهود كل اليهود من عهد موسى. ولئن أجبر الألمان على دفع تعويضات فهي سابقة لحدث لاحق، ومثل هذه الأحداث في نظره لا تخضع لمرور الزمن وتقادم القانون، وعلى الأسبان أن يفعلوا ما فعل الألمان. ألم يعترفوا بأنهم تورطوا بارتكاب الجرائم ونصبوا المقاصل للأجداد ونهبوا أموالهم وثرواتهم؟

رفض العالم التعاطف مع مقولته وتلبية مطاليبه التي لا تنتهي، فما كان منه إلا أفصح في حالة غضب المهزوم والمأزوم عن نواياه الدفينة. وأطلق العنان للسانه عما كان يبيت، بأنه كان مستعدا للتفاوض من أجل التفاوض عقدا أو عقدين ولن يصل إلى نتيجة، ولن يجعل أحدا يصل إلى أية نتيجة.

أما أطفال الحجارة، فقد حملوا غصن الزيتون بدل الحجارة، ونثروه على دبابات الجند الذين كانوا بالأمس يطلقون عليهم الرصاص ويرشونهم بغازات الأعصاب. لقد إستوعب الأطفال الدرس فتنادوا من غير ترتيب مسبق أو

إعداد مبكر أو تفكير. إلتقطوا اللحظة التاريخية وفهموها. بينما بقي عتاة السياسة ومحترفوها من قادة الليكود يتحاورون حول تحقيق الأساطير وتجسيد الخرافات وتحصين للجيتوات.

كان الإتفاق الأردني الفلسطيني نقطة بداية لا بد منها لانطلاق عملية السلام في مدريد. فقد عسكر جيمس بيكر في القدس ينتظر الدخان الأبيض. لأنه يعرف أنه بدون هذا الإتفاق فلن تكون هناك مشاركة فلسطينية في المفاوضات، ولن يكون هناك تمثيل فلسطيني مقبول. وبدون إعتماد هذا الإتفاق من المجلس المركزي الفلسطيني فلن يستطيع أهل الداخل قبول هذه المشاركة. وجد بيكر نفسه أمام معادلة صعبة ومعقدة المراحل. فالإتفاق يجب أن يعقد بين المنظمة والأردن، دون أن يقال بأن المنظمة طرف فيه، والإتفاق بحاجة لاعتماد المجلس المركزي الفلسطيني له، وعليه أن يعتمده دون أن يقول بأنه إعتمده أو حتى إطلع عليه. والأشقاء في الداخل ينتظرون الإعتماد دون أن يقولوا أنهم ينتظرون. وأخيرا فإن الأسماء ستحدد من قبل القيادة دون أن تقول القيادة بأنها حددت تلك الأسماء وأقرتها. الكل يعرف هذا، وعلى الكل أن يدعي أنه لا يعرف هذا. فإسرائيل تعرف هذا السيناريو وتغمض عينيها عنه. وبيكريعلم كل شيء. ويزعم أنه لا يعلم شيئا. والأشقاء في الداخل ينتظرون الأوامر من الخارج. وعليهم أن يقولوا بأنهم هم وحدهم المسؤولون عن هذه العملية. والمنظمة تدير كل شيء ولا تعلن عن شيء.

ففي عمان كنت أفاوض طاهر المصري رئيس وزراء الأردن بينما يتم الإعلان عن مفاوضات مع فيصل الحسيني ووفده. وفي تونس يناقش المجلس المركزي بنود الإتفاق الأردني الفلسطيني ولا يعلن عن الإتفاق أو النقاش. وفي القدس يجلس جيمس بيكر لمدة ثلاثة أيام يتحاور مع الأشقاء في الداخل بحجة معرفة الأسماء والحقيقة أن الأسماء ستأتي من تونس.

لقد فرضت سياسة شامير العقيمة كل هذا اللف والدوران، وقد تحملناه بصبر وأناة، وقبلنا بكل هذه التعقيدات لأن الهدف أسمى من الإجراءات.

ومن أجل تزويد الوفد بكل ما يلزمه من التوجيهات الموحدة، وإعداد الدراسات الضرورية له. ليحملها معه إلى قاعة المفاوضات، ولكي يقوم بمهمته على

أكمل وجه، ولتلافي التناقضات والإحراجات ومتابعة أعمال الوفد المفاوض أثناء الجولات وبعدها ورفع التقارير للقيادة وتعميم النتائج على السفارات والمكاتب المختصة. فقد شكلت لجنة لمتابعة المفاوضات من عدد من أعضاء القيادة في منظمة التحرير الفلسطينية.

وبناء على ذلك فقد عملنا على تحضير أنفسنا تحضيرا جيدا، وتزويد الوفد بكل الوثائق والدراسات المطلوبة لمهمته بالإضافة إلى تعزيزه بكل الكفاءات المطلوبه والمتوفرة لدينا حتى يتمكن من الدخول في مفاوضات جدية ويصل إلى نتائج جدية بصرف النظر عن مدى جدية الطرف الآخر.

ينص الإتفاق الأردني الفلسطيني على أن الفريق الأردني بالوفد المشترك يتعاطى مع المسار الأردني والقضايا الأردنية، بينما يتعاطى الفريق الفلسطيني مع المسار الفلسطيني والقضايا الفلسطينية. وقد كنا نتصور أن الإدارة الأمريكية وبالتالي الحكومة الإسرائيلية مطلعتان على هذا الإتفاق وأنهما من حيث المبدأ تقبلان به. بخاصة وأن الوزير جيمس بيكر يتابع أولا بأول المفاوضات التي كانت تجري في عمان والتي تمخض عنها هذا الإتفاق. وكنا من جهتنا نفهم أن الأشقاء في الأردن لا يمكن أن يوقعوا إتفاقا لا نقبل به، أو سترفضه الإدارة الأمريكية. ولذلك فقد كنا مطمئنين تماما إلى أن بدء المفاوضات في واشنطن لن يشهد أية عراقيل من الإسرائيليين، ولو فعلوا، فإن الإدارة الأمريكية ستتدخل في الحال لإزالتها.

إلا أن الإسرائيليين أصروا على التفاوض مع الوفد المشترك حول المسار الفلسطيني وحول المسار الأردني، الأمر الذي جعل وفدنا يمتنع عن الدخول إلى قاعة المفاوضات، وأن يتضامن معه الوفد الأردني أسبوعا كاملا، إلى أن حلت المسألة وقبل الإسرائيليون بالصيغة التي إقترحت، وهي أن يكون الوفد الفلسطيني برئاسة حيدر عبد الشافي ويكون ضمن الوفد إثنان من الطرف الأردني. بينما يتولى الدكتور عبد السلام المجالي قيادة الجانب الأردني ومعه ضمن وفده إثنان من الفلسطينيين تعبيرا عن إستمرارية الوفد المشترك.

لقد بدأنا المفاوضات في ممرات مبنى وزارة الخارجية الأمريكية، وسميت بمفاوضات الكوريدور. أما فيما يتعلق بالمسارين السوري واللبناني فقد

بدأ عملهما في الوقت المحدد وهو 1991/12/10 بينما بدأنا والأردنيين يوم 1991/12/18. بعد أن ربحنا معركة إستقلالية التمثيل الفلسطيني في المفاوضات الثنائية.

لقد تمركز مسار تفاوض الطرفين في الجولات الخمسة الأولى والتي تمت في عهد الليكود حول مواضيع محددة، وقضايا أكثر تحديدا، إلا أننا لاحظنا أن كل طرف وقف عند نقطة معينة دون أي تقدم. حيث أن الوفد الإسرائيلي أقفل جميع الطرق أمام أية خطوة إيجابية نحو التقدم، ولم يتمكن الطرفان من الإتفاق على أجندة المفاوضات. ولذلك لجأ كل منهما إلى إرسال المذكرات التي تعبر عن وجهة نظره وطلباته.

كنا نعرف أن الإسرائيليين لا يمكن أن يقبلوا طروحاتنا وأنهم سيحاولن القفز عليها، لأنهم ينطلقون من أن الأرض لهم، وأن علينا أن نتعامل مع هذا الواقع المفروض من قبلهم.

ولذلك حاولنا أن نبحث عن إنتصارات جزئية نراكمها يوما بعد يوم حتى نصل إلى نتيجة مرضية. لأننا لو أجرينا مقارنة بين المطلوب الفلسطيني والمعروض الإسرائيلي لما وجدنا نقطة لقاء واحدة.

في الجولة الرابعة حدث تطور طفيف فيما يتعلق بالتمثيل الفلسطيني حيث وجه الوزير جيمس بيكر رسالة رسمية بتاريخ 1992/2/10 لفيصل الحسيني بصفته رئيس الفريق الفلسطيني لمؤتمر السلام، كما إستقبله بصفة رسمية بتاريخ 1992/2/19 في وزارة الخارجية. وقد إعتبرنا هذا تطورا إيجابيا من قبل الإدارة الأمريكية تجاه التمثيل الفلسطيني في المؤتمر.

لقد كانت مسألة متابعة القوى الإسرائيلية التي تشكل الكنيست، أحد أهم إهتماماتنا، وكنا نتابع كل صغيرة وكبيرة تجري بين الأحزاب سواء ما يتعلق بالتحالفات أو الإنقسامات أو الإرتباطات بين هذه القوى والأحزاب.

منذ عام 1977 ونحن نحاول أن نشجع وندعم بعض القوى الصغيرة اليسارية او تلك التي تنادي بالسلام بين الشعبين، من أجل أن تدخل الكنيست وتدلي

بصوتها هناك، وذلك من أجل سمع صوت آخر مختلف في أروقة الكنيست غير الأصوات التي تعودنا أن نسمعها منذ نشوء دولة إسرائيل وربما قبل نشوء هذه الدولة.

لقد كانت كلمة فلسطين، أو الفلسطينيين، من أصعب الكلمات على مسمع الشعب الإسرائيلي. لأن مثل هذه الكلمة تذكرهم -ولا يحبون أن يتذكروا- بذلك الشعب الذي كان يعيش على تلك الأرض التي إسمها فلسطين، والتي تحولت وتبدلت لتصبح إسرائيل، منسجمين في ذلك مع التعبئة الفكرية العنصرية التي أملتها عليهم وسائل الإعلام، وحشاها في أذهانهم مخططوا الفكر والعقيدة الصهاينة منذ بداية هذا القرن، والتي تقول: "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض". وما دامت فلسطين أرض بلا شعب، فلا بد أن ينتهي هذا الإسم لينتهي أيضا كل من ينتسب إليه. ولذلك حاولوا أن يمحوا من القاموس المقروء والمرئي والمسموع مثل هذه الكلمات البغيضة بالنسبة لهم، وهكذا أصبح "نفس الأغيار" جزءا لا يتجزأ من العقيدة الصهيونية فكرا وممارسة.

لقد جاء إلى فلسطين في مطلع العشرينات يهودي هولندي إسمه "دي هان" وبعد أن أمضى بضع سنوات وجد أن إمكانية الإستقرار في أرض فلسطين مستحيلة دون التفاهم مع سكانها الأصليين، وبالتالي راح يدعو إلى التفاهم والتعايش معهم، وانتهى به الحال إلى الإغتيال عام 1925، حتى لا تتكرر مثل هذه الدعوة وحتى لا يتجرأ آخرون على البوح بها.

وبالمقابل فنحن أيضا رفضنا وجود اليهود على أرضنا وعندما أعلنوا عن إقامة دولتهم رفضنا الإعتراف بها وبوجودها، وخرج ثلثا شعبنا من أرضه عام 1948 وبقي الحال على ما هو عليه. وقامت منظمة التحرير الفلسطينية. وانطلقت ثورة حركة فتح عام 1965 واستمرت الدعوة قائمة لتحرير كامل التراب الفلسطيني.

وكان لا بد من وقفة سياسية .. ماذا لو مددنا أيدينا إلى أيدي اليهود لنتفاهم؟. كان لهذا السؤال وقع الصاعقة على رأس الكثيرين .. من الطرفين. وهنا حاولنا أن نبحث عن طرف ليتحدث إلينا. ويكون له صوت مسموع في المجال

السياسي الإسرائيلي ومن أعلى منبر سياسي هناك وهو الكنيست. وقد وصل إلى الكنيست أوري أفنيري والجنرال متيتاهو بيليد وغيرهما من العرب المتحالفين معهما. وشعرنا أن مثل هذه التجربة مفيدة جدا ولذلك ثابرنا على متابعة الإنتخابات في كل دورات الكنيست اللاحقة.

وقد جرت محاولات غير جادة من قبلنا خلال إنتخابات الكنيست الثانية عشرة لتوحيد الأحزاب أو عقد إتفاقات بينها. إلا أن هذه المحاولات جميعا باءت بالفشل، وتمسك كل طرف بموقفه، وكانت النتيجة أن حصل راكاح على أربعة مقاعد، وحصل كل من القائمة الديمقراطية والحزب العربي على مقعد واحد، وأضاعوا بسبب عدم إتفاقهم على فائض الأصوات مقعدين ذهبت للأحزاب الصهيونية، وفي نفس الوقت أدت إلى تفوق الليكود على حزب العمل.

جاءت إنتخابات الكنيست الأخيرة في الوقت الذي بدات فيه مفاوضات مدريد- واشنطن على يد حزب الليكود المتطرف، والذي كنا نعرف سلفا أنه لن يتقدم خطوة واحدة صحيحة نحو الحل المنشود.

ولذلك فقد كان إهتمامنا مضاعفا للإستعداد للإنتخابات التي أعلن عنها في شهر يونيو/ حزيران 1992. وبدأنا جهودا مضنية مع الأحزاب في الوسط العربي التي ستدخل الإنتخابات وتشارك فيها. لأن نجاحها يعكس نفسه على نتائج هذه الإنتخابات بشكل رئيسي. وإذا كانت النتيجة إيجابية فهذا يعني أن عهدا جديدا سيحل في إسرائيل، ويحكمها حزب العمل وبعض الذين يتحالفون معه كحركة ميرتس المؤلفة من إئتلاف ثلاثة أحزاب يسارية لها مواقف متقدمة من القضية الفلسطينية، وقد عزز ذلك المواقف والقرارات الصادرة عن مؤتمر حزب العمل والتي كانت توحي بتطور سياسي ما في موقف حزب العمل تجعله يتميز بوضوح عن حزب الليكود.

إن المعركة الإنتخابية في إسرائيل تحتاج إلى حسابات دقيقة لأن كل صوت له أهميته وبالتالي يجب أن يذهب إلى المكان المناسب. ونحن نستطيع أن نؤثر في الوسط العربي الذي، بالإضافة إلى أنه يكن لنا بعض التقدير، فهو بحاجة لأن نقدم له مساعدات، وبخاصة للمتقدمين إلى معركة الإنتخابات الذين يحتاجون إلى إمكانات كثيرة لتجاوز الحد الأدنى المطلوب للنجاح.

حتى الكنيست الثانية عشرة، كان رقم الحسم في القانون الإنتخابي الإسرائيلي حوالي عشرين ألف صوت. بمعنى أن القائمة التي تحصل على هذا الرقم تحصل على مقعد واحد. وبعد ذلك يرتفع عدد المقاعد بتضاعف رقم الأصوات التي تحصل عليها قائمة ما. إلا ان القانون تغير. وذلك للقضاء على القوائم الضعيفة التي تضيع الأصوات، وأصبح رقم الحسم أربعين ألف صوت تحصل القائمة التي تصل إليه على مقعدين في الكنيست وإذا لم تحصل عليه تخسر كل شيء.

في الوسط العربي الذي يعد حوالي سبعمائة ألف إنسان لهم أكثر من ثلاثمائة ألف صوت، يستطيعون نظريا أن يأتوا بحوالي أربعة عشر نائبا إلى الكنيست. ولكن هذا الرقم محض نظري وذلك لأن ثلاثين بالمائة منهم لا يمارسون حقهم الإنتخابي، ومثل هذه النسبة تذهب إلى الأحزاب الكبرى وبالذات حزب العمل وميرتس والليكود ولحزب وزير الداخلية أيا كان إنتماؤه، لأنه يملك ناصية الخدمات الإجتماعية التي تقدم للقرى في الوسط العربي. وما تبقى من الأصوات يوزع على الأحزاب العربية أو ذات الصبغة العربية مثل الحزب الشيوعي.

ضهادة لا بد منها، وهي أن الحكومة المصرية متمثلة بالدكتور أسامة الباز كانت متنبهة مبكرا إلى ضرورة تنظيم الصف العربي للحصول على أكبر قدر ممكن من الأصوات والمقاعد، ولذلك أبدى إستعدادا لأي مساعدة أو عون، للحركة الديمقراطية للسلام والمساواة، والتي تضم الحزب الشيوعي الإسرائيلي وعددا من أنصاره. وهذه الحركة تضم عربا ويهودا. وهناك الحزب العربي الذي يترأسه عبد الوهاب الدراوشة، والقائمة التقدمية التي يترأسها المحامي محمد ميعاري.

وفي اللقاءات التي تمت مع هذه الأطراف الثلاثة، وحرصا منا على أن تدخل الإنتخابات بقوة، وأن لا يكون التنافس بينها على الصوت العربي، وحتى نخلص من المهاترات التي تحصل عادة بين الفئات المتصارعة.

رأينا أن نضع لهم أسسا للعمل:

1. أن تكتب الأطراف فيما بينها ميثاق شرف بعدم التعدي أو الهجوم على بعضها البعض وعدم الدخول في مهاترات إعلامية.
2. أن يشكل الحزب العربي والقائمة التقدمية، قائمة إنتخابية واحدة.
3. أن يعقد إتفاق حول فائض الأصوات بين الجبهة الديمقراية للسلام والمساواة وبين القائمة المشتركة للحزبين.
4. أن نعمل على إقناع التيار الإسلامي من التيارات المتشددة بضرورة الإدلاء بصوتها وعدم المقاطعة، لأن المقاطعة تصب في مصلحة الأحزاب الصهيونية.
5. تتعهد بتقديم الدعم السياسي والإعلامي لها.

وبناء عليه فقد قدم مشروع إتفاق بين القائمة التقدمية والحزب الديمقراطي يحفظ حقوق الحزبين وهو على النحو التالي:

- إذا كان رئيس القائمة من حزب أ.
- فإن قائمة ب تحصل على المقعد الثاني والثالث.
- ويكون المقعد الرابع من القائمة أ ومن المستقلين وهكذا..

لقد سمحت الأصوات العربية لرابين أن يتجاوز نسبة الحسم ويتفوق بشكل قاطع على إسحاق شامير ويتمكن من تشكيل الحكومة الإسرائيلية، ومع ذلك فإن أهمية الأصوات أو المقاعد العربية تتلخص في أنها كانت تستطيع أن تمنع شامير من تشكيل الحكومة الإسرائيلية ولكنها لا تكمل نصاب اليسار في تشكيل أية حكومة، أو بمعنى أدق لا يقبل أي رئيس حكومة في إسرائيل أن يعتمد على هذه المقاعد حتى يحصل على النصاب، لأنها تعتبر تاريخيا خارج إطار الإجماع القومي، على الرغم من أهميتها العددية في إستكمال النصاب.

بعد ظهور نتائج الإنتخابات إنهار صف اليمين الذي حكم إسرائيل خمس عشرة سنة، وأعلن شامير نيته إعتزال العمل السياسي، ومع إعتزاله نعى لبني إسرائيل النظرية الصهيونية، وتبعه موشيه أرينز الذي أكد إعتزاله محاولا التملص من السياسات الحمقاء التي إتبعها حزب الليكود في السنوات الماضية، ملقيا باللائمة على شامير، فقد قال: "يجب أن لا تستمر

إسرائيل في إحتلال كل الأراضي، وإن شامير هو السبب في التباطؤ في المفاوضات حول الحكم الذاتي الأمر الذي أدى إلى هزيمة الليكود".وأضاف أرينز: "لم أكن يوما مناضلا في الحركة المؤيدة لإسرائيل الكبرى .. أي التي تضم الأراضي المحتلة".

هذا بالنسبة لليكود، أما باقي الأحزاب اليمينية والدينية فقد سارع معظمها إلى التفاوض مع رابين للحصول على مقاعد في وزارته، وبصورة خاصة الأحزاب الدينية مثل "شاس" ويهودات هاتوراة التي تسعى للحصول على مكاسب مالية تغذي بها مدارسها ومؤسساتها الدينية.

في فترة الإنتخابات الإسرائيلية الثالثة عشرة وظهور نتائجها، بدأنا نروج لفكرة القناة الخلفية التي يمكن إبتكارها لمساندة مفاوضات واشنطن، ونرى في أماكن أخرى من هذا الكتاب المحاولات التي بذلناها لتحقيق هذه الفكرة، لأن التجربة المرة التي عشناها خلال خمس جولات مع الليكود دعت بما لا يقبل التردد إلى البحث عن قناة خلفية تطرح فيها الأفكار بحرية أكثر دون رقابة أو روتين. هذا على الرغم من توقعنا أن فوز العمل وحلفائه سوف يخلق نمطا جديدا من التفاوض وأفكارا جديدة للتفاوض، إلا أن توقعنا لم يكن في محله.

لقد تغيرت الحكومة ولم يتغير الوفد المفاوض، وهذا مؤشر سيء ونذير شؤم. لأن ألياكيم روبنشتاين الذي فاوضناه في عهد الليكود ظل يفاوضنا في عهد العمل، ومهما حاول أن يغير جلده ويبدل لهجته وأفكاره فإنه لن يتعاطف مع الجديد. هذا إن جاء بجديد، وحتى لو كان موظفا -وهو كذلك- يؤمر فيطيع، فإن العامل الذاتي يبقى ذا فاعلية وتأثير مهما حاول أن يتوائم مع أفكار رؤسائه الجدد.

أذكر مرة أنني إلتقيت في القاهرة ستيف كوهين وهو من المقربين من شمعون بيريز. وتحاورت معه حول مضمون المفاوضات، واتفقت معه على بعض الأفكار الخاصة بالمرجعية القانونية وبتسمة المجلس المنتخب وصلاحياته، وطلبت إليه نقل هذه الأفكار إلى بيريز فإن وافق عليها، فما عليه إلا أن يطير إلى واشنطن لإبلاغ وفدنا والوفد الإسرائيلي بها. لعلها تكون بداية تفاهم حول نقاط بسيطة يبدأ بها الطرفان. وقد أوعزت للدكتور نبيل شعث لقبول

هذه النقاط عندما يطرحها عليه كوهين، وحصل هذا بالفعل، إلا أنه عندما عرضها على روبنشتاين رفضها بإصرار وتفوه بكلمات نابية ضد كوهين، وأعلن أنه لا يتلقى تعليماته منه ولا من شمعون بيريز .. وانتهت المبادرة.

كنت أعتقد أن البلدان الراسخة التقاليد والمؤسسات ينتفي فيها العنصر الذاتي او الشخصي. وكنت أتصور أن مثل هذه العناصر موجودة عندنا نحن أبناء العالم الثالث فقط، ولكن، أقولها بكل صراحة، أن العامل الذاتي موجود في كل مكان بأشكال مختلفة وبتأثيرات متفاوتة ولا يمكن تجاهله أبدا، وأن رسوخ المؤسسات والديمقراطية والحضارة لا تلغيه ولا تتجاوزه.

ومع إنعقاد الجولة السادسة التي بدأت في 1992/8/24 ساد في الأوساط العالمية والعربية، جو من التفاؤل، بعد فوز هذا التحالف السياسي، الذي جاء مسلحا ببرنامج يرتكز على ضرورة الدخول المباشر في المفاوضات السياسية مع الأطراف العربية، إستنادا إلى قراري مجلس الأمن 242 و 338 ، وتقديم تنازلات إقليمية على مختلف الجبهات، بما فيها الجبهة الفلسطينية. واعتقدت الأوساط السياسية أن هذا التغيير لا بد منه وأن يتوافق مع تغيير جوهري في مسار العملية التفاوضية، مما أعطى للجولة السادسة طابعا مميزا، خاصة وأن الحكومة الإسرائيلية وافقت على إستمرارية المفاوضات لفترة زمنية أطول كثيرا عن سابقاتها، كما وافقت على إعادة المفاوضات إلى واشنطن بعد أن كان متفقا على عقدها في روما، الأمر الذي يزيد من درجة التفاؤل، باعتبار أن الإدارة الأمريكية إحدى الدولتين الراعيتين، ولها دور مميز في العملية التفاوضية إلى جانب إنعقادها عشية الإنتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة.

لكن الأمور أخذت مسارا مختلفا، بعد أن أعلنت الإدارة الأمريكية موافقتها على منح إسرائيل ضمانات القروض، البالغة عشرة مليارات دولار، مع السماح للحكومة الإسرائيلية باستكمال بناء إحدى عشر ألف وحدة سكنية إستيطانية في الأرض المحتلة، بما فيها القدس الشريف. وجاءت هذه الموافقة كضربة مبكرة للطرف الفلسطيني، ثم أعادت الإنتخابات الأمريكية ظلالها على مفاوضات الجولة السابعة بعد فوز كلينتون برئاسة الولايات المتحدة. حيث توقفت عشرة أيام ثم عادت بعدها الوفود للتفاوض وهي تنتظر إدارة أمريكية جديدة بدلا عن تلك التي رعت العملية السياسية منذ البداية. لقد

تصورنا أن تبدل الإدار الأمريكية لا يمكن أن يغير نظرة هذه الإدارة تجاه القضايا الإستراتيجية والتي تعتبر العملية السياسية في الشرق الأوسط إحداها. إلا أن الوفد الإسرائيلي إستغل المرحلة الإنتقالية بين الإستلام والتسليم للماطلة والتسويف والهروب من البحث الجاد المعمق في قضايا التسوية المطروحة.

وخلال التحضير لهذه الجولة عقدت القيادة الفلسطينية إجتماعات مطولة، وخرجت بقرار واحد وهو أن يطلب الوفد الفلسطيني التركيز على تطبيق القرارين 242 و 338 باعتبارهما أساسا لعملية السلام الجارية، وأن التسوية الشاملة يجب أن تؤدي إلى تنفيذهما بالكامل، مع التأكيد على أن المرحلة الإنتقالية هي مرحلة مؤقتة نحو المرحلة النهائية والتي يجب أن تشهد إنسحابا شاملا للقوات الإسرائيلية، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة. لقد كان هذا المطلب الذي أقرته القيادة وفرضته على الوفد، تعبيرا عن موقف تشددي غير جاد تجاه المفاوضات. وقد كان هذا من الأسباب الأخرى التي جعلتنا نفكر جديا في البحث عن أسلوب تفاوضي آخر غير الأسلوب المتبع حاليا. وهذا ما دعانا إلى التفكير في المفاوضات غير الرسمية والتي بدأت فعلا في هذه الجولة. وقد كان مسار المفاوضات غير الرسمية في عقلنا الباطن هو البحث عن قناة خلفية.

كان هدفنا من هذا النمط من المفاوضات هو التخلص من الرسميات، والإبتعاد عن المحاضر التي تكبل المتحدثين والمتفاوضين. ليترك كل شخص يتكلم على سجيته من أجل سبر الأغوار ومن ثم الوصول إلى بعض القضايا المشتركة التي تحال إلى الجلسات الرسمية إذا إتفق عليها. وهذا يعني بطبيعة الحال أن المسار الرسمي سيستمر ولن ينقطع، إلا أن اللجان غير الرسمية ستسير جنبا إلى جنب معه.

رحب الجانب الإسرائيلي باقتراحنا ووافق عليه. وشكلت ثلاث لجان غير رسمية تبحث المواضيع التالية:

- المفهوم.
- الأرض.
- الإقتصاد وحقوق الإنسان.

وقد جاء في محاضر جلسات الجولة السابعة أن لقاءات عدة قد تمت لهذه اللجان، وأن الوفد الفلسطيني قد تعامل معها على أساس سبر الأغوار واستكشاف الموقف الإسرائيلي، بخاصة وأنها تتناول مواضيع عملية يمكننا من خلالها الإطلاع على طبيعة الموقف الإسرائيلي وحقيقته. وقد إرتكز الموقف الفلسطيني في مجمل اللقاءات غير الرسمية على مواضيع الخطة التفاوضية إنطلاقا من أن الأرض كلها لنا، وأن المرحلة الإنتقالية بداية تحرك لا يمكن عكس مساره إلى الوراء، وبالتالي فإنها تقود إلى المرحلة النهائية التي ستجسد حق تقرير المصير كما تجسد حقنا في التشريع الأساسي والقانوني. وإن مجلسنا التشريعي يشمل بنطاقه كل الأرض الفلسطينية بما فيها القدس، ونقل كامل السلطة من الإحتلال إلى الحكومة المؤقتة التي تسيطر على كل المجالات عدا ما يتفق بشأنه في مجال الأمن الخارجي والعلاقات الخارجية. وانطلق الوفد بنظرية تفاوضية تقول، كل شيء لنا .. وإذا أردتم فلنناقش الإستثناء. وكان هذا هو الخيط الذي يربط النقاش في مختلف المواضيع.

لقد مضت الجولة السابعة من المفاوضات ولم نلحظ أي تقدم، كذلك فإن التجربة التي توخينا أن تغير أسلوب التفاوض لم تنجح، فلم تغير اللجان غير الرسمية منهج العمل ولم تبدل أسلوبه، وكل الذي حصل هو أن الوفدين قسما نفسيهما إلى ثلاثة أقسام، وتولى كل قسم موضوعا من المواضيع الثلاثة، في إطار لقاءات محددة المواعيد والأمكنة والأشخاص، حيث يكتب المحضر وتؤخذ الملاحظات. وهذا يعني أن التغيير المطلوب لم يحصل، وأن تجربة اللقاءات غير الرسمية قد فشلت، لأن كلا الطرفين لم يستوعب الغاية الأساسية من ورائها.

نتيجة الفشل الذي أصاب المفاوضات بخاصة بعد التعرف إلى المواقف الإسرائيلية التي ترفض أبسط الأمور، وهي الإلتزام بمرجعية المفاوضات. قررت القيادة تقليص الوفد ليصبح أربعة أو خمسة أعضاء فقط تعبيرا عن الإحتجاج على النتائج التي توصلت إليها الجولات السابقة، وعلى الموقف الإسرائيلي المتعنت، وإظهارا لعدم الرضى بعد إنقضاء مدة السنة التي تحدثت عنها رسالة الدعوة والتطمينات.

لم تزد الأيام التفاوضية في الجولة الثامنة عن ستة أيام، وذلك بسبب العطلة التي طلبها وفدنا بمناسبة مرور خمس سنوات على إنطلاقة الإنتفاضة، وقد تجاوبت الوفود العربية مع هذه المناسبة وتوقفت جميع المسارات. كذلك فقد جرى تعطيل آخر في نهاية الجولة عندما أقدمت السلطات الإسرائيلية يوم 1992/12/17 على إبعاد أربعمائة وخمسة عشر فلسطينيا من حركة حماس إلى الحدود اللبنانية. وبهذا إنتهت الجولة الثامنة بهذا الجو الساخن الذي خيم عليها وأثر على إستبعاد كل المواضيع الأساسية التي بحثت في هذه الجولة. كذلك فقد كانت هذه المسألة ضمن جدول أعمال اللقائين اللذين وقعا مع الرئيس بوش والخارجية الأمريكية. واستنفر الوفد لمتابعة نقاشات مجلس الأمن لضمان الموافقة على القرار 799 الخاص بعودة المبعدين إلى مرج الزهور في جنوب لبنان.

إنتهت الجولة الثامنة، وعادت الوفود من غير تحديد موعد لقاءات المستقبل. وكان واضحا أن الإستراحة ستكون طويلة، أي أننا سنمر بفترة فراغ لا يعرف أحد مداها. وهذا يعني أن الجمود سيؤثر على مجمل الأوضاع في الشرق الأوسط وتشعر كل شعوب المنطقة بأنها دخلت مرحلة صعبة لا يستطيع أحد أن يتكهن بنتائجها، بينما الإنتفاضة مستمرة والتوتر يشتد يوما بعد يوم.

إن مثل هذا الحال بمجمله وتفصيلاته لم يكن خافيا على القيادة الإسرائيلية، والتي كانت تشعر بالقلق أيضا كغيرها، ولكن المشكلة لدى هذه القيادة لا تختلف كثيرا عن المشاكل التي نعاني منها. حيث أن الخلاف بين رابين الممسك بزمام المفاوضات الثنائية وبيريز الممنوع من متابعة هذه المفاوضات والممسك بزمام المفاوضات المتعددة الأطراف، لم يكن خافيا على أحد.

ومن جهتنا وجدنا أن مفاوضات واشنطن ستصل إلى مأزقها، فأرسلنا إلى رابين وبيريز نطلب منهما فتح قنوات خلفية تنقذ مفاوضات واشنطن من أزمتها، جوبهنا برفض رابين لهذه الفكرة، ولم تكن محاولة واحدة، فقد وسطنا المصريين كما وسطنا الروس.

منذ كان الإتحاد السوفييتي قائما ومنذ المبادرة الفلسطينية 1988، شكلنا مع السوفييت لجنة تنسيق مشتركة تجتمع شهريا إما في موسكو أو في

تونس، وقد استمرت هذه اللجنة تعمل حتى عندما إنتهى الإتحاد السوفييتي وتحول إلى جمهورية روسيا الإتحادية.

وعلى الرغم من تراجع الدور الروسي وتدني أهميته العالمية بسبب معاناته الإقتصادية والإجتماعية والمالية الداخلية، فقد حافظنا على وتيرة العلاقة مع روسيا وتعاملنا معها بكل جدية كراع ثان للمفاوضات الثنائية والمتعددة، وحيث أن روسيا هي الجهة الوحيدة التي لها علاقات مباشرة ورسمية بالمفاوضات وتتحدث معنا بشكل رسمي، فقد كنا نحاول أن ننقل عبرها وإلى الآخرين أمريكان وإسرائيليين، ما نريد أن نقوله لهم، وكان الروس يحاولون أن ينقلوا بأمانة كل ما يسمعونه ويبذلون جهدا لإقناع الأطراف المعنية به.

وقد طلبنا منهم أن يتحدثوا مع الإسرائيليين عن قناة خلفية يكون مقرها موسكو ويحتضنها الروس ويرعوها .. وقد بذلوا في هذا جهدا كبيرا وكان جواب بيريز: "ما هو موجود يكفي". ولما كان الطلب قدم في أكثر من مناسبة فقد جاء جواب بيريز في الوقت الذي كانت قناة أوسلو قائمة .. إلا أن الروس فهموا أن ما يجري في واشنطن كاف .. بطبيعة الحال شكرت جهودهم ولم أعلق على الجواب.

تمثلت المواقف الأمريكية في إستمرار السياسة الأمريكية تجاه عملية السلام، وموقفها الثابت من رسائل الدعوة والتطمينات. وأن هدف العملية التفاوضية إكساب السلطة للشعب الفلسطيني، وإنهاء الإحتلال الإسرائيلي، وإقامة علاقات جديدة بين الشعبين. وأن المرحلة الإنتقالية هي جزء عضوي من عملية السلام، وقد وضع تصورها في القرارين 242 و 338 ، كجزء من تسوية شاملة، وأن التسوية ككل تقوم على أساس 242 و 338 . كما كانت تدعو إلى التركيز على أهمية السلطة المنتخبة، لأن الإنتخابات هي طريقة عملية نحو إكتساب السلطة السياسية، وإلى عدم الخلط بين الوظيفة التشريعية والسلطة التشريعية.

وخلال اللقاءات مع الخارجية الأمريكية، كانت تبحث قضايا خارج نطاق التفاوض، مثل الممارسات الإسرائيلية التعسفية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وأثر ذلك على طاولة المفاوضات ومجمل العملية السياسية.

أمام هذه الصورة القاتمة بكل تفاصيلها أقدم شمعون بيريز على مغامرة إرسال إثنين من رجاله ليتصلا بوفد المنظمة للمفاوضات المتعددة الأطراف في لندن، وليفتح معه حوارا غير رسمي، بعد أن قدم الرجلان نفسيهما على أنهما أكاديميان يرغبان في المساعدة لدفع عملية السلام إلى الأمام .. ومن هنا جاءت أوسلو .. في فترة الإستراحة الطويلة، لتأخذ الوقت الكافي حتى يمتحن كل طرف الطرف الآخر بعيدا عن أعين واشنطن والمتفاوضين فيها ودون أي إلتزام مسبق. إن فترة الأشهر الخمسة التي فصلت بين الجولة الثامنة والجولة التاسعة، كانت كافية لعمليات جس النبض وسبر الأغوار واستكشاف مواقف الأطراف ونواياها، وكان ما كان. وجاءت الجولة التاسعة من مفاوضات واشنطن في الوقت الذي كنا قد قطعنا أكثر من أربعة أشهر في مفاوضات مكثفة ومعمقة في أوسلو.

وكان شهر آب/ أغسطس 1993 حاسما، ففيه وصلت المفاوضات إلى مأزق خطر عندما إنعدمت اللغة المشتركة بين الفلسطينيين والإسرائيليين وعجزت المشاريع الأمريكية عن أن تقدم أية أفكار من شأنها ان تقرب بين الطرفين، وأصبحت الصورة قاتمة تماما على جبهة واشنطن، وبات الأمريكان عاجزين عن تحريك المسائل بأي إتجاه، بعد أن فشلت زيارة كريستوفر إلى المنطقة، حيث لم يتمكن من تسويق المسودة الأمريكية نظرا للهوة السحيقة التي تفصل الأطراف عن بعضها البعض. وبالمقابل كانت أوسلو تراوح مكانها أمام مجموعة من المعضلات التي كادت أن توقف هذه القناة. وقد خيل إلينا أن مسيرة السلام برمتها أصبحت في مهب الريح، لأننا بدأنا نفقد الأمل من كلا القناتين، وشعرنا أننا وصلنا إلى الفشل الكامل.

في إسرائيل كانت تجري معركة صامتة بين مساري واشنطن وأوسلو، وكان مصدر القرار -رابين- لا زال حتى زيارة كريستوفر يعتقد أنه يجب أن يعول على قناة واشنطن لأن أخطارها أقل من أوسلو، ولأنها تجري بين أحضان الراعي الأمريكي، ولأنها تسير حسب شروط مدريد، تلك الشروط التي وافق عليها الليكود واستمر بها حزب العمل. وأخيرا لأن واشنطن تستبعد المنظمة من حيث الشكل على الأقل وتتعامل مع فلسطيني الداخل.

لقد بلغت هذه المعركة أوجها إبان الجولتين التاسعة والعاشرة، عندما تدخل الأمريكان بمشروع بيان مشترك في الجولة التاسعة، ومسودة للعمل بها في الجولة العاشرة. كما كنا مقتنعين بأن مثل هذه المشاريع، لا يمكن أن تصل بالمفاوضات إلى ما نبغيه منها. كنا نريد أن يقتنع الإسرائيليون بهذا، وأعتقد أنهم أخيرا وصلوا إلى هذه القناعة، وتبين لهم أن الأمل في الوصول إلى حل، موجود في أوسلو، بخاصة وأن المتفاوضين وضعوا أرضية صلبة له، وبقي أن يتابعوا مجموعة من النقاط الأخرى، التي يستكمل بها مشروع إعلان المبادئ ويصبح جاهزا للتوقيع. ولكن هذا لا يعني أن أي طرف -لو أراد- قادر أن يعطل هذا المشروع من أجل نقطة واحدة قد تكون أساسية وقد تكون شكلية إذا لم تتوفر لديه النية الصادقة والرغبة الأكيدة في التوصل إلى حل، بخاصة إذا كان يأمل بوجود خيار آخر أمامه، أما وأن الخيار قد إنتهى، وأن الرغبة متوفرة لدى الطرفين، فقد تجاوزا مشاريع واشنطن واتجها إلى أوسلو.

لم تكن النظرة العربية للمفاوضات المتعددة الأطراف، بنفس الحماسة والرغبة والإندفاع للمفاوضات الثنائية. وقد وقف السوريون ومن بعدهم اللبنانيون موقفا متصلبا من المفاوضات المتعددة الأطراف، ورفضوا المشاركة بها دون أسباب واضحة أو محددة، وحاولوا أن يحشدوا لموقفهم تأييدا عربيا واسعا، فلم يستجب لهم أحد، إلا أنهم راحوا يحثون الفلسطينيين على الرفض حتى يشكلوا جبهة أوسع تجعل موقفهم أقوى.

تمثلت المشاركة الفلسطينية في أعمال مجموعة العمل، بطرح الموقف الفلسطيني في كل مجموعة عمل من خلال الحديث عن المبادئ إلى حين إستطلاع آفاق المفاوضات الثنائية ومدى تحقيق إنجاز فيها يسمح بالتقدم في المتعدد. بينما تمثل الموقف الإسرائيلي بالسلبية والدفاع من خلال تغيبهم ومقاطعتهم لأعمال مجموعات العمل للتنمية الإقتصادية واللاجئين، وبدأت مجموعات العمل الستة إجتماعاتها في الفترة ما بين 11-1992/5/27 في كل من بروكسل وواشنطن وفيينا وكندا وطوكيو ولشبونة، وتناولت موضوعات حيوية وهامة من مواضيع الصراع الفلسطيني الإسرائيلي والصراع العربي الإسرائيلي. وهذه الموضوعات هي المياه واللاجئين والتنمية الإقتصادية والبيئة والأمن وضبط التسلح، ولجنة التوجيه.

لقد كان تواجد منظمة التحرير الفلسطينية في عمل المجموعات بارزا، حيث ترأس الوفود الفلسطينية إلى هذه المجموعات مسؤولون فلسطينيون بارزون، يحتلون مواقع متقدمة في أجهزة المنظمة، كما حصل في مجموعتي التنمية الإقتصادية واللاجئين. وعندما حرمنا من المشاركة في مجموعة الأمن وضبط التسلح، أرسلنا وفدا إلى تلك الإجتماعات. وبالرغم من أنه لم يدخل قاعة الإجتماعات، إلا أنه أجرى إتصالات مع الوفود الأخرى المشاركة، بما فيها الوفد الأمريكي، وذلك لشرح مخاطر إستبعاد الوفد الفلسطيني وأهمية مشاركته في هذه المجموعة.

توزعت إجتماعات مجموعات العمل في الجولة الثانية للمفاوضات المتعددة الأطراف في ست عواصم عالمية، خلال الفترة ما بين 1992/9/18 حتى 1992/12/4. وأثناء إنعقاد لجنة الأمن وضبط التسلح في موسكو ما بين 18-1992/11/19، حيث كان مقررا، إستبعاد الطرف الفلسطيني من إجتماعات هذه اللجنة، بحجة أنها مقتصرة على الدول، والفلسطينيون لا يشكلون دولة مستقلة، أبلغنا الأمريكان أثناء إنعقادها، بأنهم على إستعداد لقبولنا فيها وقبول أعضاء من الخارج، إذا وافقنا على تجميد حضور رئيسي لجنة التنمية الإقتصادية (يوسف الصايغ) ولجنة اللاجئين (إلياس صنبر)، بحجة أن هذين الشخصين عضوان هامان في منظمة التحرير الفلسطينية، وإن وجدوها في اللجنتين يحول دون حضور إسرائيل لها.

وما لبس الأمريكان أن سحبوا هذا العرض، قبل أن نبدي رأيا فيه سواء أكان إيجابيا أو سلبيا. وعند زيارة عمرو موسى وزير خارجية مصر لإسرائيل، تحدث في هذا الأمر مع نظيره شمعون بيريز، فوضع الأخير ثلاثة شروط، تحضر بموجبها إسرائيل إجتماع لجنتي التنمية الإقتصادية واللاجئين، ويسمح للفلسطينيين بالحضور من الداخل والخارج، والشروط الثلاثة هي:

- أن لا يكون ضمن أعضاء الوفد الفلسطيني أشخاص من القدس.
- أن لا يكون ضمن أعضاء الوفد الفلسطيني أشخاص من المجلس الوطني.
- أن يخرج الصايغ والصنبر من اللجنتين كرئيسين لها، ويبقى إسماهما ضمن أعضاء الوفد.

وبناء على هذه الشروط، تم بحث الموضوع في القيادة الفلسطينية، وأرسلت الرسالة التالية بتاريخ 1992/10/20، إلى الوزير عمرو موسى، لكي يبلغها بدوره إلى شمعون بيريز.

بدون إشارة إلى ما تم بحثه في واشنطن بين الوفد الفلسطيني المفاوض والإدارة الأمريكية (دان كيرتزر)، حول المشاركة الفلسطينية في لجان المتعددة الأطراف، يتمثل عرضنا فيما يلي:

1. أن يتغيب رئيسا لجنة التنمية الإقتصادية واللاجئين لجولة واحدة فقط.
2. مقابل ذلك يشارك الجانب الفلسطيني في جميع لجان المتعددة الأطراف الستة، بما في ذلك لجنة الأمن وضبط التسلح.

وقد أرسلت هذه الرسالة موقعة من أبي عمار لسفير منظمة التحرير الفلسطينية في مصر سعيد كمال، ثم جاء جواب سعيد كمال على لسان السفير نبيل فهمي يوم 1992/10/22 يقول، أن شمعون بيريز، أفاد بأن إسرائيل ستحضر المفاوضات المتعددة الأطراف لهذه الدورة فقط وأنهم سيناقشون موقفهم للدورة التالية على ضوء الوضع المستجد. وبناء على هذه الرسائل المتبادلة، تم الإتفاق على صيغة الحضور الفلسطيني وحضر الإسرائيليون لجنة التنمية الإقتصادية التي سبق أن قاطعوها في الماضي.

وخلال هذين اليومين جرت إتصالات ولقاءات هامة مع الإدارة الأمريكية، أهمها اللقاء الذي تم في وزارة الخارجية الأمريكية بين جيرجيان وحنان في يوم 1992/10/21. والذي تم فيه بحث جوهر مسألة المشاركة الفلسطينية في المفاوضات المتعددة الأطراف، وهذا نصه:

جيرجيان: لقد سمعنا أشياء مثيرة جدا للإهتمام من الروس حول مشاوراتهم مع قادة فلسطينيين في موسكو.

حنان: هل تقصد أبا مازن.

جيرجيان: نعم، أبي مازن، حول جوهر مسألة المشاركة الفلسطينية في المتعدد، نريد أن نسمع عما يحدث، توجد تنويعات عدة على لحن، إذا كان القصد إرباك الراعيين فقد نجحتم في ذلك.

حنان: لا أعلم إن كنت تريد منا إجابة على هذا الآن، أو تريد منا تأجيل هذا (الموضوع) لوقت لاحق.

جيرجيان: آمل أن يكون عندكم موقف.

حنان: عندنا موقف، لقد ناقشنا هذه المسألة، إن كان ذلك من خلالكم، أو في أماكن أخرى، فقد أثيرت هذه المسألة، نحن على وشك تسوية المسألة، لدينا نص يختلف عما جاءنا من عمرو موسى، مسألة لمرة واحدة فقط "تبقى".

جيرجيان: هل هذه نقطة ستستمرون في الإصرار عليها؟

حنان: نعم، ولكن يمكننا مناقشة هذا في وقت لاحق اليوم.

جيرجيان: (بعد الحديث عن الشرطة)، الأمن مسألة هامة، لقد ناقشنا هذا من قبل، وبعد مدريد. لدينا أسباب تدعونا للإعتقاد بأن الإسرائيليين على إستعداد لمناقشة هذه المسألة معكم، وفي هذا الخصوص، تحدثنا مع جماعتكم في القدس حول تدريب الفلسطينيين على مستوى متقدم من الإدارة العامة، ونخطط للدفع لهذا الإتجاه في باريس كجزء من مجموعة العمل حول التنمية اللاإقتصادية، وثنائيا، بين الولايات المتحدة والفلسطينيين في حال النجاح، سيكون عليكم البدء بالإضطلاع ببعض المسؤوليات، وأنتم لا تمتلكون حاليا البنية لإستيعاب ذلك، رجوعا إلى المتعدد، أرجو أن تجعلوا المسائل واضحة.

حنان: حول المتعدد، في مناقشاتهم مع عمرو موسى، قالوا (أي الإسرائيليين) ان هناك شخصين كلاهما أعضاء في المجلس

الوطني يجب ألا يكونوا في الإجتماعات، وشخص ثالث (غير مسمى) غير مقبول، هذه مسودة غير رسمية. (وقرأت حنان عشراوي من المسودة غير الرسمية التي تتحدث عن عمل فلسطينيين من خارج الأراضي المحتلة في جميع مجموعات العمل). لقد وافقت جماعة باريس على هذا. جماعتنا لا يزالوا قلقين من الصياغة الغامضة، لقد فكرنا، طالما أن (الموضوع) يتواصل، فلا حاجة لإجابة فورية، الأمن- نزع السلاح- المياه.

جيرجيان: موقفكم هو أن تغيب أعضاء المجلس الوطني سيكون لمرة واحدة فقط.

حنان: نحن نرفض الإشارة إلى المجلس الوطني على الإطلاق، نحن نسعى لإيضاح أننا لن نقبل أي شروط مسبقة، ونحن نقول لا توجد شروط مسبقة.

كرتسر: يوم الإثنين تجتمع مجموعة البيئة، والخميس الإقتصادية، لديكم فلسطينيين من الشتات، بما فيهم أعضاء من المجلس الوطني، والإسرائيليون لم يطلعونا بعد (على الصيغة؟). لقد قلنا للإسرائيليين أننا لن نلعب دور الشرطي (لتنفيذ) إتفاق لا نعرف محتواه، إبتداء من الإثنين، في مجموعة البيئة، إذا جاء فلسطينيون من الشتات لن نسمح لهم بالدخول، وصولك إلى إتفاق سيكون أمرا عظيما.

حنان: قد نعلم اليوم أو غدا، توجد مشكلة، هل أعلن بيريز أنهم سيذهبون لباريس؟

كرستر: ليس لديهم إجابة حول أعضاء المجلس الوطني في الغرفة، لقد قلنا لهم، إذا جاء يوسف صايغ، لن نرمي به خارج الغرفة.

حنان: سنحاول تسوية المسألة، فكرة، لمرة واحدة قد تشكل مشكلة، لن نتكلم عن مسائل شاملة، مناقشاتنا تعاطت فقط مع يوسف وايلي وذكروا شخصا ثالثا.

شهدت أوتاوا العاصمة الكندية إجتماعات مجموعات العمل حول اللاجئين، خلال الفترة ما بين 11-1992/11/12. وقد إعترض رئيس الوفد الإسرائيلي على وجود الدكتور محمد الحلاج، نائب رئيس الوفد الفلسطيني في قاعة الإجتماع، وطالب بسحبه بحجة أنه عضو في المجلس الوطني الفلسطيني، ونظرا لتمسك الجانبين بموقفهما، قاطع الوفد الإسرائيلي إجتماعات المجموعة، وألقى الدكتور الحلاج كلمة الوفد الفلسطيني، وأتبعها بمؤتمر صحفي قال فيه ردا على أحد الأسئلة: «نعم لقد شاركت في إجتماعات سابقة للمجلس الوطني الفلسطيني، وذلك أمر معروف وليس سرا، كما أنني لم أستقل أو أفصل منه، وإذا دعيت لاجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني القادمة، فإنني سأشارك فيها». وبناء على إقتراح أمريكي لإيجاد مخرج يؤدي إلى مشاركة إسرائيل في أعمال هذه المجموعة، ومفاده أن يستنتج رئيس الوفد الأمريكي في قاعة الإجتماعات، بأن عضوية الحلاج في المجلس الوطني الفلسطيني قد إنتهت، وأن يرد الحلاج بأنه قد شارك في الدورة الأخيرة للمجلس الوطني الفلسطيني، وأن عضويته كانت لتلك الدورة، وأن ذلك لن يحول دون مشاركته في دورات المجلس الوطني الفلسطيني في المستقبل، إذا ما دعي. بناء على ذلك الإقتراح شاركت إسرائيل في إجتماعات اللجنة في يومها الأخير، وهذا نص الصيغة التي تم بموجبها (حل موضوع إشتراك إسرائيل في مجموعة العمل حول اللاجئين).

الأمريكي: بعد مناقشات موسعة مع الوفود، يسرنا أن الوفد الإسرائيلي والجانب الفلسطيني في الوفد الفلسطيني - الأردين المشترك يحضران هذا الإجتماع.

لقد فهمت، إستنادا إلى هذه المشاورات، أن عضوية الدكتور الحلاج في المجلس الوطني الفلسطيني قد إنقضت مدتها (Lapsed) في نهاية الدورة الأخيرة للمجلس الوطني الفلسطيني في 1991، وبالتالي هو ليس حاليا عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني.

الحلاج: كما قال الراعي - لقد حضرت الدورة الأخيرة للمجلس الوطني الفلسطيني ووفقا للطريقة التي يعمل بها المجلس الوطني الفلسطيني، كانت عضويتي لتلك الدورة - وهذا لا يحول دون

(Preclude) مشاركتي في دورات مقبلة للمجلس الوطني الفلسطيني.

الإسرائيلي: إستنادا إلى ما سمعته من الراعي بأن عضوية الدكتور الحلاج قد إنقضت مدتها بعد المجلس الوطني الفلسطيني الأخير، يسر إسرائيل أن تحضر الإجتماع اليوم.

ومع توقيع إعلان إتفاق المبادئ، تكون مرحلة جديدة قد بدأت وهي بلا شك ستعكس نفسها على كافة أشكال اللقاءات التي تليها، ويصبح وراءنا كل ما جرى في المفاوضات المتعددة الأطراف التي إنطلقت بعد إجتماعات موسكو. حيث شاركنا في كل اللجان فيما بعد، وتطور التمثيل الفلسطيني ليشمل أعضاء من الخارج وممن لهم صفة تمثيلية في منظمة التحرير، وتمكنت وفودنا من طرح مختلف القضايا التي تهم الشعب الفلسطيني، وفي غمرة التطور الإيجابي للمفاوضات المتعددة والمكاسب التي تحققت والخسائر التي جبهت ومنعت، نسي الكثيرون ممن عارضوا أسباب معارضتهم.

الفصل السابع

الدور للنرويج

قد يبدو غريبا ومستهجنا أن يقال بأن الصغير يستطيع أن يفعل المعجزات التي يعجز عنها الكبير. فإذا أردنا أن نذكر أسم النرويج كإحدى الدول المثرة في العالم لن نجد لها مكانا بين المؤثرين. ولن نجد لها ذكرا بين الفاعلين أصحاب الأسماء والقدرات والنفوذ في النظام العالمي الجديد أو القديم. ومع ذلك فقد إستطاعت النرويج أن تفعل ما لم يقدر عليه العمالقة. وأن تحقق ما لم يحققه العظام.

ونحن نسجل أحداث أوسلو كوثيقة تاريخية تركت بصمات بارزة على أهم معالم القرن العشرين، لا بد أن نعطي هذا البلد الصغير حقه كاملا في إبراز دوره الإيجابي والفعال للوصول بهذه الوثيقة إلى حديقة البيت الأبيض.

لم يكن إختيارنا ... ولا أعتقد أنه إختيار الإسرائيليين، أن تكون أوسلو مقرا سريا لقناة خلفية لمفاوضات تجري بيننا وبينهم. وإنما كانت مبادرة نرويجية إتجهت أولا نحو الطرف الإسرائيلي الذي قبل بها من حيث المبدأ. ثم تم تدبير اللقاء الذي حصل في لندن حتى حدث التفاهم بين الطرفين، لنعرف بعد ذلك أن النرويجيين لعبوا الدور بإتقان لجمع الخصمين المتنازعين على أرضعم. لكن فكرة القناة الخلفية من حيث المبدأ لم تكن حديثة على أسماع الإسرائيليين أو أسماعنا. فقد سبق أن طرقت بوسائل مختلفة وعبر جهات مختلفة مثل مصر والروس. ولكنها لم تنضج في ذلك الحين، إلى أن إلتقطها النرويجيون واشتغلوا عليها وحققوها.

لقد كانت مهمة صعبة تطلبت من الأطراف الثلاثة أقصى درجة من السرية المطلقة، بحيث فرضت على الإسرائيليين والفلسطينيين أن تكون تحركاتهم محاطة بالكتمان الشديد. لكنها حملت النرويجيين مسؤولية أكبر في ضبط هذه التحركات على أرضهم، حتى لا تلفت أنظار السفارات الأجنبية ووكالات الأنباء والصحافة والمخابرات الدولية. وهي مهمة تبدو مستحيلة، إلا أنها نجحت، حيث إتبع النرويجيون سياسة الإنتقال من مكان إلى مكان.

فلم يقع إجتماعان متواليان في مكان واحد، أو حتى في مدينة واحدة. كذلك فلقد حصروا عدد المسؤولين عن هذه العملية. وأحاطوا أنفسهم بسياج من الضباب يحول دون تسرب الأخبار إلى آخرين عاملين في الخارجية النرويجية أو غيرها.

لا يكفي أن يتبنى بلد ما سياسة ما حتى يكتب لهذه السياسة أن تنجح. وهذا الأمر وإن كان ينطبق على دول العالم الثالث بشكل فاقع فإننا لا نستطيع أن ننفيه عن باقي دول العالم الثاني أو الأول. لأن العنصر الإنساني الذاتي، يلعب دورا يكاد يكون حاسما في تقرير هذه السياسة وتطبيقها.

ومن حسن حظنا ان الطاقم الذي تولى رعاية المفاوضات في النرويج كان يتمتع بدرجة عالية من الحماسة والإهتمام والإندفاع. وقد توفرت لديه رغبات عميقة في التوصل إلى النجاح. وربما كان الدافع عند البعض، البحث عن رصيد سياسي وسمعة دولية، ولكن هذا لا يكفي أبدا لتبرير الجهد الذي بذله هذا الطاقم. ذلك الجهد الذي غير طبيعة حياة هؤلاء الإسكندنافيين، الذين تعودوا على نمط من العمل والروتين، يختلف تماما عما نحن فيه. إلا أنهم سرعان ما تواءموا مع عاداتنا وتقاليد عملنا وسايروا ظروفنا، بحيث أصبحوا يعملون بالليل ويربطونه أحيانا بالنهار من أجل متابعة عملية المفاوضات. ولذلك فإنه لا يكفي أن نعزو سبب هذا الإهتمام للبحث عن رصيد سياسي أو سمعة دولية للدولة أو للأشخاص، وإنما نشعر بدافع ذاتي ورغبة صادقة لتحقيق عملية السلام في الشرق الأوسط. وكثيرا ما كان يصاب المسؤولون النرويجيون بالإحباط وخيبة الأمل عندما تصل المفاوضات على أرضهم إلى طريق مسدود. إلا انهم لم يفقدوا الأمل ولو للحظة واحدة بنجاحها.

وهكذا نلاحظ الشرطين الأساسيين اللذين يضمنان نجاح أي عمل قد توفرا في النرويج. وذلك عندما نقول بأن سياسة الدولة تتبنى مثل هذه القضية، وقدر لها أشخاص كرسوا أنفسهم من أجلها وفي سبيل نجاحها برغبة وحماسة. ولهذا نراهم قد تجاوزوا دور المضيف الذي يهيء أسباب الراحة والسرية التامة للمتفاوضين إلى التدخل المباشر بين المتفاوضين من أجل تقريب وجهات النظر وتقديم المقترحات والبدائل والسيناريوهات، وتقمصوا دور الشريك الكامل في المفاوضات بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى. ولم

يقتصر دورهم على حدود بلادهم بل تجاوزوها، كلما كانوا يحتاجون للإنتقال بين تل أبيب وتونس وواشنطن، لكي يحافظوا على قوة الدفع والإستمرارية، ومن أجل أن يطلعوا بشكل ميداني على أفكار قيادات المتفاوضين ومحاولة إقناعهم، بما يحمله وكلائهم على الطاولة.

ولما كان وزير الخارجية يوهان يورغان هولست، هو الذي يتربع على رأس الطاقم المكلف بهذه المهمة، فقد ظهر وكأن وزارة الخارجية بكاملها أصبحت مكرسة لهذا العمل، لأن الوزير لم يكتف بمن لديه من كبار الموظفين الأكفاء، بل كان يمارس بنفسه متابعة المفاوضات والإطلاع على مجرياتها والإتصال بالإطراف المعنية والسفر إليها للإلتقاء بها دون أن يلفت الإنتباه إلى حقيقة مهمته، ودون أن تكتشف وسائل الإعلام أو المخابرات الدولية أسباب سفره ودوافعها، فقد كان ذكيا في إختراع الأسباب لذر الرماد في العيون.

لقد إستطاع المسؤولون النرويجيون أن يهيئوا الأجواء المناسبة للمتفاوضين، ليس فقط من أجل تقريب وجهات النظر بين الطرفين، وإنما من أجل خلق أجواء وعلاقات إنسانية بينهما من شأنها أن تساعد على بدء مرحلة التعايش والتفاهم، لتنطلق هذه المرحلة من أوسلو وتعكس نفسها في المستقبل على الأرض المحتلة.

وعلينا أن نلاحظ بأن المفاوضات ليست حوارا سياسيا جافا، وإنما هي خليط من مختلف المصالح والمشاعر والأحاسيس والعواطف، تنصهر كلها في بوتقة واحدة، وهي إما أن تؤدي في النهاية إلى تفاهم كامل أو إلى تنافر شامل، وإذا جردنا المفاوضات من العامل الإنساني تصبح بلا روح حتى لو تمت من خلالها إتفاقات، لأن هذه الإتفاقات تبقى بحاجة إلى ما يساندها ويدعمها ويعمقها، وبلا أدنى شك فقد كانت هذه مهمة الطاقم النرويجي الذي أداها بنجاح.

ودرجة الحماسة ومستوى الرغبة في الوصول إلى تحقيق النتائج، لم تكن متفاوتة بين الوزير وبين موظفيه الذين شاركوه تحمل المسؤولية ومتابعة العملية، وبالتالي لم يكونوا يجاملون رئيسهم أو يسايرونه في هذا الأمر، بل كانوا يشاركونه نفس الحماسة والرغبة الصادقة.

تيري لارسون وزوجيته «منى» مديرة مكتب الوزير. نموذج لهؤلاء العاملين الصادقين في وزارة الخارجية، والذين إعتبروا نجاح المفاوضات نجاحا شخصيا وعائليا لهم. ولا أنسى أن لارسون هذا بكى في إحدى المرات، عندما شعر أن الإخفاق يحف بالعملية وأنها لن تنجح. لا أعتقد أنه بكى لان مهمته ستفشل، بل لأن عملية السلام التي يؤمن بها ويعمل من أجل تحقيقها في طريقها إلى الفشل ... هذا هو العامل الإنساني الذي أضفى جوا آخر على المفاوضات أسهم في تحقيقها، ويعود الفضل فيه لهؤلاء النروجيين.

لقد تجاوز جو المفاوضات الدبلوماسيين النروجيين إلى بيوتهم وعائلاتهم وأطفالهم، حتى عاش هؤلاء وعايشوا المتفاوضين والمفاوضات، وأحسوا أنهم يصنعون من حيث لا يعلمون الكثير أو ربما القليل، يصنعون لحظات حاسمة من التاريخ، وقد ظهر هذا في عيونهم ونظراتهم وطريقة إستقبالهم للضيوف، وحرارة الترحيب بهم. لأنهم إستطاعوا أن يستضيفوا الخصمين معا في بيوتهم في جو عائلي خال من الرسميات والبروتوكول وتعقيداتهما. وتركت مثل هذه اللمسات الإنسانية أطيب الأثر في نفوس الجميع. وضاعفت من حماستهم للوصول إلى إتفاق.

لقد أدخل الوزير هولست إلى المستشفى مرتين إثر أزمة حادة ولم تمنعه معاناته الصحية من تمتعه ومن تمتع رفاقه من إستمرار متابعتهم لعملية السلام حتى بعد التوقيع، ومن أجل التطبيق. ولم تقتصر مسؤوليتهم الأدبية والسياسية على الإحتفال بتوقيع الإتفاق في واشنطن، بل تجاوزته إلى حث الطرفين على إزالة كل عقبة تقف في طريق التطبيق.

إذا كان الفلسطينيون والإسرائيليون أهل فرح حديقة البيت الأبيض. إذا كان كلينتون وإدارته وزعماء بلده السابقون والحاليون رعاة هذه الفرحة والفرح. فإن هولست كان العراب الذي ينظر إليه الجميع بالإعجاب والتقدير والحسد أحيانا، وكثيرون تمنوا لو كانوا مكانه، وأدوا مهمته.

قال احد الأخوة مرة: «ينص الميثاق على أن الفلسطيني هو المولود لأبوين عثمانيين، فهل ستقتصر الجنسية الفلسطينية على أولئك المتحدرين من أصول فلسطينية؟ فأجبت: «بعد هذا العناء الطويل الذي شاركت

فيه شعوب وأفراد من العرب وغير العرب، وضحى هؤلاء بأنفسهم ووقتهم وأموالهم. لا أعتقد أنه يمكن قصر الجنسية الفلسطينية على المتحدرين من أصل فلسطيني. لأن الفلسطينية أصبحت إنتماء والتزاما أكثر مما هي سلالة وأجيال. وبناء عليه فإن الدول والشعوب والأشخاص الذين قدموا للثورة الفلسطينية خدمات لا تنسى، وضحوا من أجلها تضحيات ستبقى محفورة في عقول الأجيال، إن لهؤلاء علينا حقا، نقدم لهم بعضا منها بأشكال مختلفة تعبيرا عن الوفاء والعرفان بالجميل والإمتنان، وإلا فإننا سنوصف بالجحود والتنكر لهم ولجهودهم وتضحياتهم. لن أقوم بتعداد هؤلاء أو بحصرهم فهي ليست مهمتي، ولكنني أكتفي بما جاء في السياق، وأترك لمن سيتولى المسؤولية الإهتمام بما يفرضه الواجب.

كتب وزير خارجية النرويج بعض الرسائل، وتلقى أجوبة على بعضها. ونحن نحتفظ بنسخ مما كتب وتلقى، وقد جاءت هذه الرسائل في سياق مفاوضات أوسلو وفي خدمتها. وهكذا فهو لم يكتف باستضافة المتفاوضين وتهيئة كل أسباب النجاح لهم. ولم يقف عند التنقل المستمر بين أوسلو وتل أبيب وتونس وواشنطن، بل عزز هذا كله بالرسائل لتكون وثائق تاريخية شاهدة على ما قام به باسمه وباسم بلده.

بتاريخ 1993/7/16 وصل السيد يوهان يورغن هولست وزير خارجية النرويج إلى تونس على رأس وفد رسمي رفيع لزيارة الجمهورية التونسية. وقد إستغل هذه المناسبة من أجل أن يجري لقاء مع عرفات للتباحث حول قناة أوسلو. وحيث أنه لا بد أن يزوره رسميا سيرافقه عدد من موظفيه الذين لا يعرفون شيئا عن قناة أوسلو، وفي نفس الوقت سيكون مع عرفات آخرون لا يعرفون شيئا أيضا. تم ترتيب لقائين، الأول يحضره الجميع والثاني يلتقيان منفردين، جرى اللقاء البروتوكولي لمدة عشرين دقيقة، ثم إنفرد الإثنان. وبعد إنتهاء الإجتماع كتب هولست رسالة مفصلة إلى شمعون بيريز، حملها تيري لارسون وزوجته منى فور إنتهاء الإجتماع.

وقد لاحظ هولست أن عرفات كان إستعراضيا في الجلسة العامة حينما كان يخاطب زملاءه أكثر مما كان يخاطب الجانب النرويجي. إلا أن الحديث أخذ منحى آخر عندما إنفرد الإثنان، لأنهما تطرقا بشكل مفصل إلى قناة أوسلو

وأهمية إستمرارها ودعمها حتى تصل إلى تحقيق النتائج الإيجابية بما في ذلك إستمرار المحافظة على سريتها حتى لا تنفجر. وقد تطرق الحوار إلى تفاصيل مختلفة تتعلق ببنود إعلان المبادئ، وبخاصة النقاط الخلافية لا زالت معلقة. لذلك حاول هولست ان يقدم صورة مشجعة عن لقاءه بعرفات، حتى يطمئن بيريز إلى نوايا خصمه ورغبته الحقيقية في تحقيق السلام[9].

وفي 1993/7/19 حمل تيري لارسون الرسالة الجوابية من بيريز، الذي عبر عن إمتنانه لجهود هولست وللمداولات التي أجراها لارسون في تل أبيب، ويبدوا أن هذه الرسالة حفزت بيريز والحكومة الإسرائيلية على متابعة قناة أوسلو، والسرعة في البحث عن حلول للعقبات التي لا زالت تعترض طريق هذه المفاوضات. مؤكدا على ضوء توضيحات رسالة هولست ومناقشات لارسون بأن إختراقا تاريخيا سيقع، مشيرا إلى أنهما سيلتقيان في شهر أغسطس/ آب[10].

بقي الوزير هولست في تونس بانتظار عودة مبعوثيه إلى تل أبيب، ليسمع منهما إنطباعات الإسرائيليين على رسالته وكذلك ملاحظاتهم حول مجمل مايجري في أوسلو. وعندما عاد المبعوثان جلس الفريق ليقيم كل ما توفر لديه من معلومات، ثم سطر هولست مجموعة من النقاط بتاريخ 1993/7/20 ليثيرها في إجتماعه الثاني مع عرفات. وهذه أبرز النقاط:

1. التسريبات التي جرت في بعض الصحافة الإسرائيلية والغربية حول قناة أوسلو، والأساليب التي إتبعت لنفيها وإثارة الضباب حولها.
2. تحبيذ الإسرائيليين لقناة أوسلو ورغبتهم في إستمرارها على أن لا يطول الزمن أكثر من اللازم. ويرون فيها الأمل الوحيد والأخير في آن معا.
3. يرغب الإسرائيليون بأن تكون الجولة القادمة هي الجولة الحاسمة في أوسلو .. وهذا رأي رابين والحكومة الإسرائيلية المصغرة.
4. يبدي الإسرائيليون بعض المرونة حول "أريحا".
5. إن الهاجس الإسرائيلي هو الأمن، ولذلك فهم مستعدون لمنح السلطة الفلسطينية كل التسهيلات لبناء قوة بوليس قادرة ومتمكنة.

9 النصوص مرفقة بالملحق.
10 النصوص مرفقة بالملحق.

6. القدس من القضايا الحساسة جدا، ولذلك يفضل تأجيل بحثها إلى المرحلة النهائية مع قضايا أخرى.
7. أبدى الإسرائيليون الإستعداد لبحث قضايا إقتصادية في إطار إعلان المبادئ.
8. يركز على بناء الثقة بين الطرفين، وفي إعتقاده أن تطبيق المرحلة الأولى، سيغير كثيرا من القناعات عند الطرفين.
9. ليس للنرويج أي مصالح خاصة ودورها هو التسهيل، ويعتقد أن أنجح المفاوضات هي التي تجري مباشرة بين المتخاصمين.
10. الإتفاق بحاجة إلى شجاعة قيادية .. ويرى هولست أنها متوفرة لدى عرفات، وأنه قادر على إضفاء الشرعية على أي إتفاق في أوساط الشعب الفلسطيني.
11. يرى أن النزاعات التي يطول الزمن عليها، تصبح الرموز والشعارات فيها عقبات يصعب إزالتها، وينصح باللجوء إلى إستعمال بعض التعابير التي تعطي تطمينات للطرف الآخر .. ثم ينتهي بالإشارة إلى ضرورة الحديث عن الميثاق الذي يرتعب الإسرائيليون من كثير من بنوده، ويحبذ أن يكرر عرفات تصريحات حول أن الميثاق قد تجاوزه الزمن[11].

غادر هولست تونس إلى باريس وكتب يوم 1993/7/21 رسالة أخرى إلى بيريز، وقد تضمنت هذه الرسالة ملاحظات عدة سواء حول لقائه بعرفات أو بمقترحات تتعلق باستمرارية القناة ونجاحها.

وقد كرر فيها تلك النقاط التي أثارها في إجتماعه بعرفات. ثم نقل عنه النقاط التالية:

- يعتبر الوصول إلى إتفاق إختراقا تاريخيا.
- وعد بمنع التسريبات التي سبق وأن قام بها د. نبيل شعث.
- شدد على مشروع غزة- أريحا شارحا بالتفصيل وجهة نظره وأهمية هذا المشروع لتسويق إعلان المبادئ.
- تحدث عرفات عن علاقاته مع الأردن.
- يعتقد عرفات أن الإتفاق الفلسطيني الإسرائيلي سيفتح الطريق لاتفاقات أخرى مع سورية ولبنان والأردن.

11 النصوص مرفقة بالملحق.

- ركز على حاجته لقوات أمن قوية للسيطرة على الموقف في الأراضي المحتلة.
- قبل عرفات فكرة بيان مشترك حول النقاط المتفق عليها، إلا أن أبا علاء إعترض وطالب بضرورة الوصول إلى إعلان مبادئ.
- قبل عرفات بشيء مبهم عن القدس، وعبر عن تفهمه لحساسية الموقف الإسرائيلي نحوها. كما طالب بأن يتضمن إعلان المبادئ إشارة ما إلى الأماكن الدينية.
- أبدى عرفات رغبته بسرعة الوصول إلى إتفاق وذلك بسبب سوء الأوضاع في الأراضي المحتلة، مؤكدا أن السلام ضروري للطرفين، وأن الإسرائيليين والفلسطينيين يجب أن يتعلموا العيش سويا.
- أكد عرفات إستعداده لأن يكرر قوله حول إنتهاء مفعول الميثاق، الذي سبق أن قاله في جنيف. وقدم أدلة حول هذا الموضوع من خلال مؤشرات كثيرة منها الإعتراف بدولتين والقبول بالقرارين 242 و 338.[12]

إن هذه الإتصالات المكثفة التي أجراها الوزير هولست قد تمت قبل شهر واحد فقط من توقيع إعلان المبادئ في أوسلو. وقد ساهمت هذه الإتصالات في حث الطرفين على سرعة إنجاز مهمتهما، كما ساهمت في تقريب وجهات النظر. لعبت الأمانة في نقل الأفكار وفي إختيار المواضيع التي يطرحها مع الجانبين دورا هاما في وضع أساس للثقة المتبادلة ومن ثم تعزيز هذه الثقة، التي تعتبر ركنا هاما ورئيسيا في إطمئنان كل طرف إلى نوايا وأهداف الطرف الثاني.

كنا قد أشرنا في موضع آخر إلى أن الوزير هولست إستغل وجود وزير خارجية إسرائيل في ستوكهولم بالسويد وانتقل إليه وكان ذلك في 1993/8/17. ومن هناك أجرى إتصالا معنا وكان يتوسط في الحديث بين الطرفين. ذلك الحديث الذي إستمر من الساعة العاشرة مساء حتى الساعة الخامسة صباحا، حيث أنجز كل النقاط الخلافية التي كانت عالقة.

ولم تتوقف مهمته عند التوقيع على إعلان المبادئ، بل تابعها للوصول إلى الإعتراف المتبادل، الذي إحتاج إلى أسبوعين تقريبا لإنجازه، والذي تطلب منه التنقل المستمر بين أوسلو وباريس وتونس وتل أبيب، حتى تم التوقيع عليه يوم 1993/9/10.

12 النصوص مرفقة بالملحق.

كل من تابع عملية السلام والتوقيع عليها في البيت الأبيض إعتقد أن مهمة الوسطاء والرعاة وفي مقدمتهم النرويج قد إنتهت، لأنهم تمكنوا أن يوصلوا الطرفين المعنيين إلى الإتفاق، وبالتالي فإن كل القضايا المتعلقة بالتطبيق هي شأن من شؤونهما، وهذا ما أكده مرارا الأمريكان، عندما كان يطلب منهم التدخل لإزالة بعض العقبات، وكانو يصرون على أن هذا شأن المتفاوضين ويرفضون التدخل.

أما الوزير هولست فقد كان يراقب بدقة واهتمام الإجتماعات التي تجري في طابا ولقاءات القمة التي وقعت في القاهرة بين عرفات ورابين، تلك الإجتماعات واللقاءات التي كان مصيرها الفشل، الأمر الذي أصبح يهدد الإتفاق نفسه، مما جعل هولست يتحرك في محاولة لإنقاذ العملية برمتها.

وفي الساعة الثانية من صباح 1993/12/20 إتصل بي في بيتي من وزارة الخارجية النروجية لإبلاغي أن الوزير هولست يريد التحدث إلي. وبالفعل تكلم الوزير بصوت متهدج متعب لأنه كان في ذلك اليوم قد خرج من المستشفى إثر أزمته الأولى، وطلب إلي الموافقة على عقد إجتماع في أوسلو مع بيريز لإنقاذ الإتفاق. وقد ألح علي للموافقة غلى درجة خجلت منه وخجلت من نفسي.

وفي الساعة الرابعة من صباح 1993/12/22 إتصل بي تيري لارسون وكنت آنذاك في فندق ريجنسي في الرباط، ليبلغني أن الوزير أدخل مرة أخرى إلى المستشفى بسبب الإرهاق، ولكن المساعي التي بدأها لعقد إتفاق في أوسلو، لا زالت مستمرة ويتمنى أن تتحقق.

وبالفعل لم تتوقف مساعي النرويج حتى تحقق اللقاء الفلسطيني الإسرائيلي في مدينة ساليزبورغ، وجرى بحث العقبات التي تقف في طريق تطبيق الإتفاق، ولم يصل المجتمعون إلى نتيجة. فقرروا أن يتابعو لقاءاتهم في باريس ثم في القاهرة، حيث إجتمعت لجنة المتابعة المشتركة بكامل أعضائها. ومع ذلك لم تصل إلى إتفاق نهائي، بل وصلت إلى أفكار تصلح أرضية للبناء عليها.

وللمصادفة الغريبة وأنا أكتب هذا الفصل وأضع لمساته الأخيرة، وفي يوم 1994/1/13 تنقل وكالات الأنباء نبأ وفاة وزير خارجية النرويج يوهان يورغن هولست عن عمر يناهز السادسة والخمسين[13].

في 1993/9/13 حضر توقيع الإتفاق الذي شارك في صنعه ورعاه في حديقة البيت الأبيض. وفي 1994/12/13 كان ينتظر أن يطبق هذا الإتفاق بعد أن بذل جهودا خارقة من أجل ذلك. وفي 1994/1/13 فارق الحياة، تلفه الحسرة والإحباط.

وصلني الخبر فارتج علي، وتوقفت عن الكتابة، حيث فرت مني كل الكلمات والأفكار التي يمكن أن أقولها عنه وبحقه. وتجمدت كل أحاسيسي عن العمل، لأن الخسارة فاقت التعبير ونابت عنه العبرات.

13 النصوص مرفقة بالملحق.

الفصل الثامن

قناة أوسلو

بصراحة تامة .. إن القائد الفلسطيني الذي يريد أن يقدم على الدخول في مسار تفاوضي سري، سيوصم بأنه يقوم بعمل إنفرادي وسيواجه برفض عربي وفلسطيني عنيف، ليس لأنه إنفراد بالموقف فحسب، بل لأنه خروج على المألوف في التعامل مع القضية الفلسطينية التي تعودنا على أن تكون قضية تهم الجميع من حق الجميع أن يدلوا بدلوهم فيها وأن يشاركوا في حلها، إن هذا القائد أو المسؤول الذي يقدم على هذا العمل بحاجة إلى جرأة وحماية وحصانة من نوع فريد، وإلا فإن أحدا لا يقبل أن يخوض مثل هذه المغامرة المحفوفة بالمخاطر.

لقد حصلت تطورات إيجابية هامة على الوضع الفلسطيني باتجاه الإستقلالية والبعد عن المؤثرات الجغرافية السياسية، تلك المؤثرت التي كثيرا ما جعلت القيادة الفلسطينية تخسر كثيرا من الفرص التاريخية، نتيجة للقيود التي فرضتها تلك المؤثرات. إضافة إلى ذلك فإن إعتبار فلسطين هي قضية العرب والمسلمين جميعا، هذا الإعتبار، أتاح الفرصة لكل طرف عربي أو مسلم أن يدعي بحصة ما تكبر أو تصغر حسب نفوذ هذا الطرف، في رسم القرار الفلسطيني.

إن هذه التطورات التي سنشير إليها لاحقا لم تمنع -بعد إعلان إتفاق أوسلو- أطرافا عربية وإسلامية من أن تصب جام غضبها الشديد على الفلسطينيين الذين فرطوا بحقوق العرب والمسلمين في فلسطين. ولو لم تحصل التطورات الإيجابية الهامة على الساحة الفلسطينية والعربية والدولية لكانت ردود الفعل أشد وأفعل، ولما كنا خضنا هذه التجربة، وتجرأنا على توقيع الإتفاق. فقد كان من أبرز هذه التطورات، الإنتقال من بيروت إثر إجتياح إسرائيل، لقد أدى وجودنا على بعد آلاف الأميال إلى صفاء الرؤية لدينا نحو مجمل القضايا الخارجية والداخلية، فانكبت القيادة على إعادة حياكة نسيجها الداخلي، بما يضمن لها الإستقلالية في الموقف والقرار. وفي نفس الوقت الإلتفات إلى خطوط الضوء المتناثرة في الآفاق والمنبعثة من الأرض المحتلة، للإمساك

بها وضبط اللحظة التاريخية، التي لاحت من هناك لوضع ملامح الحل السياسي للقضية الفلسطينية.

كسبت منظمة التحرير الفلسطينية معركة الحفاظ على الشرعية بالأغلبية المطلقة. ولكن ذيول المسألة بقيت قائمة لأن الأطراف الأخرى لم تستسلم وأصرت على الطعن بالشرعية وتمسكها بالقديم. وجاءتها فرصة مواتية بتوقيع الإتفاق الأردني- الفلسطيني والذي سمي باتفاق عمان في (10 شباط 1985) والذين صوروه على أنه تسليم للأردن بالقرار الفلسطيني والسعي نحو أمريكا للبحث عن حل سلمي معها.

ولم يتفعل الإتفاق الأردني- الفلسطيني ولم يتمكن هذا الإتفاق من الوقوف على قدميه، حيث ساهم الأمريكان في إفشاله، مما جعل أمريكا تطالب بمزيد من التنازلات، الأمر الذي أدى إلى تجميده.

وانعكس هذا التجميد على العلاقة الأردنية- الفلسطينية والتي كادت تنفجر بإعلان حكومة الأردن فك الإرتباط مع الضفة الغربية، إلا أننا تمكنا من تطويق هذا الإنفجار عندما عالجناه كلانا، بمنتهى الحكمة وبعد النظر.

بداية البداية:

على هامش الإجتماع الذي عقد يوم 1992/12/3 في لندن للجنة القيادة الخاصة بالمفاوضات المتعددة الأطراف، طلب كل من فيصل الحسيني وحنان عشراوي وعفيف صافية ممثل المنظمة في لندن، طلبوا من أبي علاء اللقاء مع يانير هيرشفيلد عضو حزب العمل والأستاذ في جامعة تل أبيب والذي يقدم نفسه على أنه مستشار لكل من شمعون بيريز وزير الخارجية الإسرائيلي ونائبه يوسي بيلين.

وقد تم اللقاء فعلا ولم يحضره إلا عفيف صافية حيث إنشغل فيصل وحنان. وكانت المرة الأولى التي يجلس فيها أبو علاء وجها لوجه مع مسؤول إسرائيلي. فهو على الرغم من أنه يقود المفاوضات متعددة الأطراف والأطقم الخاصة بها، إلا أنه وحسب الإتفاق لا يحضر اللقاءات أو الإجتماعات لأنه له صفة رسمية في منظمة التحرير الفلسطينية، كذلك فإن الطرف

الإسرائيلي يمنع أي عضو من أعضاء وفده أن يلتقوا بممثلي المنظمة. وهذا ما ينطبق أيضا على نبيل شعث الذي يشرف على الوفد في واشنطن في المفاوضات الثنائية، حيث لا يسمح له أن يلتقي مع الوفد الإسرائيلي.

وأبو علاء عضو في لجنة متابعة المفاوضات بصفته مشرفا على المفاوضات المتعددة التي لها صفة التخصصية الفنية، وهو يصب كل إهتماماته بها، إلا أنه لم إلماما كاملا بما يجري في المفاوضات الثنائية بحكم وجوده في هذه اللجنة، ولكن لا نستطيع أن نقول بأنه متعمق بأعمالها وتفاصيلها، بخاصة وأنه تغلب على صفة أعماله في المنظمة أو حركة فتح التخصص الإقتصادي والمالي وما يتفرع عنهما، وهو مكتف بما يقوم به، لأن لجان المتعدد كثيرة وتستغرق جهدا كبيرا لإدارتها وتنظيمها وترتيب الدراسات والكوادر اللازمة لها.

لم يكن اللقاء مع هيرشفيلد يحمل طابعا إقتصاديا أو يتعلق بالمفاوضات المتعددة الأطراف، وإنما إنصب الحديث بشكل مباشر على القضايا السياسية الخاصة بمفاوضات واشنطن، وقد حاول هيرشفيلد أن يعطي الإنطباع عن ان اللقاء غير رسمي وأنه يتحدث كرجل أكاديمي لا يلتزم بشيء، ولا يلزم أحدا بشيء، وأنه وإن كان قريبا من المسؤولين الإسرائيليين إلا أنه غير مخول وحديثه غير ملزم.

عاد أبو علاء إلى تونس وقدم تقريرا مقتضبا لأبي عمار فأحاله علي، لنقوم الموقف ونتخذ القرار المناسب بهذا الشأن، وعندما قرأت التقرير لمعت في ذهني خاطرة تقول بأن بابا يفتح لحوار سري، وأن هذا الرجل لا يمكن أن يتصرف من ذاته ولا بد أنه مكلف من رئيسيه بيريز وبيلين، وأنه مرسل لسبر الأغوار وجس النبض، وأن هذا الطرف في الحكومة الإسرائيلية يريد أن يفتح قناة غير قناة واشنطن، لأننا نعرف تماما أن تقسيم العمل في حكومة إسرائيل، ترك لبيريز الإشراف على المفاوضات المتعددة الأطراف بينما إحتفظ رابين لنفسه ولمستشاريه الخصوصيين الإشراف المباشر على المفاوضات الثنائية. كنت أعرف سلفا أن الدخول في حوار أو مفاوضات جانبية مع طرف غير مخول رسميا في الحكومة الإسرائيلية أمر محفوف بالمخاطر لأنه بالإضافة إلى أنه لا يلزم هذه الحكومة، فغنه ربما يؤدي إلى ردود فعل سيئة ويعتبر لعبا على

الحبال وعلى التناقضات الداخلية ويشعل أوار الحرب والتنافس بين طرفي هذه الحكومة مما يدمر كل شيء.

طلبت من أبي علاء أن يعطيني الفرصة لمزيد من دراسة التقرير الذي قدمه لنا عن لقائه مع هيرشفيلد، حتى أتمكن من إتخاذ القرار المناسب الذي يؤدي إلى أقل الخسائر.

في يوم 1993/12/7 إلتقينا أبو علاء وأنا لنناقش الأمر بشكل نهائي، ونتخذ القرار الذي كان بالموافقة على متابعة الحوار في النرويج حسب إقتراح هيرشفيلد. وذلك ضمن الرؤية التالية:

إن إقتراح النرويج دليل على الجدية وذلك لإبعاد الحوار عن عيون الصحافة ووسائل الإعلام بالإضافة إلى أن مثل هذه البلاد (النرويج، السويد، الدانمارك) لا تشكل أية حساسية للأمريكان، بل ربما تكون معتمدة من قبلهم، لأن طموحات هذه البلاد قليلة وتأثيرها السياسي ضعيف، ومصداقيتها عالية، وقد سبق للأمريكان أن إعتمدوا السويد في فتح الطريق لحوار أمريكي فلسطيني عام 1988، حيث إلتقى خالد الحسن مع ريتا هاوزر (يهودية أمريكية) وعدد من اليهود الأمريكان، وأدى هذا اللقاء إلى لقاء آخر مع أبي عمار، ثم تبين أن هؤلاء مخولون رسميا من الحكومة الأمريكية لإجراء الحوار برعاية حكومة السويد.

إن إقتراح النرويج من قبل الطرف الإسرائيلي يؤكد ان الموضوع قد بحث معه بشكل مسبق، وهذا يعني أن هيرشفيلد لم يأت إلى لندن لعقد إجتماع طارئ وغير محسوي ومرتب مسبقا، بل إنه جاء بناء على سابق إصرار وتصميم وتقرير، وأن حكومة النرويج تسترق السمع بانتظار موافقتنا لبدء الحوار على أراضيها.

لا نستطيع أن نصدق بأن هيرشفيلد مجرد أستاذ جامعي يبحث عن الحقيقة، فلقد كانت لدينا معلومات كاملة حوله، وقد تعودنا على مثل هذا النمط من الإتصالات التي تبدأ بهذا الشكل حتى لا تشكل إلتزاما لمن يقف وراءها، بخاصة وأن اللقاء يتم مع منظمة التحرير الفلسطينية بشكل مباشر، وهذا

بحد ذاته لو كشف أمره لأسقط حكومة رابين. ولذلك فإن هيرشفيلد بقوله أنه مجرد أكاديمي، إنما ليحمي نفسه ويحصنها ويحمي من يقف خلفه.

أما بالنسبة لنا فإن الأمر يخلو من أية مخاطر، فنحن لن نخسر شيئا، لأن الحوار معنى إن أثمر نتائج فهذا ما نسعى له، وإن كان مجرد «دردشة» فلن يضيرنا أبدا.

إن الإسرائيليين لا يثقون بقدرتنا على حفظ الأسرار، ولذلك علينا أن نحيط الأمر هذا بالكتمان التام والسرية الكاملة، وهذا يقتضي بالدرجة الأولى قطع كل الخيوط التي إطلعت على اللقاء الأول والإيحاء لها -إن سألت- بأن المسألة غير جادة وبأننا إتخذنا قرارا بعدم المتابعة، وإن لم تسأل فعلينا السكوت والصمت.

وفي تونس يجب أن لا يعلم أحد على الإطلاق بهذا الأمر، ولا بد أن يقتصر علينا ثلاثتنا-أبو عمار، أبو مازن، أبو علاء- حب أبو علاء بهذه السرية لأنها التجربة الأولى له في لقاء الإسرائيليين، ولأنها محفوفة بالمخاطر ولأنه في نفس الوقت يتصف بالكتمان.

تجنب الإتصال بمكتبنا في أوسلو وعدم إشعار العاملين فيه بوجود وفد فلسطيني. وإذا صدف وعرفوا فلا بد من الحديث عن متابعة المفاوضات المتعددة الأطراف.

كذلك لا بد من تجنب إطلاع كل الممثليات الفلسطينية في الطريق إلى أوسلو مثل جنيف، روما، باريس، ولندن. والأهم من هذا تجنب الإحتكاك بالعاملين بمكتب المنظمة في تونس الذين يستقبلون ويودعون القادمين والمغادرين، ولا يخلو مطار تونس منهم ليلا ونهارا. ولا بد من إختراع الأسباب الجاهزة والقصص المقنعة والمرتبة لمواجهة أي مصادفة أو سؤال طارئ؟

عندما أبدى أبو علاء تخوفه من أن يكون وحده في الحوار مع الإسرائيليين، إقترح أن يكون معه حسن عصفور ليتساعد على المواجهة، بخاصة وأنه يعمل سكرتيرا للجنة الخاصة بهذه المفاوضات. ولما كان لا يتقن اللغة الإنكليزية

لا بد أن يكون معهما من يتقنها حتى لا يقعا في مطبات اللغة. لأن البحث سيكون سياسيا وقانونيا في آن معا. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن حسن عصفور ينتمي إلى حزب الشعب (الحزب الشيوعي الفلسطيني) وهو عضو في لجنته المركزية. إلا أنني كنت مطمئنا تماما إلى إخلاصه في عمله وإلى أنه لا يمكن أن يخلط بين ولائه التنظيمي وولائه الوظيفي، وبالتالي فقد كنت متأكدا من أنه لن يفشي أسرار هذه القناة ولو أدى ذلك إلى فصله من الحزب.

وقع الإختيار على السيد ماهر الكرد[14] ليكون ثالث أعضاء الوفد حيث يتقن اللغة الإنكليزية، وقد عمل مستشارا إقتصاديا في دائرة أبي علاء، ثم إنتقل للعمل مع أبي عمار.

إنتقلنا بعد ذلك إلى مضمون المفاوضات حيث تساءل أبو علاء ... والآن ماذا سنقول؟ وما هي النقاط التي سنتحدث بها وعنها؟ إنني لست بالصورة الكاملة لآفاق المفاوضات الثنائية.

قال هذا من قبيل الإحساس بثقل العبء وعظم المسؤولية التي تلقى على عاتقه لأول مرة، والخوف من الفشل. إلا أنه في نفس الوقت كان يتمتع بثقة عالية بنفسه وقدرته على النجاح إذا كان التحضير جيدا، والمادة التي سيحملها مقنعة ومنسجمة مع الشرعية، وليست بعيدة عن الواقع.

الوثائق:

عكفت على دراسة الوثائق التي تبادلها الفريقان الفلسطيني والإسرائيلي في مفاوضات واشنطن، ثم وضعتها جانبا لأنها قد غلبت عليها الحرفية السياسية وراعت الشكليات أكثر مما راعت المضمون، وقد حاول كلا الطرفين أن يبرز براعته في الصياغة وأن يبذل قصارى جهده، لكي يكون الأكثر بلاغة في تفنيد حجج الطرف الآخر، إضافة غلى القيود التي كان يشعر كل فريق بها والإلتزام في حدودها.

14 لم يكمل ماهر الكرد مسيرة مفاوضات أوسلو، فقد وقع خلاف بينه وبين أبي علاء واستبعد واستعيض عنه بشخص آخر وهو «محمد أبو كوش». وقد أحضرت الكرد إلى مكتبي وحذرته من إفشاء أي من المعلومات التي لديه وطلبت منه تسليمي الوثائق فسلمها، وقد تبين أنه حافظ على السر، وكان محل الثقة التامة، ونال بذلك كل التقدير والإحترام.

من هنا كان لزاما علينا أن نفكر بأسلوب آخر لقناة اوسلو، أسلوب يدخل مباشرة إلى المضمون وإلى إطار إعلان المبادئ، والتخلي عن فكرة أجندة العمل المشترك، التي كان وفدنا في واشنطن يتمسك بها، والتي كان يعتقد أنه لا بد أن يتم الإتفاق عليها، لكي يبدأ بداية صحيحة. وحتى الجولة التاسعة لم يتمكن من الوصول للإتفاق حولها.

بعد مضي أكثر من سنة على مفاوضات مسار واشنطن، التي إتسمت بالجمود، وجدت أنه لا بد من بحث أسلوب آخر للمفاوضات. ووضعت أفكارا يمكن أن تكون أساسا لإعلان مبادئ، وأخفيت هذه الأفكار حتى يتم بحثها مع وزارة الخارجية المصرية. وبعد ان بحثناها سويا وجرى عليها بعض التعديلات، طلبت من عمرو موسى أن يعرضها على الإسرائيليين لمعرفة رأيهم فيها، إلا أن هذا لم يحصل، واكتفيت برأي المصريين واحتفظت بها للوقت المناسب. وقد تألفت هذه الأفكار من عشر نقاط، كانت أولاها نقطة تتعلق بالمرجعية (242 ، 338) وقد إقتبستها من أقوال إدوارد جيرجيان الذي كان قد إجتمع بوفدنا إبان وجوده في واشنطن، حيث تعرض وفدنا هناك إلى موقف الوفد الإسرائيلي من هذه النقطة بالنقد الشديد، الأمر الذي جعل جيرجيان يقترح صيغة، وجدتها مناسبة ومقبولة، ولذلك طلبت من وفدنا أن يتبناها أمام الوفد الإسرائيلي، وفي نفس الوقت وضعتها كبداية لأفكار إعلان المبادئ.

كذلك حاولت أن أجس نبض وفد يهودي أمريكي قدم لزيارتنا مؤلف من ثلاثة أشخاص وهم ستيف كوهين، ودان أبراهام، وأوين أوين، وهم من اليهود الذين تربطنا بهم علاقات قديمة تعود إلى سنوات، ومن المقربين إلى شمعون بيريز وزير خارجية إسرائيل، ويقومون بزيارات منتظمة إلى المنطقة ويزورونا في تونس أو يلتقون معنا في القاهرة، ويزورون شمعون بيريز ومجموعته في تل أبيب. وكثيرا ما كان ستيف كوهن ينقل أفكارا بين تل أبيب وبيننا.

عرضت هذه الأفكار بصورة غير مباشرة على هذا الوفد لأستمع إلى وجهة نظره، فأبدى إعجابا شديدا بها، وقال أنها تصلح لكي يبدأ بها ويبني عليها وبخاصة نقطة المرجيعية والأمن والكونفدرالية. وقد حاول ان يحصل على نسخة مكتوبة من هذه الأفكار، لكنني تمنعت ووعدته بأن أرسلها له في وقت لاحق، بعد أن تنتهي وتصبح في صيغة نهائية ومترجمة إلى الإنكليزية.

وهكذا فقد إلتقينا ثلاثتنا (أبو علاء، حسن، وأنا) قبل سفر الوفد إلى أوسلو بثمان وأربعين ساعة، لنضع ملامح ما نريد أن نقول من أفكار وآراء ومقترحات، وقد كتبت جميع هذه الأفكار، وتزود الوفد ببعض محاضر وفد واشنطن للإستئناس بها. وظلت الوثيقة التالية هي الأساس من أجل الوصول إلى إعلان مبادئ:

1. The objective is reach a just, Lasting and comprehensive peace settlement, through direct negotiations based on security council resolutions 242 and 338. The negotia- tions between the Palestinians and Israel will be contucted in phases, which are how- ever an integral whole.

2. نطاق السلطة الإنتقالية الفلسطينية تشمل الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967، ويتم الإتفاق على بحث الإستثناءات الإدارية خلال المفاوضات، على ألا تخل هذه الإستثناءات بولاية القرار 242 ، 338 ومبادئ القانون الدولي.
3. تمارس السلطة الإنتقالية الفلسطينية كافة السلطات التي يتفق على نقلها إليها. (مع الأخذ بعين الإعتبار إجراء مراجعة للقوانين المرعية).
4. يتم إختيار السلطة الإنتقالية بالإنتخاب العام والحر المباشر من قبل جميع السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية، بما فيها القدس وقطاع غزة حسب إحصائيات 1967/6/4.
5. تتولى جهات دولية يتفق عليها مراقبة عمليات الإنتخاب ونقل السلطة.
6. تنشأ لجنة ثنائية لبحث القضايا المشتركة ولفض المنازعات (من السلطة الإنتقالية الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية).
7. تشكل لجنة تحكيمية، تحال إليها كافة الأمور المختلف عليها من لجنة فض المنازعات، في حالة تعذر التوصل إلى حل لها، وذلك من راعيي المؤتمر ومصر والأردن والأمم المتحدة، ويضم إليها ممثلان عن السلطة الإنتقالية وحكومة إسرائيل، أو أطراف أخرى يتفق عليها.
8. إن قضايا الأمن في مفهومها الإستراتيجي والمستقبلي، بما تعنيه من تجسيد لأفكار التعايش السلمي في المنطقة تتطلب دراسة منطلقة من توفر النوايا الحسنة لدى كافة الأطراف، والرغبة الصادقة في البحث عن المصالح المشتركة، بما يعطي الأمن مفهوما إيجابيا يجعل الجميع حريصين عليه.

9. يبدأ الطرفان ببحث المرحلة النهائية بعد سنتين من تطبيق المرحلة الإنتقالية أو حسب الإتفاق أيهما أقرب، وفي كل الأحوال نبدأ في موعد لا يتعدى بداية السنة الثالثة من هذه المرحلة.
10. ودون الإجحاف بالمرحلة النهائية، يتم بشكل غير رسمي دراسة إمكانية إنشاء إتحاد كونفدرالي للبحث في أفضل السبل والوسائل المناسبة لاستقرار المنطقة وإشاعة السلام.

اللقاء الأول:

بدأ اللقاء الأول يوم 1993/1/20 وانتهى في 1993/1/22، واختار النرويجيون مدينة ساريسبوغ التي تبعد حوالي مائة كيلو متر عن أوسلو لتكون بداية اللقاء الفلسطيني- الإسرائيلي، وقد حضر اللقاء الأول عن الجانب الإسرائيلي يانير هيرشفيلد ورون بونديك. ولم يوضح الإثنان مدى علاقتهما بالخارجية الإسرائيلية، ولكنهما ألمحا إلى أن علاقة ما تربطهما بنائب الوزير يوسي بيلين الذي شجعهما ودفعهما لعقد مثل هذا اللقاء، وعلى الرغم من هذه البداية الضعيفة، إلا أنني دفعت وفدنا للإستمرار والإهتمام، لأن كل البدايات تكون على هذا النحو.

وحيث أنها كانت البداية، بما تحمله من رهبة اللقاء، والخوف من المجهول، ويبدو أن كلا الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي حديث العهد بمثل هذه المفاوضات، وحيث أن وفدنا يجلس وجها لوجه مع الإسرائيليين، ونظرا لعظم المسؤولية، فقد كتب أبو علاء قبل أن يغادر تونس كل ما عليه أن يقوله، وترك مسألة الترجمة -وهو يقرأ بالعربية- لماهر الكرد. وقد أحسن أبو علاء صنعا في الحديث بداية باللغة العربية، حتى لا يترك أي مجال للبس والغموض والإبهام لدى الطرف الإسرائيلي، وحتى يتمكن من أن ينقل الرسالة بأمانة وبشمولية وبوضوح.

ولكن على ما يبدو فإن الوفد طرح كل الأفكار في الجلسة الأولى، واعتبرها كجولة في الأفق ليرى إنطباع الوفد الإسرائيلي وردود فعله عليها، وبحكم المهنة فقد تطرق أبو علاء إلى القضايا ذات الطابع المتعدد بحكم مسؤوليته ومتابعته لوفودنا في المفاوضات المتعددة الأطراف.

وبطبيعة الحال لم يكن هناك تركيز على أية نقطة من النقاط المثارة. كما لم يحصل أي تعميق لأية نقطة، لأن الجلسة الأولى كانت أقرب للتعارف منها إلى المفاوضات، وبالتالي فإن التقويم الذي وقع في نهاية الجولة الأولى لم يكن للنقاط المثارة، وإنما للجو الذي ساد هذه المحادثات، ودراسة تحليلية لآراء الإسرائيليين.

جعلتنا دراسة المحضر بعناية نستنتج نقطتين هامتي، أولاهما: أن بونديك وهيرشفيلد ليسا بعيدين عن وزارة الخارجية وأنهما ليسا مجرد باحثين في المعاهد الإسرائيلية، والثانية أن يوسي بيلين عضو الكنيست ونائب وزير الخارجية الإسرائيلي يدعمهما ويمنحهما تأييده وثقته، وقد أكدت لنا مصادرنا في الأرض المحتلة ذلك بعد إتصال سريع معها.

صحيح أن وزن يوسي بيلين لا يعطي أية قناة ثقلا تجعلها قادرة على الإقلاع. ولكنه مؤشر هام إلى وجود شمعون بيريز على الخط، غير أن مثل هذا الوجود لازم وغير كاف للإطمئنان، ومع ذلك سرنا بحماس في هذه القناة. ونثبت هنا المحضر الأول لأهميته:

الجولة الأولى - محضر اللقاء في 1993/1/21 مدينة سايسبورغ:

الحضور من الجانب الإسرائيلي: يانير هيرشفيلد، ورون بونديك.
الحضور من الجانب الفلسطيني: أبو علاء، حسن عصفور، ماهر الكرد.

أبو علاء: نمر في مرحلة مصيرية وهامة تحتاج إلى قدر كبير من الشجاعة والإقدام، وكلانا نحن الطرفين بحاجة إلى إستثمار هذه الفرصة، ولا يخفى عليكم أنه إذا فوتناها فهذا يعني مزيدا من المعاناة والحروب لشعبينا. بالنسبة لنا نحن جادون ونوايانا طيبة، لقد تم إتخاذ القرار الحاسم من جانبنا بالوصول إلى السلام. إن حالة الإحباط التي جاءت نتيجة تعثر مفاوضات واشنطن ساعدت المعارضة عندنا لتؤكد وجهة نظرها، ولا أكتمكم فإن حالة الإحباط هذه تعود إلى ثلاث أسباب:

الأول: طبيعة السياسة الإسرائيلية المتوترة والخشنة والتي نرى أنه آن الأوان لكي تهدأ.

والثاني: لم تحقق كل المفاوضات أية نتائج إيجابية، بل نشعر بالعكس أنها ذات نتائج سلبية.

والثالث: تدهور الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والمالية في الأراضي المحتلة.

بيدكم إزالة هذه الأسباب ما دامت النوايا صادقة، لقد مررنا بمرحلة صعبة بعد حرب الخليج، لقد أسيء تفسير موقفنا وإن كنا قد بالغنا فيه، ولا نخجل من الإعتراف بذلك. إلا أننا في هذه الأيام بدأنا شيئا فشيئا نستعيد علاقاتنا مع البلدان العربية. فقد قام أبي مازن بزيارة كلا من قطر والسعودية وعمان. وبطبيعة الحال فإن زيارة أبي مازن مدعومة من قبل القيادة، فقد صدر عن هذه القيادة بمختلف أطرها ما يؤكد ذلك، وأستطيع القول أن علاقتنا مع أوروبا والدول الإسكندنافية واليابان في حالة تقدم، أما بالنسبة لأمريكا فبعد أن توقف الحوار فإنه لن يستعاد، رغم أن لدينا وعودا بذلك، أعتقد أن إستعادة الحوار مع أمريكا سيساعدنا كثيرا في مفاوضاتنا.

لقد برهنا على صدق توجهنا، عندما قبلنا أن ندخل إلى مدريد بشروط مجحفة، وسنظل ملتزمين بالعملية السلمية ما دام هناك أمل في تحقيق نجاح، وسنظل نناضل من داخل العملية لتحسين شروط مشاركتنا فيها، ولكن أعتقد أنكم توافقوننا بأننا في واشنطن قد وصلنا إلى مفترق طرق بعد مفاوضات دامت خمسة عشر شهرا، مع العلم أن رسالة الدعوة والتطمينات تشير إلى سنة من المفاوضات يتبعها تطبيق حكم ذاتي إنتقالي في الأراضي المحتلة، فقد حاولنا جهدنا أن نقدم مقترحات وحلولا كثيرة لردم الهوة التي بيننا إلا أننا لم ننجح، وقد أصبحنا نعتقد أن المعارضة بما تقدمه من حجج وبراهين على ضرورة وقف المفاوضات تكاد تكون صحيحة. ولذلك سأتطرق اليوم لبعض المقترحات.

بالنسبة للمرجعية: لقد تقدم إدوارد جيرجيان لوفدنا في واشنطن بمقترح نراه مقبولا لحل مسألة المرجعية، كذلك لدينا مقترح آخر يمكن أن نتلوه عليكم[15]، إن الإتفاق على المرجعية سيسهل السير في المفاوضات، ولا بد لي من الإشارة إلى أن المرجعية تطبق أيضا على المرحلة الإنتقالية.

15 المقترح الوارد في النقاط العشرة التي حملها الوفد معه إلى أوسلو والتي تم الإتفاق عليها مع المصريين.

نطاق السلطة: يجب أن يكون واضحا بأنها تشمل الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 وأن أية إستثناءات إدارية يمكن أن يتم الإتفاق عليها من خلال المفاوضات، شريطة أن لا تخل بشمولية الولاية وبمضمون القرار 242.

الأمن: لقد وضعناه اليوم في إطاره السليم بما يخدم مصالحنا ومصالحكم وحاجاتنا وحاجاتكم، وذلك بمفهوم إستراتيجي مستقبلي بما يعنيه من طرح أفكار للتعايش السلمي في المنطقة والبحث عن المصالح المشتركة، بحيث يأخذ الأمن مفهوما إيجابيا يجعل الجميع حريصين عليه وليسوا مجبرين عليه. أي الأمن الذي يجلب المصالح لا الأمن الذي يمنع الخوف.

الإنتخابات: نفهم أن يشكل المجلس الإنتقالي الفلسطيني بالإنتخاب العام والحر والمباشر من قبل جميع الفلسطينيين في الضفة والقطاع حسب إحصائيات 4 يونيو/ حزيران 1967، ويتولى هذا المجلس التشريعي لجميع السلطات التي يتفق على نقلها إليه، آخذين بعين الإعتبار ضرورة مراجعة عامة للقوانين السارية حاليا، وتشرف على هذه الإنتخابات جهات دولية متفق عليها.

لا بد لإسرائيل من أن تتخذ خطوات وإجراءات لا تكلفها شيئا ومنها:

الخطوة الأولى: حل مشكلة المبعدين، نعتقد أن مبادرة إسرائيل لإعادة المبعدين منذ عام 1967 تعطي مصداقية هامة لموقفها، وبخاصة إعادة بعض الشخصيات التي يعزز موقفها عملية السلام.

الخطوة الثانية: لقد آن الأوان لإعادة الإعتبار لدور منظمة التحرير في عملية السلام، بحيث يكون لها دور مباشر يدفعها إلى الأمام ويسهل إتخاذ القرار في المفاوضات.

الخطوة الثالثة: لا بد أن يصدر موقف من حكومة إسرائيل بوقف الأنشطة الإستيطانية للتعبير عن حسن النوايا والإشارة إلى عدم الرغبة في التوسع، وكذلك رفع القيود عن الأنشطة الإقتصادية وقضايا حقوق الإنسان بشكل عام.

الخطوة الرابعة: لقد تحدث رابين وبيريز عن الإنسحاب من غزة. لماذا لا يتم الإنسحاب منها ما دامت تسبب لكم كل هذا الصداع. إذا تم ذلك سيكون بداية تعاون لأن غزة بحاجة إلى مشروع مارشال، ويمكن أن تكون منطقة حرة، وإذا أبديتم إستعدادا فيمكن أن تمتد المنطقة الحرة حتى أسدود. هذا مشروع تعاون ضخم وهام جدا يمكن أن تقدم دراسات بمنتهى السرية من جانبكم ومن جانبنا ومن جهات دولية أيضا. هذه الفكرة طرأت الآن لنا ونحن لم نناقشها في السابق. إن حل مشكلة غزة يحل مشاكل إقتصادية وإجتماعية. لا أطلب جوابا منكم ولكن عليكم أن تدرسوا هذه الفكرة للمستقبل، لأنها تمثل أحد جوانب التعاون المستقبلي. وعلينا أن نتصور مدى تأثيرها على المنطقة العربية، حيث يمكننا أن ننشئ صناعات مختلفة مثل صناعة السيارات والصناعات ذات التقنية العالية. إن الإنسحاب من غزة ليس صفقة على حساب الضفة الغربية، وأرجو أن لا تفهموها بهذا الإطار ولكنها خطة هامة لدفع عملية السلام ولها تأثير سحري.

ثم إنتقل أبو علاء إلى تناول مواضيع المفاوضات المتعددة الأطراف.

في مجال لجنة التنمية: هناك قائمة بإجراءات لبناء الثقة في المجال الإقتصادي، ويمكن أن تطرح في لجنة التنمية الإقتصادية. أملنا أن لا يعترض الوفد الإسرائيلي عليها، من المفيد لنا ولكم أن تمنح إسرائيل ترخيصات لبنك تنمية، ومعمل إسمنت وميناء غزة التجاري ومشاريع إسكان بما في ذلك القدس.

لجنة المياه: لا أدري ما هو أساس المنطق الإسرائيلي برفض البحث في حقوق المياه لنا، ولماذا ترفضون فكرة تشكيل لجنة حول حقوق المياه؟ إن الفلسطينيين لا يحصلون إلا على جزء بسيط من حقوقهم المائية. لماذا لا تسمحون ببناء قناة الغور أسوة بالقناة الشرقية؟ أصبح ضروريا رفع الحظر عن تشكيل مؤسسة وطنية فلسطينية للمياه وتجهيزها ودعمها. لو كنت مكانكم لطرحتها في المتعدد.

لجنة اللاجئين: لأسباب عديدة، سياسية وإنسانية، لا بد من خلق مناخ إيجابي يرفع الحظر عن موضوع جمع شمل العائلات وعودة المبعدين، لكي ننطلق لمناقشة القضايا الأخرى على جدول أعمال هذه اللجنة.

لجنة البيئة: عندما طرحنا موضوع تشكيل مؤسسة لحماية البيئة، إعترض الوفد الإسرائيلي على ذلك ولا يوجد في إعتقدانا ما يبرر هذا الإعتراض.

لجنة الأمن: نأمل أن لا تثار مشاكل حول موضوع التمثيل الفلسطيني في هذه اللجنة.

لجنة التوجيه: لا نفهم أسباب معارضتكم لتشكيل لجنة القدس، لأنها في رأينا ستعمل على خلق جو إيجابي لدى الطرفين، كذلك نرى ضرورة دعوة العراق وليبيا لتكونا جزءا من العملية السياسية.

نقاط أخرى: ماذا عن قناة البحرين، المتوسط والأحمر؟ وماذا عن التعاون في إستثمار البحر الميت، معادن، كيماويات، سياحة، ومنطقة حرة في وادي الأردن.

نقطة أخيرة: لقد تحدث رابين عن الكونفدرالية، كخيار مستقبلي، نحن ننظر بجدية إلى هذا الطرح، نرغب أن نسمع منكم حول هذا الموضوع.

تلك هي النقاط التي طرحها الوفد الفلسطيني والتي شملت مسا مباشرا لمختلف القضايا الهامة. هذا وقد جرى الحوار التالي بعد ذلك:

يائير هيرشفيلد: أود أن أعبر عن رد فعلي الفوري، ما أسمعه الظين متميز بأهمية بالغة فهو يعبر عن التصميم للحصول على السلام، كما يعبر عن عقل خلاق. إذا أردت أن أتحدث عن المسائل العملية أقول لكم، إبدأوه بغزة، وقوموا بتطوير عدة مشاريع فيها، وأتوقع أن يدفع حزب العمل بهذا الإتجاه حيث تصبح غزة نموذجا للتعاون الإقتصادي، كما أعتبر أن غالبية الحزب، ستتفهم بأن مثل هذا العمل سينعكس على الضفة الغربية.

أما فيما يتعلق بمقترحاتكم التي إستمعنا إليها، فإننا سنقدم تقريرا إلى جهاتنا، ونعود إليكم بأجوبة وأفكار حول جميع المسائل المثارة، إن صراحتكم ووضوحكم سيساعدنا على مجابهة العديد من المشكلات، وسيمكن رابين من إقناع حزب العمل للقيام بخطوات أكثر سرعة، حيث أن الرأي العام لدينا

يتقبل فكرة الإنسحاب من قطاع غزة. وأود أن أسأل هل لديكم إقتراح حول جدول زمني فيما يتعلق بالقطاع؟

أبو علاء: إن غزة بحاجة إلى توفير الإستقرار والأمن والتنمية في أقرب وقت.

هيرشفيلد: كيف سيكون المخرج هنا؟ لمن يتعين علينا أن نعطي المفتاح؟

أبو علاء: يمكن الإتفاق على ذلك، الأمم المتحدة، جهة دولية ما، خصوصا الراعيين.

هيرشفيلد: ما نتوقعه هو أن نعطي المفتاح لكم أنتم؟

أبو علاء: سيكون بادرة حسن نية هامة منكم إذا ما قمتم بتقديمها إلى الراعيين، ما هو موقفكم من تحويل مائة إلى مائتي كيلو متر من قطاع غزة ومساحة أخرى مماثلة من أسدود، إلى منطقة حرة مشتركة.

هيرشفيلد: يمكننا القيام بدراسة جادة لهذا المشروع ضمن إطار مؤسسة التعاون الإقتصادي، هل يمكن ترتيب ذلك بطريقة سليمة ومفيدة للطرفين؟ هل من الممكن ترتيب لقاء بين فيصل الحسيني ورابين لبحث هذا الموضوع ثم نتابعه هنا عبر هذه القناة الخلفية؟

لقد قمنا، يوسي بيلين وأنا، بإعداد دراسة حول الإنسحاب من غزة من طرف واحد قبل حوالي سنتين. ووجدنا مساندة قوية ليس فقط من حزب العمل وإنما من الليكود كذلك وبخاصة موشيه أرينز، إن الرأي العام قد أصبح جاهزا الآن للإستجابة لفكرة الإنسحاب هذه.

أبو علاء: وماذا عن المستوطنات في قطاع غزة؟

هيرشفيلد: هذه مسألة بحاجة إلى دراسة، ذلك بأنه يمكن مقاربتها من خلال تأثيرها على الملكية اليهودية، والأهم من ذلك أن ما سيتم

في المستوطنات في قطاع غزة سيصبح نموذجا يسترشد به في الضفة الغربية في المستقبل. لماذا لا يتم إستخدام المستوطنات في مشروعات مشتركة؟ نعتقد أننا إذا قمنا بالإنتقال خارج قطاع غزة فلا أحد سيكون بإمكانه أن يمنع منظمة التحرير من الدخول إليه. قد نجد طريقة لإدماج موضوع غزة في الإطار المرجعي للإتفاقية. إن الإتفاق حول غزة سيقوم بتحديد دور كل طرف من الأطراف. كما يسهل إجراء تعديلات في بنود المرجعية.

أبو علاء: يتم التعامل مع هذه المسألة أي الإنسحاب من غزة كقضية منفصلة ولا تجحف بالحل النهائي، وليست صفقة على حساب الضفة العربية.

هيرشفيلد: نحن نستغرب أن تكون هناك مشكلة حول مصنع الإسمنت لأننا نعلم أنه قد تمت الموافقة على المصنع. وسنقوم بالتأكد من ذلك.

أبو علاء: هناك معوقات في الإجراءات التطبيقية. خصوصا ما يتعلق بمسألة فحص التربة والأعمال الجيولوجية والترخيص الذي كان مبدئيا فقط.

هيرشفيلد: بالنسبة لمسألة بنك التنمية الفلسطيني فهناك مشكلات تتعلق بمسألة النقد. فإذا كنتم ستتعاملون بالشيكل فليست هناك مشكلة.

أبو علاء: نريد التعامل بعملات قابلة للتحويل. كذلك نريد مستقبلا التعامل بالجنيه الفلسطيني.

هيرشفيلد: أعتقد أن بناء سبعة آلاف وخمسمائة وحدة سكنية في القدس ستمثل واحدة من أهم إجراءات بناء الثقة.

أبو علاء: الإسكان بشكل عام عملية هامة جدا. وهو محرك الإقتصاد الفلسطيني لما يوفره من فرص للعمل ويخلق صناعات

تكميلية. ولكن حتى يكون ذلك عمليا لا بد أن يكون البناء في القدس وعلى الأرض العامة.

هيرشفيلد: لماذا تصرون على مسألة حقوق المياه، علما بأنها قضية من قضايا السيادة وتبحث في المراحل النهائية؟ نحن قد نتمكن من التعاون معكم في زيادة نصيبكم من إستهلاك المياه. لكن يتعين قبل ذلك أن نتعاون في مجموعة من المشروعات الصغيرة قبل المياه لكي تتمكنوا من تملك أدوات الإدارة الكفؤة. يمكن بحث ذلك إلى درجة ما في المتعدد. ولكن أساسا في المباحثات الثنائية.

أبو علاء: تناقش حقوق المياه، في المتعدد للمرحلة النهائية، وليس من المفيد تأجيل الحديث عنها اللآن، إذا نظرنا إلى عملية السلام بشكل متكامل فإنه يمكن تسهيل الأمور لبعضنا البعض بشكل متبادل في المسارين الثنائي والمتعدد.

هيرشفيلد: بالنسبة إلى قناة الغور الغربية، فإن السوريين يستخدمون أكثر من نصيبهم، وقد طلب منا الطرف الأردني أن نساعدهم، وهو أمر وافقنا عليه. أن مصادر المياه المتبقية لن تكون كافية من أجل قناة الغور الغربية. وبإمكانكم أن تطلبوا من إحدى الدول مثل سويسرا أو كندا تمويل دراسة لكم لمعالجة مسالة المياه، من حيث تجمع المياه السائلة من سلسلة الجبال المطلة على الغور.

أبو علاء: لا نستطيع ان نتخلى عن حقنا في المياه، إذا كان لدينا فائض سنتفق مع الأردن ومعكم لمصلحة الجميع، ولكننا لا نقبل أن يؤخذ نصيبنا عن طريقكم أو عن طريق الأردن أو سورية. لا نريد لأحد أن يأخذ المياه على حسابنا.

هيرشفيلد: نقترح مدخلا آخر وهو أن تطرحوا في المتعدد أن يتم تحديد سعر موحد للمياه، بحيث يدفع الفلسطيني نفس السعر الذي يدفعه الإسرائيلي وهذا سيسهم في تحسين الأوضاع، وكذلك

يمكنكم إنشاء محطة تحلية مياه في غزة. ونحن على إستعداد لشراء الكميات الفائضة، وفي نفس الوقت تستفيدون من توليد الكهرباء.

أبو علاء: هذه قضايا تفصيلية على الرغم من أهميتها. فبالنسبة لمحطات التحلية نراها غير مجدية ومكلفة جدا. والأهم هنا هو حقوقنا في المياه، والتي إذا تم الإتفاق عليها، فإن هذا سيتتبع بحث إدارتها وتعزيز مواردها، ويمكن أن يتم التعاون بيننا حولها. لا تنسوا أن حروبا قامت بسبب المياه، وربما تكون المياه سببا محتملا لحروب في المستقبل. إذا تحقق سلام حقيقي فإن محطة أو إثنتين تعملان بالطاقة النووية تمول من قبل الدول المعنية باستقرار المنطقة، تستطيع أن تشكل أهم مصادر وموارد المياه، طبعا تكلفتها عالية (10 مليار دولار).

هيرشفيلد: إن موقفنا بالنسبة لجمع شمل العائلات هو أن تبحث في المفاوضات الثنائية، لأن طرح مثل هذه المسألة في مجموعة عمل اللاجئين في المتعدد ترمز إلى حق العودة، وأنتم تعلمون مخاوف الإسرائيليين من نتائج ذلك، وما تعنيه العودة إلى حيفا ويافا. وهذا سيؤدي إلى عدم الإستقرار. بعد التسوية النهائية وبعد الإنسحاب الإسرائيلي ستصبح مسألة حق العودة مشكلتكم أنتم. يمكن التعامل مع "جمع الشمل" في إطار الثنائي ضمن خطوات بناء الثقة، وفي هذه الأثناء تبحث مجموعة اللاجئين في المتعدد تحسين أوضاع اللاجئين، وذلك إلى حين التوصل إلى التسوية النهائية.

أبو علاء: نحن ننظر إلى العملية،كعملية واحدة بشقيها. لأن التقدم في مسار يساعد على التقدم في المسار الآخر، ورغم أن الثنائي هو مركز العملية، إلا أن القضية هذه موجودة على أجندة المتعدد، فهناك قرار خاص بذلك في مجلس الأمن وهو 237، بينما يتحدث القرار 194 عن حق العودة. لو كنا مكان الحكومة الإسرائيلية لقمنا بمبادرة بناء الثقة والشروع في عملية جمع شمل العائلات، ولا نرى ما يبرر تردد الحكومة الإسرائيلية في هذا المجال.

هيرشفيلد: من الممكن تسهيل عملية جمع شمل العائلات، بأن تتقدموا بمجموعة من المشروعات التي تتطلب إختصاصيين. والقول بأن بعض مقدمي طلبات جمع الشمل هم من يمكنهم أن يساهموا في إنشاء هذه المشروعات.

أبو علاء: إن مجموع الطلبات المقدمة إلى الصليب الأحمر لجمع شمل العائلات تفوق الخمسين ألفا وجميعهم لهم الحق بالعودة وفق القرار 237.

هيرشفيلد: بالنسبة لتشكيل مؤسسة وطنية فلسطينية لحماية البيئة فلا نرى في تشكيلها أية مشكلة، وسأقوم بمراجعة يوسي سريد وزير البيئة في هذا الخصوص. أما بالنسبة لتشكيل مجموعة عمل للقدس، فنحن بصراحة لا نفهم موقفكم ولا نعرف أسباب رغبتكم. ستحاول بعض الأطراف المشاركة في هذه اللجنة -إن شكلت- أن تتطرق إلى مناقشتها، هل نحن بحاجة إلى السوريين أو السعوديين؟ يمكننا إجراء محادثات غير رسمية بأشكال مختلفة حول القدس، وأنتم تلاحظون أن هناك خطوات كبيرة ولكنها غير مباشرة. نحن نقدر أن هناك ضرورة للتوصل إلى وضع خاص بالقدس. على سبيل المثال ... الوضع الخاص لقصر الشرق (مقر الوفد الفلسطيني) والإسكان في القدس، والمؤسسات وغيرها. ولذلك لنبحث هذه المسألة في الثنائي ولا داعي للتدويل. بالنسبة لنا يتعين أن تبقى القدس موحدة، وفي نفس الوقت فإننا نفهم أن فلسطينيي القدس لا ينبغي لهم أن يصبحوا جزءا من إسرائيل، كما نفهم أهمية القدس بالنسبة لكم. وخلاصة القول نحن مستعدون للحديث عن القدس ولكن ... ليس في المتعدد الأطراف.

أبو علاء: إذن ليكن الحديث عنها في الثنائي ونشكل لها لجنة غير رسمية.

هيرشفيلد: في هذه الحالة فإن الحكومة الإسرائيلية سو تسقط فورا، خصوصا وأن "شاس" سوف تخرج منها بدون نقاش. لنا ملاحظة

أخيرة تتعلق بتشكيل التمثيل الفلسطيني في لجنة الأمن التابعة للمفاوضات المتعددة الأطراف. نرجو أن لا يجري أي تعديل على صيغة هذا التمثيل، وأعتقد أنكم تتفهمون موقفنا.

الجولة الثانية 11/2/1993:

لقد لاحظنا أن الجولة الأولى كانت تتناول أبحاثا مختلفة وقضايا عديدة. بحيث يجري مس لهذه القضايا واستعراض لجس النبض دون التركيز على مواضيع معينة، إلا أن النتيجة التي توصلنا إليها تعطينا الإنطباع بضرورة التواصل. وتشير في الوقت نفسه إلى أن الخطوط الحمراء الإسرائيلية تكاد تكون باهتة، الأمر الذي يجعل وفدنا قادرا في الجولات القادمة على طرح كل المواضيع التي نراها ضرورية لتشكيل هيكل إعلان المبادئ.

وقد قمنا بتحليل كل كلمة في محضر الجلسة الأولى، لنستنتج خلاصات تفيدنا في الجولات القادمة. والتركيز على ما يمكن التركيز عليه في هذه المرحلة. وقد لاحظنا أن معظم البنود الأساسية التي يمكن أن تشكل إعلان مبادئ قد تم التطرق إليها، إلا أنها بحاجة غلى مزيد من الحوار لصقلها وتثبيتها.

إلا أن المشكلة التي كانت تشغل بالنا، هي إلا أي مدى يمثل هؤلاء المفاوضون الإسرائيليون المؤسسة السياسية الإسرائيلية. وهل هم قادرون على الإلتزام بما يتم الإتفاق عليه؟ ومن ثم هل هم قادرون على تسويقه في الدولة؟

إن نقطة الضعف الأساسية في هذه القناة هي أنها سرية. وهذا يعني أن الإسرائيليين يستطيعون إنكارها بالكامل، أو يستطيعون أن يكشفوها وبالتالي يجهزون عليها.اما نقطة الضعف الثانية فهي عدم إعتراف الوفد الإسرائيلي بأنه يمثل جهة رسمية، وإن كان يشير في أكثر من مكان إلى إرتباطات أو علاقات مع هذا المسؤول أو ذاك. إن ما كان مؤكدا هو أنهما ينتميان إلى حزب العمل وأنهما ليسا بعيدين عن يوسي بيلين نائب وزير الخارجية. وعلى الرغم من ذلك فقد بقيت هذه الهواجس تلاحقنا طيلة الجولات الثلاثة التالية والتي لم يشارك فيها من الطرف الإسرائيلي سوى مائير هيرشفيلد ورون بونديك.

كان الحوار مطولا ومفصلا، وأحيانا مكررا، لإغناء النقاط التي وردت في البداية، أو لطرح أفكار جديدة، إلا أن الجدير بالذكر أن الثقة والتفاهم تعمقتا شيئا فشيئا بين الطرفين، الإسرائيلي والفلسطيني، وبدأت الأمور تأخذ منحى الجدية والإصرار للوصول إلى نتائج إيجابية.

بدأت الجولة الثانية يوم الخميس 1993/2/11 بحديث من قبل الطرف الإسرائيلي.

يائير هيرشفيلد: أود أن أتحدث عن موضوع المبعدين، لقد توصلنا إلى تفاهم مع الولايات المتحدة. في الواقع، رابين فقد ماء وجهه في إسرائيل، علينا أن نبحث عن إتفاق لا يخسر فيه أحد، فهل هذا ممكن؟ مثل هذا الإتفاق سيحسن من وضع الطرفين، وفي الواقع فإن الهجوم المتكرر علينا والموجه من بطرس غالي ومنظمة التحرير يزيد من صعوبة وضعنا.

تحدث رابين في جلسات خاصة عن خطر إستيلاء الإخوان على الأردن، ويبدو أن الموقف الإيراني ينال تدريجيا المزيد من الشرعية نتيجة إهتمام الشركات الغربية الإستفادة من الفرص الإقتصادية المتاحة عبر التعاون الغربي مع الأردن.

أما بالنسبة لموقف أمريكا حاليا فإن نظرتنا ترتكز على الملاحظات التالية:

- يركز الرئيس كلينتون على الشؤون الداخلية، وهذا يعني إنحسار الدفع الأمريكي لتوجيه السياسة الخارجية.
- من الواضح أن قوى التحالف الغربي التي كانت مع الولايات المتحدة التي عبأتها في أزمة الخليج، قد أخذت تتداعى وتتفرق.
- يمكن إعطاء دفع لحركة الولايات المتحدة باتجاه عملية السلام من خلال قيامنا سوية بإحراز تفاهم مشترك.

لقد تلقينا منكم رسالة سلام، هذه الرسالة هامة في التأثير على التفكير السياسي لدينا. ونحن من طرفنا سعينا إلى هذا اللقاء الثنائي برسالة سلام من جانبنا.

نحن نشعر أننا بحاجة إلى إحراز تقدم كبير في المفاوضات وإلى تحسن ملموس للأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في الضفة والقطاع. إلا أن الأمر في البداية يتطلب إلقاء نظرة على القنوات المتاحة أمامنا وهي النرويج، فيصل وحنان، سري نسيبة. نحن بحاجة إلى قناة سياسية تؤثر على الوضع الداخلي في إسرائيل، إلا أن كل هذه القنوات يجب أن تصب في القناة الرسمية وتقدم لها محصلتها.

سيعود شمعون بيريز وروبنشتاين من واشنطن لإعادة تقييم المفاوضات مع الفلسطينيين، وهذا التقييم سيكون شاملا، إلا أن من الواضح أن إسحاق رابين لا زال يفضل إستمرار عقد المفاوضات الثنائية في واشنطن.

وهنا لا بد لي من أن أوضح لكم بعض ملامح سياساتنا الجديدة التي تتمحور حول ضرورة تحسين الأوضاع في الضفة وغزة. حتى لو أدى ذلك إلى آثار سلبية على الإقتصاد الإسرائيلي. ولقد أعلن بيريز رسميا بأن إسرائيل لا تريد إلحاق الضفة وغزة بها حيث قال: "أنه بعد إحلال السلام فإنه يمكننا أن نفكر في الكونفدرالية". وجانب آخر هام، يتمثل في إستعداد إسرائيل لتخصيص المزيد من أراضي الدولة لأغراض التنمية الخاصة بالفلسطينيين، ونحن نؤمن أنه كلما أسرعنا في التوصل إلى تفاهم مشترك، كلما كان ذلك أفضل لنا ولكم وللأمريكيين. ولذلك فإننا نريد أن نبحث معكم اليوم كيفية حل بعض المعضلات والتوصل إلى تفاهم.

مداخلة من عضو الوفد الإسرائيلي رون بونديك:
إن الحكومة الإسرائيلية ستقوم بإحداث تغيير جوهري في هيكل الدعم المقدم للمستوطنات، وبالفعل فقد أخذت الحكومة قرارها بخصوص سياسة جديدة تقوم بموجبها بزيادة الدعم للمستوطنات والقرى داخل إسرائيل، وذلك على حساب المستوطنات في الضفة وغزة. وجانب آخر من السياسة الجديدة، يتركز على إعطاء فرص النجاح لممارسة الـ (ISGA) الإقتصادية بصرف النظر عن تأثيرات ذلك سلبيا على إقتصادنا، والهدف من وراء ذلك هو إعادة إحياء إقتصاد غزة والضفة، وقد تم في هذا الصدد إتخاذ الخطوات التالية:

1. إعفاءات ضريبية لمدة ثلاث سنوات للمشروعات الصناعية الجديدة.
2. تشجيع قيام فلسطينيين من الخارج بالإستثمار وذلك عبر منح المستثمرين من الخارج إذن دخول لمدة سنتين في مجال الصناعة والإسكان، وحتى تاريخه فقد إستفاد أربعون شخصا من الخارج من هذا الإجراء علما بأنه لم توضع أية حدود أو قيود على حجم الأموال الداخلة أو على مصادر هذه الأموال.
3. تشجيع التصدير المباشر.
4. الموافقة على إنشاء مكتب مستقل لمثلية السوق الأوروبية في القدس الشرقية.
5. تم إلغاء جزء من الرسوم الجمركية على الجسور فيما يتعلق بالصادرات إلى الأردن.
6. الموافقة على إنشاء ثمانية مناطق صناعية. خمس منها في غزة وثلاث في الضفة الغربية، وستقام جميعها على أراضي الدولة.
7. تمت الموافقة على منح تراخيص لمشروعات جديدة: 90 غزة و 108 في الضفة.
8. لقد تسلم مجلس إدارة مصنع الإسمنت رسالة رسمية بالموافقة وبإذن للحصول على 150 ألف دولار من فرنسا لإجراء دراسات.
9. تم منح تراخيص إقامة مطحنة في غزة أو رام الله.
10. تمت الموافقة على منح موافقة لافتتاح سبعة فروع جديدة لبنك القاهرة عمان، وكذلك الموافقة على فرع جديد لبنك فلسطين (غزة).
11. أعطيت الموافقة لافتتاح شركتي تأمين جديدتين، وسيتم الإعتماد الرسمي لها خلال أسبوعين.
12. تمت الموافقة على إقامة، من حيث المبدأ، مشاريع إسكان على أراضي الدولة.

وتابع بونديك: في حديث لرئيس غرفة التجارة الإسرائيلية بعد لقائه مع سعوديين وقطريين، أكد على ضرورة تشجيع التنمية الإقتصادية في الضفة والقطاع وذلك لإقامة إقتصاد إسرائيلي-فلسطيني موحد، بحيث لا تنشأ حواجز جمركية، وبحيث يتم التكامل بين الإقتصادين الفلسطيني والإسرائيلي.

وبهذه المناسبة فقد قامت لجنة من الكنيسة بزيارة قطاع غزة، ودعت بعد الزيارة إلى تغيير جوهري وليس تغييرا تدريجيا في الأوضاع الإقتصادية. واقترحت تقديم تمويل للإستثمارات من الخارج والأموال الفلسطينية من الداخل والموجودة "تحت البلاط".

وأخيرا -أضاف بونديك- أود أن أقول بأن التفكير في إسرائيل إزاء الضفة الغربية وقطاع غزة يمر في تغيير جوهري.

أبو علاء: إن عملية الأبعاد وضعت مسألة السلام على حافة الإنهيار. ومن المؤسف أن المجتمع الدولي مشغول بالأبعاد ولا يتابع المفاوضات. إن إرسال وفود للمفاوضات بشقيها الثنائي والمتعدد أصبح أمرا يكاد يكون مستحيلا، خاصة وأن تركيبة الوفود التي فرضتها صيغة مدريد تنشئ صعوبات، لأن الوفود تعيش تحت الإحتلال من جهة، ومن جهة أخرى يقفون تحت ضغط الشارع.

أما بالنسبة للموقف الأمريكي فإننا نشعر أن مسؤوليتنا متابعته، حيث يبدو كأن أمريكا تتملص من إهتمامها بالسياسة الخارجية وتركز على أوضاعها الداخلية، وهذا يعيد الأمور إلينا نحن الطرفين. إن أمريكا لن تكون ضدنا، بل ستؤيدنا لأنها سترتاح من مشكلة معقدة، لذا فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو مدى جديتنا نحن في الوصول إلى إتفاق.

إن الوصول إلى إتفاق حول "إعلان مبادئ" يشكل إختراقا كبيرا، إذا أردنا أن ننظر إلى المستقبل والتعايش والإستقرار. لذلك فإن الإتفاق هو عملية تعبئة للرأي العام تعيد للأذهان أجواء مدريد. قد لا نستطيع من خلال مفاوضات واشنطن الوصول إلى ذلك، لكن عبر القنوات الخلفية قد نصل، ولذلك بلا بد أن تأخذ هذه القناة مصداقيتها. نحن نتحدث -كلانا- بصراحة تامة، فإذا لم نكن مدعومين من القيادتين تصبح الآمال ضعيفة. ولكن لا بد أن يكون حديثنا بلا حدود ولا خطوط حمراء. لذلك فإني أخشى ما أخشاه أنه إذا لم تكن القيادة الإسرائيلية على إطلاع كامل، فإن لقاءاتنا ستكون مضيعة للوقت. لقد حان الوقت لكي تعطي هذه القناة ما تستحق من عناية ومتطلبات النجاح. ويمكن أن يتفرع عنا قنوات فرعية لمواضيع مختلفة. لقد سمعنا

ما قاله رابين بأنه يمكن أن يستغرق الإتفاق مع الفلسطينيين من خمس إلى عشر سنوات. أرجو أن تعرفوا أنه لا سلام بدون السلام مع الفلسطينيين لأن المشكلة الفلسطينية هي أساس الصراع في منطقة الشرق الأوسط.

لقد تحدث "بونديك" عن وقف الدعم أو تخفيضه بالنسبة للمستوطنين. نحن نعتقد أن أهم خطوات بناء الثقة تنطلق من وقف العملية الإستيطانية. نحن لا نطلب إعلان ذلك.

يانير هيرشفيلد: يوجد تفاهم حول إحراز تقدم في اللقاء الماضي، وقد تمكنا أن نفهم منكم رسالتين:

- أنتم تريدون عملية سلام، ولكن في نهاية المطاف لن تنشأ دولة الآن، وإنما تترك للتطورات اللاحقة. كما أن دور المنظمة سيكون مباشرا وعلنيا بعد سنوات.
- إنكم تتفهمون الصعوبات التي نواجهها، وإنكم على إستعداد لإبداء بعض المرونة لإنجاح العملية، الأمر الذي يعني أنكم على إستعداد للنزول تحت الماء ثم الصعود تدريجيا في فترة لاحقة.

أبو علاء: أرجو أن أؤكد على أنه سينشأ مجلس فلسطيني مؤقت عن السلطة الفلسطينية الإنتقالية، ومن المفهوم أن الترتيبات الإنتقالية تمثل جزءا لا يتجزأ من العملية بمجملها والمؤدية إلى تطبيق القرارين 242 و 338. كذلك فنحن نرى أن الإنتخابات يجب أن تكون مباشرة حرة وعامة وتجري تحت إشراف دولي، ويشارك فيها جميع الفلسطينيين من الضفة والقطاع وفقا للسجلات السكانية كما كانت في سجل 4 يونيو/ حزيران 1967 بما في ذلك القدس الشرقية.

يانير هيرشفيلد: بالنسبة للإشراف الدولي على الإنتخابات، فقد قال بيريز لفيصل الحسيني بأن الإنتخابات التي جرت عام 1976 كانت عادلة وكانت نتائجها إنتخاب رؤساء بلديات موالين للمنظمة. ومن

جهة أخرى فإن وجود الصحافة الدولية كاف. فعلى سبيل المثال، أعتقد بأن "بربارا والترز" أكثر أهمية من جيمي كارتر. أما الإشراف الدولي على الإنتخابات فإنه سيفسر على أن وضعنا مثل وضع الفيليبين. وفيما يتعلق بسجلات 4 يونيو/ حزيران 1967، فلا تتوقع منا ان نقبل وجهة نظركم. أما بالنسبة لمشاركة القدس في الإنتخابات، فأرجو أن تفهموا أن موضوع القدس مفتوح للنقاش. ولكن نرجو أن تبدأوا ببحثه بعد الإنتخابات.

أبو علاء: رسالة التطمينات الأمريكية أكدت على مشاركة سكان القدس.

يانير هيرشفيلد: إذن.. خذوا موضوع مشاركة القدس من الأمريكيين مباشرة وليس منا. إذا تصورنا وضعا تقوم فيه حكومتنا بالموافقة على مشاركة سكان القدس في الإنتخابات فإنها تسقط حتما. نحن نعتقد أننا يجب أن نصل إلى ترتيب تتمكن فيه القيادات الفلسطينية في القدس من أن تنتخب وعلينا أن نرتب ذلك بطريقة يمكن تمريرها بدون نشوء معارضة إسرائيلية قوية لها.

أبو علاء: لا نستطيع التوصل إلى أية إتفاقية حول إعلان المبادئ بدون ذكر القدس.

رون بونديك: كيف يمكن أن نمرر موضوعا كهذا على حزب شاس؟ عليكم أن تدركوا أن بإمكان شاس أن تسقط الحكومة إذا ما انسحب منها. ولذلك فإن مشاركة القيادات الفلسطينية المقدسية يمكن ترتيبها من خلال رام الله أو غيرها. إن هذه المسائل الإجرائية بالغة الحدة. وهناك قانون إنتخابي يقول "التصويت من أقرب مكان متاح". وبمجرد أن نعمل وفق إقتراحكم بأن المشاركة في الإنتخابات ستكون وفقا لإحصائيات 1967/6/4 فإن ذلك سيفجر الحكومة حول قضية القدس.

أبو علاء: نطرح مسألة أخرى وهي نطاق السلطة، حيث أنها قضية مفصلية وبالغة الأهمية. هذه الولاية يجب أن تشمل جميع

الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967، مع إستثناءات إدارية لكم خلال الفترة الإنتقالية.

يانير هيرشفيلد: إن موضوع الولاية الكاملة على الأض، مسألة غير ممكنة على الإطلاق خلال المرحلة الإنتقالية، لأنها تخص المرحلة النهائية.

أبو علاء: نحن نفهم أن المرحلة الإنتقالية ضرورية لبناء الثقة بيننا تمهيدا لتحقيق السلام في الوض النهائي. ولكن لأن نقبل عدم وجود نطاق للسلطة على الأرض في المرحلة الإنتقالية.

يانير هيرشفيلد: لقد تحدثنا عن إنشاء سلطة للأراضي خلال المرحلة الإنتقالية. هذه السلطة ستتولى الإشراف على أراض يتفق عليها. أما نشر الولاية على جميع الأراضي فهو أكثر الموضوعات صعوبة لانه يقودنا إلى معالجة موضوع المستوطنات والقدس الشرقية، فلنبدأ بما هو ممكن. أما فيما يتعلق بالوضع النهائي فإن مفاوضاتنا سوف تنحصر في موضوع واحد. نحن نقول: إنسحاب من أراض .. وتقولون أنتم إنسحاب من الأراضي. هذا هو موضوع الحل النهائي، وبالتالي فإنه لا يمكن الإتفاق عليه الآن. إن إقتراحكم بنشر الولاية على جميع الأراضي المحتلة عام 1967 يعني إفتراض الإتفاق من الآن على موضوع مفاوضات الوضع النهائي.

وفما يتعلق بالإنسحاب من غزة، نود أن يبدأ الإنسحاب مع بدء المفاوضات حول الوضع النهائي. وبالنسبة للتحكيم فهذا موضوع بالغ الصعوبة. إذا فتحنا المجال للتحكيم فستتوقف المفاوضات، وذلك عندما تحيلون كل قضية نختلف عليها إلى التحكيم. ينبغي للتحكيم إذا ما قبل به أن يكون محصورا بشكل واضح بقضية أو قضيتين على الأكثر.

ويختتم هيرشفيلد كلامه بالحديث عن المستوطنات فيقول: لقد قمنا بإعداد تعهدات كتابية يوقع عليها المستوطنون بحيث تنحصر مطالبتهم بالتعويض عن مساكنهم، في حالة خروجهم منها، بالتكلفة الفعلية التي

تكبدتا الحكومة لإنشاء تلك المنازل في المستوطنات، وذلك تجنبا لتكرار تجربة تلك التعويضات التي طالب بها وحصل عليها المستوطنون لدى إنسحابهم من مستوطنات سيناء.

الجولة الثالثة 20/3/1993:

ركزت الجولة الثانية على مواضيع أساسية في إعلان المبادئ، مثل المرجعية والمجلس والإنتخابات والقدس والولاية الجغرافية والحديث عن الإنسحاب من غزة وكذلك التنمية الإقتصادية، وبهذا بدأت تبرز معالم النقاط الأساسية لإعلان المبادئ. وقد فتحت الأبواب لوضع مسودة أو أكثر لهذا الإعلان. وهكذا فإن جولتين فقط كانتا كافيتين لوضع النقاط على الحروف والدخول إلى صلب الموضوع دون إضاعة الوقت بالشكليات التي صرف من أجلها ساعات طويلة وأياما أطول دون طائل.

كان هم وفدنا أن يتأكد من أن هذه القناة تحظى بدعم الحكومة الإسرائيلية لسببين، أولهما هو الإطمئنان إلى أن الحديث مع هؤلاء الإسرائيليين ليس عبثا والثاني ضبط الإتصالات لأن هناك محاولات كثيرة، أشرنا إليها في أماكن أخرى، لفتح قنوات حوار معنا، وبالتالي إلغاء أية محاولات من طرف إسرائيليين آخرين للتحدث معنا عبر قنوات جديدة.

فيما عبر الطرف الإسرائيلي عن سعادة المسؤولين برسالة السلام التي حملها وفدنا وقرأها عليهم. تحدث الإسرائيليون عن قرب تحقيق نقطة تحول جدية تنقلنا من حالة العداء إلى حالة الصداقة والتعاون. وأكدوا على أن الأولوية لديهم هي للمسار الفلسطيني ثم المسار السوري ليكون للسلام قدمان يساند أحدهما الآخر، مشيرين إلى أن دخول سورية إلى السلام سينهي المعارضة الفلسطينية المتمركزة في دمشق. وتحدثوا عن دور الولايات المتحدة وزيارة كريستوفر إلى القدس ومفاوضاته مع فيصل حول مسألة المبعدين، وقالوا: «إننا نشعر أنكم لم تستفيدوا من بعض الفرص المتاحة أمامكم» فعلى سبيل المثال كان كتاب الدعوة الموجه من الراعيين للمشاركة في المحادثات الثنائية للجولة التاسعة القادمة يشتمل على نص واضح بخصوص قراري مجلس الأمن 242 و 338، وكان بإمكانكم الإستفادة من ذلك بطريقة أفضل، لقد إرتكبتم خطأ في عدم إتمام الإتفاقية مع كريستوفر عندما جاء

إلى القدس. ونؤكد هنا على أننا أبلغناهم بشكل كامل من جانبنا حول قناتنا هذه، كما أبلغهم النرويجيون بشكل أقل تفصيلا. وبالنسبة للقدس فهناك جانبان في موقفنا، أحدهما سلبي، حيث أن حكومتنا شديدة الحذر بالنسبة لها ومن الصعب عليها ذكر كلمة القدس في أي مجال من مجالات التفاوض معكم. أما الثاني فهو إيجابي حيث بإمكاننا سويا أن ننسق معا من أجل إتخاذ إجراءات كثيرة لصالحكم في القدس، لأننا ندرك تماما أن علينا أن نتفاوض حولها. ومن الدلالات الهامة ما يتعلق بقصر الشرق. (الأورينت هاوس).

ويتابع الوفد الإسرائيلي حديثه، حيث يتناول موضوع الإتصالات الكثيرة التي بدأت تبرز من خلال مسؤولين إسرائيليين كثيرين يرغبون في فتح قناة مع منظمة التحرير. فأكد الوفد الإسرائيلي بأنه لا يمانع في الإتصال هذا ولكنه يرغب أن يتم التنسيق عبر قناة أوسلو. وهذا في الواقع رفض مهذب لفتح مثل هذه القنوات وإشارة واضحة إلى ضرورة عدم التعامل معها.

هذا وقد كان الوفد الإسرائيلي حريصا على الوصول إلى وثيقة متفق عليها لأنها ستحقق الإختراق المطلوب. وفي هذه الحالة فإنه يرى أن الولايات المتحدة ستتشجع للمشاركة. أما وفدنا فقد أكد على ضرورة مشاركة المصريين الذين بدأوا يطلعون أولا بأول عل الوثائق، وأن المطلعين منهم هما عمرو موسى وزير الخارجية والدكتور أسامة الباز مستشار الرئيس مبارك للشؤون السياسية. ثم عاد وفدنا يقول بأنه لا يمكنه التوقيع على أية إتفاقية دون النص على القدس. وهنا جرى الحوار التالي:

يائير هيرشفيلد: علينا أن نجد طريقة لتمرير ذلك (القدس).
وعلينا أن نجد لغة خاصة عند الحديث عن القدس.

أبو علاء: بالنسبة للقنوات الأخرى (المقترحة) فنحن سنركز إتصالاتنا الآن على هذه القناة، وكذلك يمكن تنسيق ما يتم في ندوات الأمن وغيرها عبر نفس القناة ومن أجل خدمتها.

يائير هيرشفيلد: بالنسبة للإنتخابات أريد أن أركز على دور الخارج، باعتبار أن الخارج هم شركاء المستقبل. ولتبدأ عملية عودة أشخاص من

الخارج وذلك للمشاركة في الإنتخابات القادمة. يمكن للقيادة أن ترشح أشخاصا من الخارج للعودة والمشاركة في الإنتخابات، وسيكون مما يساعد على تحقيق مصالحنا المشتركة عودة مرشحين أقوياء من جانبكم، على سبيل المثال يمكنكم إختيار ترشيح خمسة أشخاص ليصبحوا أعضاء في المجلس الإنتقالي مثلا: أبو مازن، أبو علاء.

أبو علاء: بالنسبة للإنتخابات من الضروري أن تشمل النقاط التالية:

- مشاركة جميع المواطنين المسجلين في الضفة والقطاع والقدس في 1967/6/4.
- مشاركة القدس (ترشيحا وانتخابات) ومن الممكن أن تتم الإنتخابات في الأقصى وكنيسة القيامة.
- الإشراف الدولي على الإنتخابات.

يائير هيرشفيلد: لا نستطيع أن نقبل بالإشراف الدولي، يمكننا أن نضمن إنتخابات حرة كما تعرفون من تجربة 1976 نحن نفضل أن يكون هناك إشراف فلسطيني مستقل على الإنتخابات. وإصراركم على المواطنين المسجلين في 1967/6/4 مثلا، قد يكون أبو مازن غير مسجل في الإحصائيات.

أبو علاء: في مجال المناقشة حول بند نطاق السلطة ما الذي تريدونه حقيقة؟ هل تريدون فترة إنتقالية لاختبار حسن النوايا؟ أم أنكم تريدون فرض الأمر الواقع والإلحاق؟ إذا كان الأمر كذلك فهذا سيدمر عملية السلام. ولن يكون هناك حل. ولا أحد يستطيع أن يتنبأ بطبيعة المتغيرات القادمة ومخاطرها. ولن يكون هناك سلام حقيقي دون حل مرض للفلسطينيين. وإذا كانت حساباتكم الأمنية بأن الجيوش هي التي تشكل خطرا، فنحن في المعدة الإسرائيلية وهذا خطر لا يقل عن المخاطر من الجيوش العسكرية.

يائير هيرشفيلد: إن حدود السياسة الإسرائيلية اليوم هي الخط الأخضر. وهذه الحكومة لا تريد الإلحاق. في مواضعات الوضع النهائي،

سيتم تقرير حدود آمنة ومعترف بها، والتي ستشمل تغييرات في بعض الأراضي. هذا هو القرار 242 أب "الأرض مقابل السلام" فإذا قمنا بتوقيع إعلان مبادئ مثلا في يوليو/ تموز 1995. وسيكون موضوع المفاوضات نظاما جديدا كاملا في منطقة الشرق الأوسط بما في ذلك خيار الكونفدرالية. هذا وأن الإنسحاب من غزة سيعطيكم ما تريدون. فبإمكان كل من هم في تونس الإنتقال إلى غزة. وبهذه المناسبة فإن تقديمكم لمخططات المشروعات الإقتصادية في الضفة، فإنه سيكون بإمكانكم الحصول على مزيد من الأراضي ضمن نطاق السلطة، مثل مشروع قناة البحر المتوسط- البحر الميت.

إننا ننتقل من حالة سيطرتنا الكاملة على الأراضي إلى حالة جديدة، يمكنكم فيها ممارسة السيطرة على جزء منها وممارسة حق الفيتو على الجزء الآخر، وترك الجزء الثالث تحت السيطرة الإسرائيلية (المستوطنات) ليتم التفاوض عليها في مفاوضات الوضع النهائي.

إنتهت الجولة هذه باستعراض للوثيقة التي أعدت لتكون مشروع إعلان مبادئ، وبعد إستعراضها ختم يائير هيرشفيلد أقواله بأنه سيعود إلى إسرائيل حاملا تلك الوثيقة، ويتوقع إحتمالات ثلاثة:

- إما أن يقولوا له أن ما يحمله ليس مقبولا من قبل الحكومة، وأنه يجب وقف هذه القناة.
- وإما أن تتم الموافقة مائة بالمائة على الوثيقة.
- أو أن يقولوا بأن الوثيقة بحاجة إلى بعض التعديلات، وأنهم يدركون بأن الإتصال مع المنظمة، يؤدي إلى نتائج إيجابية ومشجعة، وبالتالي فسيطلبون منه مواصلة العمل على تحسين الوثيقة عبر هذه القناة.

في نهاية المحضر، كتب وفدنا ملاحظات مختصرة حول موقف الإسرائيليين والنرويجيين والأمريكان. وقد جاءت هذه الملاحظات على النحو التالي:

الطرف الإسرائيلي:
هذه الوثيقة معدة من السيد شمعون بيريز شخصيا (الوثيقة التي أحضرت معهم قبل التعديلات).

- رابين على إطلاع ولكنه ليس على إطلاع بكامل التفاصيل.
- طاقم الخارجية المختص والمعني فقط متبن تماما لهذه القناة الخلفية وداعم لنتائج أعمالها.

لقد أثبتت منظمة التحرير الفلسطينية أنها شريك مؤهل.

- نتوقع ولا نعارض عودة القيادة الفلسطينية من تونس إلى القطاع.
- بالنسبة للإنتخابات القادمة للمجلس الإنتقالي، سنسهل عودة عدد من قياديي الصف الأول من تونس للمشاركة في الترشح للإنتخابات. لا بد من التنسيق بينهم وبين المصريين لرفع الحصار عن المنظمة.
- تخفيض المدة المشار إليها سابقا للإنسحاب من غزة إلى نص (مدة سنتين كحد أقصى من تاريخ توقيع هذا الإتفاق).
- للمرة الأولى، يزداد النقاش بينهم بلغتهم، وللمرة الأولى كذلك تقطع المحادثات للإتصال مع مسؤوليهم.
- أعربوا عن إهتمامهم الكبير بأهمية (رسائل السلام) من أبي عمار شخصيا، سواء في تصريحاته الصحفية أو في لقاءاته مع بعض الشخصيات من طرفهم.
- سيقدمون في اللقاء القادم وثيقة حول تصورهم لترتيبات إنسحابهم المبكر من غزة وكذلك مقترحاتهم لفترة ما بعد الإنسحاب والتي تشمل: الأمن، قوات الوصاية والقوات المتعددة الجنسية والإجراءات الإقتصادية الفورية المطلوبة لعملية البناء الإقتصادي وتنقل البضائع والأفراد، لخلق حالة إستقرار وتنمية تخدم السلام.
- سيتم تشكيل مجموعات عمل لكل بند وكل مادة عبر نفس القناة وبرعايتها ودعمها المادي. أعربوا عن إهتمامهم باطلاع مصر وسيسافر رئيس وفدهم إلى القاهرة الأسبوع القادم.
- سيعرض هذا الإتفاق على الحكومة المصغرة في إجتماعها القادم لإعطاء التفويض الكامل لهذه القناة ومناقشة المشروع.

الطرف الأمريكي:

- هم على اطلاع بهذه القناة على مستوى وزير الخارجية الذي عبر عن إهتمامه وتشجيعه.
- درست الوثيقة تفصيلا مع دان كيرتزر.
- سيتحادث نائب وزير الخارجية هاتفيا يوم الثلاثاء عبر الخط الساخن من السفارة الأمريكية مع الإدارة الأمريكية.
- سيتوجه مندوب من وزارة الخارجية النرويجية إلى واشنطن يوم الثلاثاء حاملا الوثيقة الأخيرة، وذلك بناء على دعوة خطية من وزارة الخارجية الأمريكية.

الطرف النرويجي:

- تبذل جهود كبيرة من قبل وزير الخارجية ونائبه وشخصين آخرين من الوزارة لتأمين كل التسهيلات والدعم اللازم لهذه القناة.
- هم على إتصال دائم مع الطرف الآخر ومع الخارجية الأمريكية معنا.
- عبروا عن إستعدادهم لاستضافة وتمويل كل متطلبات وعمل الفرق المتخصصة لإعداد التقارير والدراسات والأبحاث والخطط اللازمة، والتي ستلحق بهذا الإتفاق.
- أعربوا عن تفاؤلهم الكبير هذه المرة بنجاح هذه القناة.
- تصورهم لعملية الإخراج بعد إعتماد الوثيقة بشكلها النهائي من الطرفين، إن تقدم عملية الإخراج من قبل الأمريكان، وتصورهم كذلك أن هذه هدية ثمينة تقدم لإدارة كلينتون.

وما بين الجولتين الثالثة والرابعة جرت إتصالات بيننا وبين النرويجيين حول مسيرة المفاوضات في قناة أوسلو. وقد سجلنا الرسالة الهاتفية التالية التي وردت من تيري لارسون يوم 1993/4/12 وجوابنا عليها.

إتصال تلفوني من نائب الوزير النرويجي تيري لارسون (1993/4/10).

- عقد مندوبنا إجتماعات مع بيريز وبيلين بالأمس.
- رابين إلتقى عدة مرات مع بيريز لمناقشة الإتفاق.
- قال رابين أن هذه القناة هي أهم حدث، وأن المفاوضين هم الآن مفوضون تماما.

- يمكن إعتبار الإتفاق إطارا مقبولا تماما.
- في لقاء 4/20 سيقترحون جزءا من هذه الإتفاقية، وسوف ترون بعض الجمل والنصوص مأخوذة من هذا الإتفاق.
- لدينا الآن مستند هام جدا.
- يريدون إستمرار هذه القناة ويقترحون اللقاء يوم 4/25.
- رابين وبيريز يعترفان أنكم أهم شريك.
- إلتقوا بالأمريكان وبحثوها معهم بالتفصيل، وهم يشعرون بأهميتها ويعتبرونها القناة الأهم (Crucial).
- يرغبون أن تظل أوسلو هي القناة.

ردنا على الإتصال التليفوني:
- نبذل جهودا للمشاركة في المفاوضات يوم 4/20 رغم الصعوبات والعراقيل.
- نرجو ألا يشار إلى هذا الموضوع أو لأي من بنوده إلى وفدنا المفاوض.
- إقتراح أن يتم اللقاء يوم 15-4/16 للتوقيع بالأحرف الأولى.
- نتفق بعدها على طريقة الإخراج.

الجولة الرابعة 30/4/1993:

في كل جولة كان النرويجيون يغيرون أماكن الإجتماعات، بحيث قلما يحصل أكثر من لقاء في مكان واحد. فبعد أن كانت الإجتماعات في ساريسبورغ إنتقلت في هذه الجولة إلى هولين كولين بارك. وهو مكان منعزل بعيد عن الناس، يعيش فيه الوفدان في مكان واحد، تحيط به غابة واسعة. وقد فرض هذا الوضع على الوفدين ليبقيا معا ساعات العمل وساعات الراحة، وكان مهما جدا أن يقضيا ساعات الراحة معا لأنها الوقت المناسب للحديث بحرية وصراحة وحميمية.

يائير هيرشفيلد: لقد بدأنا هذه القناة منذ لقائنا في لندن، وكانت في ذلك الوقت مبادرة خاصة تستند إلى مفهوم أساسي وهو البحث فيما يمكن تحقيقه من خلال الإتصالات المباشرة، ويمكن القول أنه قد تحقق الكثير، فقد باركتها الولايات المتحدة، وحصلتم على الدعم المصري، وحققنا قدرا كبيرا من مباركة رابين لمواصلة العمل من خلال هذه القناة.

إن أكثر ما يثير إهتمامكم هو إغلاق قطاع غزة. ولكن هذا الأمر يفيدنا إلى حد كبير في مواجهة الليكود. ذلك إن الإغلاق يخلق شرعية الفصل. وهكذا فنحن الآن نحقق أمرين. شرعية الفصل وشرعية الحوار مع منظمة التحرير. ولكن لا بد من تحقيق تقدم سريع في المحادثات لأن رابين يتعرض إلى هجوم قوي، وهو في نظر البعض قدم تنازلات أكثر مما يجب. وأرجو أنكم لاحظتم خطابه الشجاع يوم الإستقلال حيث قال: «يجب أن يكون اليهود قادرين على زيارة جميع الأماكن المقدسة لديهم حتى ولو كانت تحت سيادة الآخرين» ثم واصل حديثه: أنا أتحدث عن سيناء.

أبو علاء: نحن مؤمنون تماما بهذه القناة ولدينا الدعم الكافي من المطبخ، ونحن حريصون على نجاحها بأسرع مما تتصورون. كذلك نحن حريصون أيضا على سريتها المطلقة. إلا أننا فوجئنا بأن ستيف كوهين مطلع على الموضوع ويتحدث عنه بشكل أحرجنا. بخاصة وأنه تحدث لأشخاص لا علاقة لهم بالموضوع لا من قريب ولا من بعيد. وبهذه المناسبة أتساءل هل القناة المفتوحة مع فيصل وزياد أبو زياد من جهة وأفرايم سنيه من جهة أخرى معتمدة لديكم؟ نريد وضوحا وصراحة.

نقطة أخرى أريد أن أوضحها، وهي أننا إتفقنا على أن لا يتم طرح أية قضايا على طاولة المفاوضات في واشنطن قبل أن نتفق هنا عليها. ولذلك وجهنا وفدنا هناك لكي يتحدث عن قضايا عامة لإتاحة الفرصة لإنهاء نتائج أعمالنا باتفاق.

بالنسبة للإنسحاب من غزة حسب تصريح رابين وتثبيتها هنا في إتفاقنا، فإننا بعد دراسة هذا الأمر، وبعد دراسة قياس دقيق لردود الفعل في الضفة ولدى الآخري، فإننا نرى ضرورة تلازم الإنسحاب من غزة بانسحاب آخر في الضفة الغربية، وحتى لا يشعر سكان الضفة بأن الأمور تسير ضد مصالحهم ورغباتهم لصالح غزة فقط. بخاصة وأنكم تعرفون معنى وسحر كلمة الإنسحاب في نفوس المواطنين، ولذلك نقترح عليكم إنسحابا آخر من أريحا.

يائير هيرشفيلد: إن قناتنا هذه بدأت بدون تحديد مفهوم لعملها، في لندن إلتقيت دان كيرتزر الذي قال لي: «يوجد أمامكم طريقان،

المنظمة من جهة وفيصل وحنان من جهة أخرى، ومن الضروري جدا خلق قنوات خلفية في كل مكان مع المنظمة ومع القيادات المحلية المختلفة.

نحن بطبيعة الحال سرنا في هذه القناة بخطوات متسارعة، ونحن نعمل على توسيع دائرة الأشخاص المقتنعين بها. ولكن علينا أن نفهم بأن إستراتيجية رابين والولايات المتحدة، تنطلق من أن تبدأ بحذر شديد من حيث إنتهى الليكود، ثم نتحرك تدريجيا لإحداث التقارب، إلا أنهما أيضا يريان أنه لا بد من أن تستمر قوة الدفع بقناة واشنطن لمدة أخرى لإحداث التقارب بين الطرفين، ولذلك نحن بحاجة لأن تكون مشاركتكم في واشنطن إيجابية وأن يلتزم وفدكم بحضور اللجان وإظهار الجدية ولو بالإستماع فقط ولمدة أسبوعين حتى نكون قد أنجزنا هنا الكثير.

نقطة أخرى أود أن أثيرها وهي أن نبدا الحديث معكم حول مفاهيم الوضع النهائي، وفي هذه الحالة يمكن التوصل إلى وثيقة يتم توقيعها في مرحلة لاحقة، ويمكننا أن نمحور النقاش حول مفهومين:

1. الكونفدرالية الأردنية- الفلسطينية.
2. نموذج ثلاثي (البينو لوكس).

كذلك أود الحديث عن تفاهمنا حول الظهور التدريجي للمنظمة بشكل مباشر. علينا الحديث عن كيفية مشاركتكم في الإنتخابات وتسمية الأشخاص من قبلكم، وكذلك حول توقيت إنتقال مؤسساتكم من تونس إلى غزة، إن وثيقة الوضع النهائي إذا تم الإتفاق عليها وتوقيعها تضع أساس تشكيل الكيان الفلسطيني .. ويصبح إتفاق أوسلو جزءا من إتفاق عام.

أبو علاء: إنني أسمع لغة جديدة، تنم عن عدم الرغبة الآن بإنهاء الوثيقة التي بين أيدينا والتوقيع عليها، وذلك بالبحث في مواضيع أخرى تبدوا كأنها هروب إلى الأمام.

يائير هيرشفيلد: نحن لم نتفق تماما بعد، لقد قمنا بتطوير الوثيقة هنا، ومن الممكن أن تستكمل في واشنطن. لأننا بصراحة بحاجة

إلى مزيد من التفكير حولها وبحاجة إلى مشاركة دائرة أوسع من جانبنا.

أبو علاء: إلى متى سننتظر؟

هيرشفيلد: في لقاء أسامة الباز مع رابين. قال الباز أنه لا يمكن للفلسطينيين أن ينتظروا إلى مالا نهاية. فسأله رابين كم المدة التي تراها؟ فأجاب الباز: "ستة أسابيع" فقال رابين. نحن بحاجة إلى وقت أكثر لترتيب أوضاعنا الداخلية. وأعتقد بأنه يمكن وضع سيناريو للعمل خلال الأسابيع الستة القادمة عبر المراحل التالية:

- **الأسبوعان القادمان**، نتحرك في إتجاهين:

الأول: يواصل الوفد المحادثات في واشنطن بدون تصعيد ولو عن طريق الإستماع والإبتسام فقط.

والثاني: نحن بحاجة إلى أسبوع أو عشرة أيام لمناقشة الوضع من جانبنا في إسرائيل، حول بعض نقاط الإتفاقية، ونلتقي هنا لاستكمال الإتفاق بصيغته النهائية.

- **الأسبوعان التاليان**: تعرض الإتفاقية على الأمريكان بصيغتها النهائية، وتخلق في واشنطن وضعا يدعو إلى المشاركة الأمريكية المباشرة والفاعلة.

- **الأسبوعان الأخيران:** يطرح الأمريكان الوثيقة في واشنطن كحل وسط ويتم التفاوض عليها لمدة أسبوعين.

أبو علاء: من الصعب علينا الإنتظار كل هذه المدة في ظل الأوضاع الفلسطينية السائدة حيث يقوى التيار المتطرف، وتزداد الأوضاع تدهورا داخل الأرض المحتلة.

الجولة الخامسة 1993/5/8:

تمت هذه الجولة في قصر الضيافة التابع للحكومة النرويجية والقريب من القصر الملكي. جريا على العادة بتغيير أماكن الإجتماعات حتى لا يلفت تواترها أنظار أحد إليها.

بدأ هيرشفيلد اللقاء بإعادة الحديث عن مراحل تطور القناة الخلفية بقوله أنها تبدأ بجمع المعلومات ثم بالوصول إلى التوافق، وبعد ذلك الحصول على تفويض رسمي وبعدها الشرعية، وأخيرا بالوصول إلى الإنجاز والإختراق. وأشار إلى أن هذه القناة وصلت إلى التفويض الرسمي وبحاجة إلى إستمرار باقي الخطوات. ومن جهة الطرف الإسرائيلي فإن المناقشات قائمة هناك حول مشروع إعلان المبادئ لاستكماله، ولكن هذا لا يعني أن الوفد قد حصل على الشرعية. وهنا سأل أبو علاء عن مشروع غزة- أريحا، فقال هيرشفيلد:

هذا المشروع طرحه مبارك على رابين، وعندما سمع رابين مثل هذا الإقتراح عاد متشائما بعد أن بدأ زيارته متفائلا، ولكن أريد أن تكون الأمور واضحة فيما لو وافقنا على هذا المشروع، بأن السيطرة الكاملة على الجسور لنا. ومن الممكن أن نتفق على مشروع غزة- أريحا أولا ثم نبحث موضوع إعلان المبادئ. ولا بد لنا من بحث النقطتين الخلافيتين وهما القدس والتحكيم. وعلى ذلك نقترح أن نبحث الوثيقة هنا وأن نترك النقاط الخلافية إلى مراحل لاحقة، بخاصة وأن رابين أصبح يرى ضرورة الإتفاق معكم، بينما كان فيما سبق يتحدث عن أولوية الإتفاق مع سورية. والسبب في ذلك أنكم إستطعتم تأجيل الجولة في واشنطن لمدة أسبوع. أثبتم قوة موقفكم وأن سورية لا تستطيع الذهاب بدونكم. وبعد ذلك جرى الحوار التالي:

أبو علاء: غزة جزء من الإتفاق وبعد إقراره نستطيع التحدث في التفاصيل الأخرى.

يائير هيرشفيلد: إن مهمة هذه القناة هي دعم محادثات الثنائي والمتعدد، وليست بديلا عنها. إن رابين يريد أن يجرب أسلوبه في التفاوض في واشنطن، لأنه مقتنع بأنه سيحصل على أفضل مما يحصل عليه هنا. ولذلك علينا أن نبدأ تدريجيا.

الفصل التاسع

الوثيقة

لقد إنتهت الجولة الخامسة بعد أن وضعت وثيقة أو مسودة لإعلان مبادئ على ضوء المناقشات التي رأيناها في هذه الجولات. إلا أن الإسرائيليين حتى هذه اللحظة يتحدثون بلغة تخلو من الثقة الكاملة في هذه القناة، كما توضح بأنهم غير موافقين عليها وأنها لا زالت قيد الدرس. وفي نفس الوقت فإن التفويض الذي حصلوا عليه لم يصل إلى حد منحهم الشرعية في السير قدما في المفاوضات، لأن رابين لا زال مترددا وفي نفس الوقت مقتنعا بأن قناة واشنطن هي الطريق الأسلم والأضمن بالنسبة له، بالإضافة إلى أنه غير مؤمن تماما بأن مثل هذه اللقاءات يمكن أن ينتج عنها إتفاق. وإذا وصلت الأطراف إلى إتفاق فإنه يخشى أن لا تفي المنظمة بالتزاماتها وتوقع عليه. ومما لا شك فيه أنه غير مطمئن تماما إلى موافقة الأمريكان عليها، ناهيك عن أن قناة أوسلو هي قناة شمعون بيريز الذي لا يتوافق معه في كثير من القضايا.

من جهتنا نحن، فقد سرنا في قناة أوسلو بجدية تامة، لأننا من خلال المتابعة لكلا القناتين (أوسلو - وواشنطن) كنا نلاحظ الحديث في أوسلو، يأخذ طابعا واقعيا ويدخل إلى صميم الموضوع مباشرة دون الدخول في متاهات الشكليات. وكنا أيضا مستعدين للوصول إلى إتفاق والتوقيع على هذا الإتفاق، ولكن بقيت لدينا شكوك لم نفصح عنها، وهي أن المفاوضين الإسرائيليين لا يتمتعون بدعم حكومتهم، وأنهم جاءوا من أجل سبر الأغوار والنقاش لمعرفة النوايا الفلسطينية، وأنهم غير ملتزمين بأية كلمة يقولونها، لأنهم يستطيعون في النهاية أن يقولوا بأنهم غير مفوضين وأن حكومتهم رفضت مقولاتهم وسحبت غطائها عنهم.

وهذا هو المشروع (**إعلان المبادئ**) الذي وضع خلاصة للجولات الخمسة الأولى:

مبادئ لتفاهم إسرائيلي - فلسطيني:

إن المبادئ لتفاهم إسرائيلي - فلسطيني تتضمن الوثائق الثلاثة التالية DOP (إعلان المبادئ) و CWP (برنامج للتعاون والعلم) والخطوط الموجهة "لخطة مارشال".

I. مسودة لـ DOP (إعلان المبادئ):

1. إن هدف المفاوضات الإسرائيلية- الفلسطينية هو التوصل إلى إتفاق حول ترتيبات لإقامة سلطة حكم ذاتي إنتقالية فلسطينية، المجلس الإنتقالي الفلسطيني المنتخب، لفترة مرحلية تؤدي إلى تسوية دائمة على أساس قراري 242 و 338. من المفهوم أن الترتيبات الإنتقالية هي جزء لا يتجزأ من العملية بمجملها المؤدية إلى تطبيق 242 و 338.
2. لكي يتمكن الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة من حكم نفسه وفق مبادئ ديمقراطية، تجري إنتخابات سياسية عامة، حرة ومباشرة، تحت إشراف دولي سيتم الإتفاق عليها، ثلاثة أشهر بعد التوقيع على إعلان المبادئ هذا. أما الإتفاق على الشكل والشروط الدقيقة للإنتخابات وفقا لملحق رقم واحد المرفق، سينجز في وقت لا يتجاوز الشهر الواحد قبل الإنتخابات.
3. ستشكل الإنتخابات لإقامة المجلس الإنتقالي الفلسطيني خطوة تمهيدية إنتقالية ذات مغزى باتجاه تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومتطلباته العادلة.
4. ستغطي ولاية المجلس الإنتقالية أرض الضفة الغربية وقطاع غزة .w bank and gaza strip land مباشرة بعد التوقيع على إعلان المبادئ، ستبدأ الفترة المرحلية ذات السنوات الخمس. ستجري مفاوضات الوضع النهائي بين الحكومة الإسرائيلية والممثلين الفلسطينيين في أقرب وقت ممكن، ولكن بما لا يتعدى بداية السنة الثالثة من الفترة الإنتقالية، لتغطي جميع القضايا المتبقية، بما فيها القدس، اللاجئون، المستوطنات، الترتيبات الأمنية، السيادة، الحدود، وأية قضايا أخرى ذات الإهتمام المشترك.
5. مباشرة بعد التوقيع على إعلان المبادئ هذا، سيبدأ نقل السلطة من الحكومة العسكرية الإسرائيلية والإدارة المدنية الإسرائيلية إلى الفلسطينيين. سيكون نقل السلطة إلى اللجان الفلسطينية ذات طبيعة مؤقتة وتمهيدية، وسيتضمن السيطرة الفلسطينية على

الضرائب والسياحة والتعليم والصحة والشؤون الإجتماعية بالإضافة إلى مجالات أخرى متفق عليها.

6. من أجل ضمان التنمية والنمو الإقتصادي الأقصى، سيتم إنشاء لجنة أراض فلسطينية ولجنة إدارة مياه فلسطينية فورا ومع التوقيع على إعلان المبادئ هذا. ستعطى لجنة الأرض الفلسطينية ولجنة إدارة المياه الفلسطينية صلاحيات فورية وفقا لما يتفق عليه بشكل مشترك، وسيتم التفاوض على خطة تنمية منسقة للأرض وموارد المياه بين لجنة الأرض الفلسطينية ولجنة إدارة المياه الفلسطينية من جهة، وحكومة إسرائيل من جهة أخرى.
7. من أجل ضمانات الترتيبات الأمنية القصوى لفلسطينيي الضفة الغربية وقطاع غزة، سيقوم المجلس الإنتقالي الفلسطيني بإنشاء قوة شرطة قوية، مسؤولة عن الأمن الداخلي والنظام العام. ستتخذ الخطوات التمهيدية الضرورية لإنشاء قوة الشرطة الفلسطينية مباشرة بعد التوقيع على إعلان المبادئ هذا، بالإرتباط مع الفلسطينيين وإسرائيل ومصر والأردن.
8. من أجل تمكين سلطة الحكم الذاتي الإنتقالية، المجلس الإنتقالي الفلسطيني، من النهوض بالنمو الإقتصاد، سيتم إنشاء عدة مؤسسات بالتزامن مع تنصيبها، مثل سلطة أرض فلسطينية، وسلطة ميناء غزة البحري، وبنك التنمية الفلسطيني، ومجلس للنهوض بالصادرات الفلسطينية، وسلطة بيئية، وستتفاوض اللجان الفلسطينية مع حكومة إسرائيل حول الإتفاقات الضرورية ذات الصلة من أجل هذه المؤسسات.
9. سيخول المجلس الإنتقالي الفلسطيني بالتشريع لجميع السلطات وفقا لما يتفق عليه بشكل مشترك بإعادة النظر بجميع القوانين والأوامر العسكرية السارية حاليا.
10. سيتم إنشاء لجنة إرتباط إسرائيلية- فلسطينية وستتعاطى مع جميع قضايا الخلاف والإهتمام المشترك. سيتم التفاوض حول إتفاقات على التعاون والإرتباط، وستطبق على مستويات محترفة من أجل توفير الأمن والتفاهم المتبادل بين الطرفين.
11. سيتم التفاوض والإتفاق على المزيد من ترتيبات الإرتباط والتعاون بين حكومة إسرائيل وسلطة حكم الذات الإنتقالية الفلسطينية من جهة وحكومتي الأردن ومصر من جهة أخرى.

12. بعد التوقيع على إعلان المبادئ، ستبدأ مفاوضات إسرائيلية- فلسطينية حول إعادة تموضع القوات العسكرية الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة. وسيجري أول إعادة تموضع للقوات، عشية الإنتخابات للمجلس الإنتقالي الفلسطيني. وسيتم تنفيذ تدريجي لمزيد من إعادة التموضع المتفق عليه تماشيا مع الشروع بإجراءات أمنية أخرى (ستتم إضافة ملحق أمني). وفي وقت لا يتعدى نهاية السنة الثانية من الفترة الإنتقالية، ستنسحب القوات العسكرية الإسرائيلية إنسحابا كاملا من قطاع غزة، بروحية التطبيق الجزئي لـ 242 و 338. وسيكون الإنسحاب الإسرائيلي منسقا تنسيقا كاملا مع المجلس الإنتقالي الفلسطيني. الإنسحاب من قطاع غزة لا يقوض بأي طريقة من الطرق تطبيق المبادئ المتفق عليها في إعلان المبادئ هذا، فيما يتعلق بالضفة الغربية. بعد الإنسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة سيتم إنشاء وصاية (Trusteeship) وفقا للإتفاق بين حكومة إسرائيل وسلطة حكم الذات الإنتقالية الفلسطينية. "سيتفاوض الطرفان على إنسحاب جزئي مستقبلي من أريحا خلال ثلاثة أشهر من تاريخ التوقيع على إعلان المبادئ هذا، وفقا لمبادئ إعلان المبادئ هذا".
13. سيتفاوض الوفدان الإسرائيلي والفلسطيني حول إتفاق إنتقالي سيحدد آليات وجوهر نقل السلطة المرتقب.
14. سيتم إحداث لجنة تحكيم تحال إليها جميع القضايا الخلافية. ستتشكل هذه اللجنة فقط بناء على إتفاق الطرفين وراعيي مؤتمر مدريد. ستطرح القضايا على هذه اللجنة فقط لدى عدم تمكن الطرفين من التوصل إلى إتفاق بالتفاهم. يقبل الطرفان ضرورة التوصل إلى آلية للمصالحة والمساومة قبل الذهاب إلى التحكيم.

«سيوقع الراعيان كشهود على إعلان المبادئ وسيساعدا في متابعة تنفيذه».

سيتشاور الجانب الإسرائيلي فيما يتعلق بالمسائل الثلاث التالية:

I. ملحق مقترح حول شكل وشروط الإنتخابات:

1. فلسطينيو القدس لهم الحق في المشاركة في الإنتخابات كناخبين ومرشحين. سيصوت ناخبوا القدس في المسجد الأقصى وكنيسة القيامة.

2. جميع الفلسطينيين المرحلين (displaced) والذين كانوا مسجلين بتاريخ الرابع من يونيو/ حزيران 1967 لهم الحق في المشاركة في العملية الإنتخابية. ولن يتم الإجحاف بحقهم حتى إن لم يتمكنوا من المشاركة لأسباب عملية.
3. يجب أن يتم ترتيب إتفاقات بين الطرفين تغطي القضايا التالية:
   أ. النظام الإنتخابي.
   ب. عدد الأعضاء الذين سينتخبون للمجلس الإنتقالي الفلسطيني.
   ج. شكل الإشراف الدولي والتركيبة الفردية للهيئة المشرفة.
   د. القوانين والأنظمة المتعلقة بالحملة الإنتخابية بما في ذلك إتفاق حول تنظيم وسائل إعلام، وإمكانية الترخيص لمحطة بث إذاعية وتلفزية.
   ه. أية قضايا أخرى.

II. فقرة حول أريحا:
(تضاف إلى الفقرة 12)

III. دور الراعيين:
(تضاف إلى الفقرة 14)

IV. برنامج للتعاون والعمل الإسرائيلي - الفلسطيني (CWP):
سيترافق إعلان المبادئ الإسرائيلي - الفلسطيني مع برنامج للتعاون الإسرائيلي- الفلسطيني CWP متفق عليه ويتضمن:

1. برنامج لتطوير المياه مشترك يقوم بإعداده مهندسو مياه إسرائيليون وفلسطينيون، والذي سيحدد كذلك شكل التعاون الضروري لإدارة موارد المياه، في قطاع غزة والضفة الغربية، بما فيها وادي الأردن، وإعداد الدراسات والخطط حول حقوق المياه لكل طرف والإستفادة المنصفة لموارد المياه المشتركة من أجل التنفيذ في الوضع النهائي.
2. برنامج لتطوير الكهرباء، والذي سيحدد كذلك شكل التعاون الضروري لإنتاج وصيانة وشراء وبيع الموارد الكهربائية.
3. برنامج إسرائيلي- فلسطيني متفق عليه لتطوير الطاقة، والذي سيأخذ بالإعتبار مد أنابيب نفط وغاز، وإقامة مجمع صناعي بتروكيميائي في

قطاع غزة، والإستغلال المنسق أو المشترك للغاز والنفط وموارد طاقة أخرى (كالطاقة الشمسية، والزيت الحجري، إلخ).

4. برنامج تطوير مالي، وإقامة بنك تنمية فلسطيني.
5. برنامج لتطوير النقل والإتصالات، والذي سيحدد الخطوط الموجهة لإقامة منطقة ميناء غزة الكبير، وإنشاء منطقة تجارة حرة بين غزة وأسدود، وكذلك ستحدد خطوط إتصالات من وإلى غزة عبر إسرائيل ودول أخرى، وتتخذ الخطوات لتنفيذ البناء الضروري لطرقات وسكك حديدية.. وإلخ.
6. برنامج تنمية صناعية، ستأخذ بالإعتبار إقامة صناعة سيارات إسرائيلية-فلسطينية مشتركة في غزة والنهوض بمشاريع فلسطينية- إسرائيلية مشتركة أخرى، وتوفير الخطوط الموجهة لتعاون في صناعات النسيج والصناعات الغذائية والعقاقير والإلكترونيات والكمبيوتر وصناعات أخرى تقوم على العلوم.
7. برنامج لتنظيم علاقات العمل وخلق التعاون في قضايا الرفاه الإجتماعي.
8. خطة لتنمية الموارد البشرية، تأخذ بالإعتبار ورشات وحلقات دراسية إسرائيلية- فلسطينية مشتركة. إنشاء مراكز تأهيل مهني مشتركة ومراكز أبحاث وبنوك معلومات.
9. خطة لحماية البيئة، تأخذ بالحسبان إجراءات مشتركة و/ أو منسقة في هذا المجال.
10. برنامج وخطة أمنية متفق عليها.

V. الخطوط الموجهة لإعداد "خطة مارشال" للضفة الغربية وقطاع غزة والمنطقة

سيرفق إعلان المبادئ الإسرائيلي- الفلسطيني (DOP) وبرنامج التعاون والعمل (CWP) بمبادرة على غرار "خطة مارشال" من السبعة الكبار والدول الأخرى الأعضاء في منظمة التعاون والتنمية الأوروبية (OECD) وستلزم الدول السبعة الكبار والدول الأخرى الأعضاء في (OECD) المشاركة في المفاوضات متعددة الأطراف، بتحضير مبادرة خطة مارشال للضفة الغربية وقطاع غزة والمنطقة، والتي سيتم تنفيذها بعد الإنتخابات، وتنصيب سلطة حكم الذات الإنتقالي، المجلس الإنتقالي الفلسطيني. كما سيقوم الفلسطينيون بجمع مساعدات إضافية هامة من الدول العربية، وكذلك من المؤسسات العربية القائمة.

إن مبادرة "خطة مارشال" ستتألف من جزئين أولا. برنامج فلسطيني للتنمية الإقتصادية (PEDP) كأولية. وثانيا برنامج تنمية إقتصادية إقليمي (REDP).

أ. برنامج فلسطيني للتنمية الإقتصادية (PEDP):
ستدعم إسرائيل في المفاوضات المتعددة الأطراف برنامجا فلسطينيا للتنمية الإقتصادية، والذي سيشكل من ثلاثة أجزاء.

1. برنامج لإعادة التأهيل الإجتماعي.
2. خطة تنمية للأعمال الصغيرة والمتوسطة.
3. برنامج لتطوير البنية التحتية (المياه، الكهرباء،النقل والإتصالات، والموارد البشرية، والمؤسسات المالية، إلخ).

ب. برنامج التنمية الإقتصادية الإقليمي (REDP):
سيؤيد الطرفان برنامجا للتنمية الإقتصادية الإقليمية يقترح تنفيذ عدة مشاريع تنمية محورية:

1. إقامة صندوق تنمية شرق أوسطي وبنك شرق أوسطي لإعادة الإعمار والتنمية.
2. قناة البحر المتوسط- البحر الميت، وتنمية خطة إسرائيلية- فلسطينية- أردنية مشتركة، من أجل الإستغلال المنسق لمنطقة البحر الميت.
3. مصنع إقليمي لتحلية المياه وتوليد الطاقة.
4. ربط الشبكات الكهربائية.
5. التعاون الإقليمي من أجل نقل وتوزيع الغاز والنفط وموارد الطاقة الأخرى واستغلالها صناعيا.
6. خطة تنمية إقليمية للسياحة والنقل.
7. التعاون الإقليمي في مجالات أخرى وفقا لما يتفق عليه بشكل مشترك.

الجولة السادسة 1993/5/21:

حدث في هذه الجولة تطور إيجابي ومفاجئ، حيث أضيف إلى الوفد الإسرائيلي المشكل من يائير هير شفيلد ورون بونديك، شخص ثالث قدم نفسه على أنه أوري سفير مدير عام وزارة الخارجية الإسرائيلية. وقد جمعنا عنه معلومات،

عرفنا منها أنه من شباب حزب العمل اللامعين، وأن والده كان سفيرا سابقا لإسرائيل في الخارج وأنه تولى منصب قنصل عام في نيويورك ومسؤولا عن العلاقات مع اللوبي الصهيوني. كما عمل في سفارة إسرائيل في واشنطن، وأنه إستلم مهمته الحالية قبل أسبوعين فقط خلفا لـ «يوسف هداس»، وهو من المقربين لرابين وبيريز ويوسي بيلين، ولكنه أقرب للإثنين الأخيرين. إضافة إلى كل هذا فهو من دعاة السلام.

إن هذه الإضافة إلى الوفد الإسرائيلي أراحتني بشكل عام، فقد شعرت لأول مرة أننا أمام موظف رسمي إسرائيلي، لأن الإثنين الآخرين يقدمان نفسيهما على أنهما أكاديميان قريبان من السلطة.

لم نعتمد على ما توفر لدينا من معلومات عن أوري سفير، وإنما إتصلنا بعدة جهات منها وزارة الخارجية المصرية لنتأكد من صحتها، وقد أكد لنا الجميع أنه فعلا يعمل مديرا عاما في الخارجية وأنه قد عين حديثا في هذا المنصب.

لا بد لي أن أقول بأن تعيين أوري سفير لم يجعلني أطمئن تماما إلى حيثية الوفد الإسرائيلي، لأن المعلومات المتوفرة لديه والتي سمعناها أكثر من مرة، بأن رابين لا زال غير مقحم بشكل كلي في قناة أوسلو، وهذا يعني أنه يستطيع أن ينسفها في أي وقت. ولا زلنا نذكر إتفاق لندن (حسين - بيريز) 1986 الذي نسفه شامير والأمريكان عندما إطلعو عليه. ومع ذلك فلم يكن أمامنا خيار إلا أن نستمر في قناة أوسلو ونعطيها كل الإهتمام والدعم، ولن نخسر شيئا إذا حصلت امور لا نتوقعها، أو وقعت مفاجآت من الطرف الإسرائيلي.

وصل أوري سفير إلى باريس، وقام بمهمة رسمية شكلية لمدة يوم واحد، ثم أبلغ سفير إسرائيل في باريس، بأنه سيقضي يومين إضافيين بصفة غير رسمية، وأنه لن يكون بحاجة إلى أحد من السفارة لمرافقته أو مساعدته، ثم غادر باريس سرا إلى أوسلو وترك متاعه في غرفته في الفندق، حتى لا يلفت الإنتباه إلى غيابه، وبعد ذلك عاد إلى باريس وكأن شيئا لم يكن وغادرها إلى تل أبيب.

إن تصرف أوري سفير هذا يدل على حرص كبير على سرية القناة وإبعادها عن أنظار الجميع، بما في ذلك سفارة إسرائيل في باريس أو أوسلو، وبالتالي بقيت القناة محصورة في نطاق ضيق بعيدة عن الدبلوماسية الإسرائيلية في أوروبا.

في هذا المحضر ننقل ما قاله أوري سفير:

- قيادتنا تتابع هذه القناة وحريصة على سريتها، ولكنها ليست بديلا لواشنطن.
- لم نكن نتصور أن نبدأ بهذه السرعة مباحثات رسمية مدعومة من القيادتين دون وسيط.
- أبدى إعجابه بأسلوب قناة اوسلو في إتباعها المنهج الشمولي مع القضايا وتجنب التركيز على القضايا الفنية.
- أكد على أن عامل الزمن هام على إعتبار أن التقدم البطيء يعني التراجع إلى الخلف، ولذلك لا بد من السرعة للوصول إلى سلام شامل مع الفلسطينيين.
- إنتقد بعض الوسطاء الذين رغم إخلاص القلة منهم، إلا أنهم يسعون وراء مصالحهم.
- أشار إلى أن الأمريكيين وبعض العرب حذروهم من المنظمة ونصحوهم بعدم التحاور لعدم مصداقيتها ولأنها تعطي الوعود وتتراجع عنها.

عرض سياسة حكومة العمل الجديدة بنقاط:

1. وقف 90% من النشاط الإستيطاني.
2. وقف الإعانات بمئات الملايين من الدولارات للإستثمار في المستوطنات.
3. الإفراج عن بعض المعتقلين وإعادة بعض المبعدين.
4. رغبة الحكومة العمالية في حل القضية الفلسطينية وعدم الرغبة في التحكم بمصير شعب آخر.

قال: لدينا مخاوف مستقبلية، كما لديكم، مما يدفعنا كلينا للموقف الدفاعي. إلا أن إسرائيل المحاصرة تظل لديها مخاوف أكبر، بخاصة وأن

خارطتها غير مستقرة، وأي صراع في المنطقة يؤذيها ولو لم تكن طرفا فيه، مشيرا إلى العراق وإيران.

- لا تريد إسرائيل أن تبقى في حصن مغلق ولكن بحاجة إلى ضمانات أمنية.
- الديمقراطية في المنطقة بشكل عام ولدى الفلسطينيين بشكل خاص إحدى ضمانات إسرائيل الأمنية.
- لا حاجة بنا نحن الطرفين لتدخل الأمريكان، والدليل الأوراق التي قدموها في الجولة التاسعة والعاشرة في واشنطن.
- أشار إلى أن النقاط الخلافية القائمة هي حول القدس والتحكيم وأريحا.
- تساءل حول قدرة المنظمة على تطبيق الإتفاق، حيث أن لديهم مخاوف، وبالذات رئيس الوزراء رابين، الذي يقارن بيننا وبين الأسد الذي إذا إلتزم تقيد ونفذ.

الجولة السابعة 1993/6/13:

دخلت المفاوضات مرحلة جديدة في هذه الجولة، حيث إنضم إلى المفاوضين شخص رابع هو يونيل زينغر، وقد لاحظ وفدنا من حديثه وحديث زملاءه أنه مندوب شخصي مكلف من رابين شخصيا، وأنه جاء يحمل أسئلة معدة سلفا من قبله. وزينغر مستشار قانوني للوفد الإسرائيلي في محادثات فك الإشتباك الأول والثاني مع المصريين، وكذلك فك الإشتباك مع السوريين في السبعينات. وقد عمل مع فريق كامب ديفيد في طابا، وعمل مع رابين مباشرة كما عمل مع بيريز. منذ أربع سنوات ترك الحكومة وسافر إلى أمريكا ليقيم في نيويورك ويتابع المؤسسات الأكاديمية التي تعد الدراسات عن قضايا السلام مثل جامعة هارفرد والمؤسسة العلمية الأمريكية وغيرها.

إن مشاركة زينغر في قناة أوسلو إعتبرها الوفد الإسرائيلي، كما لاحظنا نحن أيضا، بأنها مشاركة كاملة لمركز صنع القرار في إسرائيل. وهذا يعني أن رابين قرر أن يدخل بثقله فيها ليقومها وليقرر في النهاية كيف يتصرف. وهكذا فإن يونيل زينغر كان إضافة نوعية للوفد الإسرائيلي، ولكنه يشكل مرحلة جديدة أو حقبة جديدة في مسار أوسلو من حيث تغيير المنهج السابق والعودة تقريبا إلى البداية، من خلال الأسئلة والتساؤلات التي إستهل بها زينغر حديثه. حيث قال:

- إن تقويم رابين للمشروع من حيث البناء جيد والهيكل ممتاز، ولكن ألوانه غير واضحة تماما، ولذلك فإن المفهوم للتطبيق غير واضح ويحتاج إلى تعديلات.
- إن عدم التقدم في واشنطن يشكل لهم إحراجا أمام الحزب والرأي العام والحكومة.
- تعقيبا على محاولات بعض الإسرائيليين فتح قنوات خلفية أجاب زينغر: "جميع هؤلاء الذين يحاولون فتح قنوات إنما يقومون بذلك بمبادرات شخصية ويبحثون عن دور لهم، والمقابل فإن الفلسطينيين الذين يتصلون بهم لنفس الغرض لديهم نفس الجواب لهم. والمهم ما يجري هنا، وهو رسمي بين الحكومة والمنظمة".
- لقد أخضعت كل الوثائق التي تم بحثها في هذه القناة وفي غيرها طيلة الجولات السابقة للدراسة والتدقيق من قبل متخصصين في مجالات مختلفة ومؤسسات مختلفة بدءا بمكتبه.
- تحدث بلغة إيجابية واضحة تختلف عن الماضي فيما يتعلق بالمنظمة وموافقتها.
- يعتقد بأن التسريبات التي تظهر في الصحف يقف وراءها بعض المسؤولين في الإدارة الأمريكية الذين همشت جهودهم التي مضى عليهاعامان دون نتائج، ويقصدون بذلك إدوارد جيرجيان وبعض الذين سيغادرون الإدارة قبل نهاية العام، أو من بعض الذين يأخذون الموقف الليكودي ويؤيدونه.
- إنتقد أسلوب التفاوض في واشنطن واعتبر أن كل ما قرأه عن هذا المسار محبط للآمال.

بعد ذلك تبين لنا من خلال الأسئلة الكثيرة التي طرحها والتي طلب الإجابة عليها، أنه يعود بنا إلى نقطة الصفر، حيث أنه على ضوء الإجابة، سيقرر كيف يمكن أن تستمر الأمور في هذه القناة أو لا تستمر.

لقد شعر وفدنا بإحباط شديد من الأسئلة التي طرحها، لأن زينغر سيحاول إلغاء كل ما مضى من جهود. وعندما عاد الوفد إلى تونس وسمعنا منه ما جرى وقومناه، كل رأينا، إن المسألة وصلت إلى الجدية الكاملة، وإننا أمام مفصل هام وخطير، فإما أن تنجح قناة أوسلو أو يقضى عليها، وما دام زينغر

المرتبط بإسحاق رابين ترأس الوفد الإسرائيلي، فعلينا أن نطمئن إلى أنهم سيواصلون معنا.

فماذا كانت الأسئلة:

1. هل الحكومة والمجلس جسمان أم جسم واحد؟
2. ما هو شكل الإشراف الدولي المطلوب، وهل هو إشراف متفق عليه ومراقبون دوليون أم غير ذلك؟
3. ما هي المدة الفاصلة بين الإعلان والإنتخابات؟ هل هي ستة أشهر أم تسعة أشهر؟
4. هل تبحث الملاحق الخاصة بالقدس والنازحين قبل الإنتخابات أم بعدها؟
5. ما هو المقصود بنطاق السلطة؟ وما علاقتها بالمستوطنات والقدس ومعسكرات الجيش والأمن؟
6. لماذا يرد ذكر اللاجئين في الثنائي بينما هو في المتعدد؟
7. كيف سيتم إستلام المجالات المختلفة من الإدارة المدنية؟ وهل سيستلم شخص سياسي أم فني أم مهني؟ وهل سيتم تغيير هياكلها؟
8. ما هو وضع غزة بعد الإنسحاب منها؟
9. كيف سيكون وضع المجالات بعد تشكيل الحكومة والإنتخابات؟
10. لماذا إستثنيت لجان الأرض والمياه ووضعت في مواد خاصة؟ وهل سينطبق عليها ما ينطبق على باقي المجالات؟ أي هل هي جزء من ولاية الحكومة الإنتقالية؟
11. ما هو مفهوم الأمن الداخلي والأمن العام؟
12. لمن سيكون الأمن الخارجي في المرحلة الإنتقالية؟
13. ما هي حدود ولاية الأمن الفلسطيني وحدود ولاية الأمن الإسرائيلي؟
14. كيف سيتم التعامل مع القضايا الخلافية قبل قيام الحكومة؟
15. هل ترون آلية إرتباط اللجنة الرباعية (مصر- الأردن- إسرائيل- فلسطين) متواصلة ومستمرة؟ وما هي الموضوعات التي تدخل في إطار المتابعة مع كل من مصر والأردن؟ وهل ترون دورا آخر للأردن؟
16. عند الوصول إلى إتفاق من سيوقع في واشنطن؟ هل الوفد الفلسطيني والإسرائيلي؟ أم الوفد المشترك الأردني الفلسطيني والإسرائيلي؟
17. أفترض الإنسحاب من أريحا، ماذا سيكون وضعها؟ وما هو مفهومكم؟

18. ماذا سيحدث في الفترة الفاصلة بين الإنسحاب من غزة- أريحا والإنتخابات؟ كيف سيكون وضع غزة تحديدا؟ هل هي دولة ذات سيادة أو حكم ذاتي؟ من سيكون مسؤولا عن الأمن الخارجي فيها؟ ما هو دور المصريين في المشاركة الأمنية؟
19. هل ترون ضرورة لتوقيع إتفاق بين المنظمة وإسرائيل لتشمل ترتيبات متفق عليها حول الأمن في غزة؟
20. هل يمكنكم الإلتزام بجمع السلاح في غزة والضفة؟
21. هل يمكنكم الدعوة لوقف الإنتفاضة بعد توقيع الإعلان؟
22. هل يمكنكم أن تلتزموا أمامنا كما إلتزمتم أمام الولايات المتحدة بالإعتراف بإسرائيل وبنبذ الإرهاب؟
23. هل تستطيعون أن تلتزموا بتعديل الميثاق؟
24. هل ترون فائدة من إتفاق معنا يشير لهذه التعديلات؟
25. إذا تم الإتفاق بين إسرائيل والمنظمة. من هي القيادات التي ستعود؟ وأين ستقيم؟ وهل ستعود قبل الإنتخابات؟ وهل ستشارك مرشحة او منتخبة أو الإثنين؟ وهل ستعود إلى أريحا؟ ومن سيدير غزة في الفترة بين الإنسحاب والإنتخابات؟ وهل يمكن نقل السلطة في غزة بوتيرة أسرع من الضفة؟ وهل يمكن توقيع إتفاقية أمنية بين المنظمة وإسرائيل حول الأمن في غزة؟
26. أين سيقيم المسؤولون عن المجالات بعد نقلها يوم الإعلان؟ هل في القدس أم في أريحا؟ إن ذلك سيخلق مشكلة كبيرة إذا كان إذا كان جوابكم القدس.
27. إذا قررتم عودة عرفات فهذه قضية سياسية. هل مستعدون لعقد إتفاق حولها؟
28. هل تريدون الإتفاق على الإنتخابات قبل مضي الفترة الإنتقالية؟ وهل ستتم بعد الإنسحاب من غزة؟ ولماذا لم تكونوا مستعدين؟ هل ستتم بالتعيين بدل الإنتخاب؟
29. هل تصرون على القوات المتعددة الجنسيات في أريحا .. أو غزة؟
30. هل تصرون على ضرورة وجود وصاية دولية؟
31. كيف تنظرون إلى وضع أريحا إذا تم الإنسحاب منها؟ وهل تختلف مثلا عن نابلس؟
32. هل المقصود بالتحكيم، أن يتم حول قضايا المرحلة الإنتقالية؟

33. لماذا لا تستبدلون كلمة تحكيم بكلمة "تسوية نزاعات"؟
34. ماذا سيحدث للأشخاص النازحين عام 1967 إذا طلبوا جميعا العودة للمشاركة في الإنتخابات؟ هل ستعرضون أمرهم على التحكيم إذا لم يعودوا؟
35. ما هي الآلية التي تقترحونها لشرح مضمون ونصوص هذا الإتفاق للأمريكيين؟
36. كيف سيتم التوقيع والإنسحاب بين سلطات محدودة ستعطى بعد توقيع الإعلان في الضفة، وسلطات أشمل ستعطى في غزة؟
37. هل ستكون العلاقة بين غزة والضفة علاقة مركزية أو لا مركزية؟
38. قد نكون بحاجة -إضافة إلى إعلان المبادئ- إلى مذكرة تفسيرية وإلى إتفاق مع المنظمة، فهل أنتم جاهزون إلى ذلك؟
39. إذا لم نصل إلى إتفاقات واضحة حول كل القضايا، فقد نلجأ إلى نصوص أكثر غموضا وقد حدث هذا مع مصر. فهل تقبلون أن نلجأ إلى الإتفاقات السرية أو تبادل الرسائل أو توجيه الرسائل إلى طرف ثالث؟ أمريكا مثلا؟
40. هل تستطيعون إقناع وفدكم في واشنطن بإصدار بيان مشترك[16]؟

حاول وفدنا جاهدا أن يجيب على جميع الأسئلة من المعلومات المتوفرة لديه ومن واقع الإتفاق السابق. وقد كتب زينغر كل هذه الأجوبة ثم ختم حديثه بقوله: سنعود إلى رابين وبيريز ونتوقع أن تكون إجابتهما ضمن الإحتمالات التالية:

- إما ان يقبلوا الموقف السابق كما هو.
- وإما أن يجري تغيير للصيغة المكتوبة.
- أو نجد حلا وسطا بين الإثنين.

وانتهت الجلسة الأولى مع زينغر، وحاول وفدنا أن يقوم الموقف، ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى نتيجة، إلا أن رأينا بعد ذلك هو أننا قد وصلنا إلى مرحلة حاسمة، وعلينا أن ننتظر ردة فعل رابين والقيادة الإسرائيلية التي بدأت تعطي الإهتمام الأساسي لقناة اوسلو.

16 إشارة إلى البيان المشترك الذي إقترحته الإدارة الأمريكية في الجولة التاسعة.

الجولة الثامنة 1993/6/27:

جرت هذه الجولة في مقر الـ (Fafo) في النرويج- أوسلو. ونلاحظ كما أشرنا سابقا إلى أن أماكن الإجتماعات تتغير في كل لقاء، ولا يتم إجتماعان متصلان في مكان واحد حتى لا ينتبه أحد إلى ما يجري.

كنا حريصين جدا على أن نعرف ردود فعل الإسرائيليين بعد سيل الأسئلة التي طرحها زينغر في الجولة السابقة. وقد سمعنا ما يطمئن إلى حد ما، سواء ما يتعلق بجدية هذه القناة واعتمادها، أو بمحاولات الآخرين لفتح قناة مشابهة، أو إعتبار أوسلو تمهيدا لواشنطن أو قناة مؤقتة تدعم واشنطن. إلا أن أهم ما قاله:

زينغر: لدينا تفويض بتقديم مقترحات للوصول إلى صيغة نهائية، هذه الصيغة تقدم في واشنطن للإخراج وليس للتفاوض عليها أو إجراء أي تغييرات فيها، أما المنهج فهو:

- الحفاظ على هيكل إعلان المبادئ المفترح.
- إقتراح وثيقة محضر متفق عليه يكون جزءا من الإتفاق.
- عدم إدخال مفاهيم جديدة إلى الوثيقة.

راجع رابين المحاضر جملة جملة. وهو يريد كل الإتفاقات مكتوبة ومحددة، إلا أنه لا زال يشك بمصداقية المنظمة، وهل هي تناور وتخادع؟

أبو علاء: نصارحكم بأننا حريصون أيضا ولدينا شكوك حول تمسككم بهذه القناة، وهي قناة شرعية أم فرعية. أما بالنسبة للنصوص فلا نرى ضرورة لأية تغييرات.

زنغر: لا أعتقد أننا سنناقش كل شيء خلال يومين، خصوصا وأن الولاية الجغرافية تحتاج إلى وقت طويل، كذلك فقد طلب رابين أن يطمئن لتحرك الإسرائيليين ووجودهم وحريتهم وتنقلهم في حال الإنسحاب من غزة وأريحا. كذلك نحن نريد أن نناقش مسألة "تنفيذ" القرار 242 لأن القضية ليست ميكانيكية، حيث نفهم أن

التفاوض حول الوضع النهائي سيتضمن التنفيذ النهائي. كذلك لا بد من مراجعة مواضيع المرحلة النهائية والنازحين وموضوع ترشيح أهل القدس في الإنتخابات وغيرها.

أبو علاء: واتبع أبو علاء أسلوب طرح الأسئلة حتى يعرف موقف الإسرائيليين حيال عدد من القضايا التفصيلية الضرورية لفهم الإتفاق. فسأل عن غزة وأريحا، فيما يتعلق بالمعابر والأمن، وعودة القياديين والقوات الدولية والممر الذي يربط المنطقتين والمستوطنات ولجان الإرتباط ونطاق السلطة والأوامر العسكرية ومراجعة القوانين والأوامر ومجالات نقل السلطة والمجلس المنتخب والإنتخابات وموعدها.

زينغر: بالمقابل طرح زينغر قضايا كثيرة بالنسبة للممرات وتحرك القوات العسكرية والمستوطنات، وناقش بسلبية طلب وجود قوات دولية. وكذلك شرح موقف حكومته من المعابر وغيرها مثل القدس والمستوطنات، حيث أكد أن القدس لن يشار إليها بأكثر من مسألة الإنتخابات، ولكنها تناقش في المرحلة النهائية. وأما المستوطنات فلن تعلن الحكومة أية سياسة تتعلق بإزالة المستوطنات أو تفريغها، إلا إذا بادر المستوطنون أنفسهم لتركها طواعية. ولكن الحكومة ستتبع سياسة الإحجام عن دعم بعض المستوطنات السياسية، إلا أنها لن تشير إلى ذلك حيث أن الفكرة المبلورة لديها هي أن التعامل مع المستوطنات، يتم بشكل تدريجي لتسهيل بحث مصيرها في مفاوضات الوضع النهائي.

ثم قدم نقاطا مقترحة للتفكير حول الإعتراف المتبادل وهي:

1. منظمة التحرير تعترف بحق إسرائيل في الوجود وتلتزم بالتعايش السلمي معها.
2. منظمة التحرير تعترف بالقرارين 242 و 338.
3. منظمة التحرير تنبذ الإرهاب والإعتداء على الإسرائيليين.
4. منظمة التحرير تعلن توقفها التام عن ممارسة كل أشكال الإرهاب.
5. منظمة التحرير لا تدعم أية أطراف تقوم بأعمال إرهابية ولا تحرض على ذلك.

6. منظمة التحرير تعلن أنه على ضوء الإلتزام بعملية السلام، فإنها تعتبر كل البنود الواردة في الميثاق والمتناقضة مع هذه العملية باطلة.
7. منظمة التحرير ملتزمة بعملية السلام وأهدافها وفق ما جاء في رسالة الدعوة.
8. منظمة التحرير بعد تسلم المجلس المؤقت للسلطة تدعو إلى وقف الإنتفاضة.
9. منظمة التحرير تدعو مصر ودولا أخرى لوقف المقاطعة العربية لإسرائيل.

لقد كانت المسافة الزمنية قصيرة بين الجولة السابعة والجولة الثامنة، حيث حرص الوفد الإسرائيلي على العودة السريعة إلى أوسلو. لتأكيد حرصه على متابعة هذه القناة. ولم يكن يقصد الوصول إلى إتفاق في هذه الجولة بمقدار ما كان يقصد تطمين الجانب الفلسطيني إلى أنه جاد في التعامل معه. ولذلك فقد كان الحوار فيها يجري لإغناء البحث وتوسيع الآفاق والدخول في تفصيلات كثيرة حتى يستوعبها المشروع الجديد لإعلان المبادئ والمقترح.

إلا أن النقلة النوعية الأخرى التي تمت بحضور زنغر، إضافة إلى إعتماد رابين لهذه القناة بشكل كامل، كانت وضع الأسس من وجهة النظر الإسرائيلية التي يقوم عليها الإعتراف المتبادل بين المنظمة ودولة إسرائيل. حيث أن المقولات السابقة كانت تسير نحو إتمام إتفاق في أوسلو، ثم عرضه في واشنطن على الوفد الفلسطيني ليتولى التوقيع عليه، كمشروع أمريكي مقترح. بينما الذي حصل الآن هو أن المنظمة يمكن أن تكون الطرف المعلن كما هي الطرف السري في المفاوضات، إذا إستكمل الطرفان مسألة الإعتراف المتبادل.

والطريف في الأمر أننا كنا حريصين أولا على إنهاء إعلان المبادئ، وعلى أن نبحث فيما بعد الإعتراف المتبادل، وهذا ما حصل بالفعل، مع فارق بسيط هو أن الصحافة الإسرائيلية كشفت الجزء الأول من العملية قبل إتمام الجزء الثاني. ولذلك فقد إختل السيناريو الذي وضعناه في السابق.

منذ الجولة الثامنة هذه بدأت التصريحات المتفائلة تصدر عن المسؤولين الإسرائيليين وبالذات عن وزير الخارجية شمعون بيريز الذي كان يقول بأن الإتفاق الفلسطيني- الإسرائيلي قاب قوسين أو أدنى وأنه أقرب مما يتصور

الجميع. بينما تشير كل أخبار واشنطن إلى الفشل التام. وقد وضعتنا هذه التصريحات الفاقعة في موقف حرج مع القيادة الفلسطينية والقيادات العربية التي كانت تتساءل عن السر الخفي وراءها دون أن تجد منا جوابا إلا النفي المطلق. مع الإشارة إلى أن بيريز يبدوا متفائلا أكثر مما يجب. إلا أن الأمر تجاوز مسألة الإيجابية والحديث عن قرب الوصول إلى الإتفاق. إلى الحديث الإيجابي عن منظمة التحرير الفلسطينية وأنها هي القادرة على التفاوض والإلتزام وغير ذلك.

في هذا الوقت كانت تصريحات القيادة الفلسطينية متشائمة للغاية وكثيرا ما كان عرفات يجيب عندما يسأل عن نتائج المفاوضات بأنها صفر كبير "Big Ziro". ومثله كان يفعل الكثيرون. بينما كنت دائما أميل في تصريحاتي إلى التفاؤل والتهدئة مخترعا كثيرا من الأسباب التي تدعوني إلى ذلك. دون أن أشير من قريب أو بعيد إلى قناة أوسلو. إلا أنني في نفس الوقت كنت أبعث برسائل لبيريز عبر وفدنا ووفده المفاوض بأن يخفف من تفاؤله الذي لا نستطيع أن نجاريه فيه. فكان يرد بأنه مضطر لأن يفعل ذلك حتى يهيئ الرأي العام الإسرائيلي لتقبل الخطوة القادمة.

وباختصار فإن جوا إيجابيا قد ساد الوضع في الشرق الأوسط. وراحت كثير من وسائل الإعلام الإسرائيلية والغربية تصعد من نشر أخبار تتعلق بالقنوات السرية. والإتصالات الخفية بين الإسرائيليين والفلسطينيين. لكن هذه الأخبار لم يلتفت إليها الجميع ولم يهتموا بها والسبب أنها إشاعات لا تقوم على أساس. وهذا ما ساعدنا على إستكمال مسارنا دون أن نخشى كشف أسرارها.

إن ما توضحه الجولات القادمة. سيعطي فكرة كاملة عن التقدم الجدي في مسار أوسلو. بما يوحى أن المسألة أصبحت ناضجة وأن الإتفاق فعلا -كما قال بيريز- أصبح قاب قوسين أو أدنى.

الجولة التاسعة 1993/7/6:

في هذه الجولة تقدم الإسرائيليون بمشروع جديد يعتبر من حيث البناء أفضل من المشروع السابق ولكن فيه تراجع كبير في القضايا الجوهرية الأساسية. إلا أنهم إستمعوا إلى الملاحظات التي أبداها وفدنا وكان واضحا أنهم إبتعدوا

في حوارهم عن المناورة والتكتيك لأنهم أبدوا رغبة في الوصول إلى إتفاق نهائي يتم توقيعه على النحو التالي من خلال مرحلتين:

الأولى: بين المنظمة وممثل حكومة إسرائيل في أوسلو.

والثانية: بيريز وفيصل في إحتفال رسمي في واشنطن بحضور الأمريكان والروس. حيث يمكن أن يتم الإعلان الرسمي عن عمل قناة أوسلو.

وجرى حوار مطول حول مضمون الإتفاق المقترح من قبل الإسرائيليين، وأرسل لنا لنطلع عليه ونبدي الملاحظات المطلوبة. إلا أن هناك نقاطا أشار إليها الوفد الإسرائيلي يوردها المحضر وهي:

1. **الأمريكان**: لدى الإسرائيليين قدر من المخاوف من الأمريكان حتى لا يقتلوا هذا الإنجاز كما قتلوا إتفاق لندن (حسين - بيريز) وذلك بسبب حسابات داخلية بحتة وبخاصة وأن التفاوض يجري الآن مع المنظمة مباشرة.

لفت نظري أن الإسرائيليين إنفتحوا على وفدنا ليتحدثوا عن الأمريكان بهذه الصراحة والجرأة والنقد، كما لفت نظري إنعدام الثقة بالموقف الأمريكي، مع تحديد أسماء معينة بالإدارة الأمريكية. يشعر الإسرائيليون أن هذه الأسماء تحاول أن تحرف المفاوضات عن مسارها الطبيعي لأسباب شخصية. إنما أهم من كل هذا رفض الإسرائيليين للمسودة الأمريكية التي قدمت في الجولة العاشرة وعدم إقتناعهم بها. في نفس الوقت الذي كنا نحن أيضا غير مقتنعين بها، ولكننا كنا مضطرين لمناقشتها والتعامل معها حتى لا تغضب الإدارة الأمريكية. ويبدو أن الإسرائيليين كانوا من نفس الرأي والموقف. ولا بد لنا من أن نشير إلى أن حوارنا الداخلي حول الوثيقة الأمريكية هو الذي أدى ببعض أعضاء وفد واشنطن إلى تقديم إستقالته وإثارة ضجة إعلامية ضخمة.

لقد إستغرب الكثيرون من المفاوضين الفلسطينيين ولجنة المتابعة، تعاملي مع المسودة الأمريكية بكثير من اللامبالاة وعدم الإنتباه، حيث كنت أقبل أية تعديلات يقترحها الزملاء دون تفكير أو معارضة. وأعيد هذا لسببين، أولهما

أنني أعرف الموقف الإسرائيلي منها. والثاني أنني أرى أن ما يجري في واشنطن غير قابل للتطبيق، في الوقت الذي كنا على أبواب إتفاق كامل في أوسلو.

2. **المنظمة**: لاحظ وفدنا أن الإسرائيليين أصبحوا يتعاملون مع المنظمة كطرف وحيد للتفاوض والإتفاق. وإن كان لديهم بعض المخاوف والملاحظات، فإن المصداقية التي سادت محادثات أوسلو خلال سبعة أشهر بتراكماتها، قد ساهمت في إرساء قواعد لبناء الثقة وإمكانات التعايش.

3. **غزة- أريحا**: لقد إقتنع الإسرائيليون أخيرا بأهمية الإنسحاب من أريحا إضافة إلى غزة ليتم الإنسحاب من المنطقتين في وقت واحد. إلا أنهم لا زالوا يرون أن ما يمكن أن يطبق في غزة لا يمكن أن يتماثل مع ما يطبق في أريحا.

4. **القدس**: رفض الإسرائيليون مجرد ذكرها وخاصة في الإنتخابات وقالوا بأن هذا الموضوع يسقط الحكومة.

5. **النازحون**: أيضا رفضوا الإشارة إليهم.

6. **الأمن**: وضعوا مفهومهم للأمن فيما يتعلق بالأمن الخارجي وانسحابه أيضا على الأمن الداخلي من الناحية العملية.

7. **التحكيم**: لا مجال إطلاقا لقبول فكرة التحكيم لأنهم يعتقدون أننا سنذهب إلى التحكيم في كل صغيرة وكبيرة، الأمر الذي يعطل كل شيء.

بعد دراسة المشروع الإسرائيلي وملاحظات الوفد والموقف الإسرائيلي، فقد حددنا موقفنا بالنسبة للنقاط المذكورة أعلاه وفي نفس الوقت أعطينا التعليمات التالية للوفد:

1. لا بد من ذكر تنفيذ القرارين 242 و 338 بوضوح وربط المرحلتين.

2. لا بد من تحديد واضح لمواضيع المرحلة الإنتقالية.
3. حل الحكومة العسكرية إلى جانب حل الإدارة المدنية.
4. يشارك أهل القدس في الإنتخابات ولا يصوتون فقط.
5. يحق لنا أن نشكل الشرطة من الداخل والخارج.
6. إتفاق غزة- أريحا جزء من إعلان المبادئ وليس إتفاق منفصلا.
7. يسلم القطاع وأريحا للمنظمة .. عند الإعتراف المتبادل.

الجولة العاشرة 1993/7/21 ـ فندق هالفورس بولا:

لقد تبلور مشروع الإتفاق من أجل إعلان المبادئ، كإطار مقبول من حيث المبدأ، لكنه كما لاحظنا يحتاج إلى تعديلات كثيرة من وجهة نظرنا حتى يصبح متوازنا ومقبولا قابلا للتسويق في الساحة الفلسطينية، وقابلا للتطبيق في المستقبل، وهذا فرض علينا ضرورة الإنتباه إلى كل كلمة وجملة وتعبير، حتى الفواصل والنقط كان مهما التمعن فيها، كي لا نقع في أخطاء أو مطبات تكون لها نتائج تدميرية.

كنا نفاوض وفدا متمرسا متمكنا وصاحب تجربة طويلة في المفاوضات مع أطراف أخرى، وبخاصة مع المصريين وبالإضافة إلى أنه يستند إلى أطقم كثيرة متخصصة قادرة على أن تزوده بكل المعلومات والتحليلات والأفكار والبدائل. بينما وفدنا لا يملك مثل هذه التجربة، وليس لدينا الإمكانات المتوفرة للإسرائيليين، وإن توفرت فلا نستطيع الإستفادة منها بشكل مباشر، لأننا فرضنا على هذه المفاوضات نطاقا من السرية والكتمان حال دون إستفادتنا من كل الطاقات الموجودة لدينا.

وأذكر أننا إختلفنا على إستعمال حرف أثناء نقاشنا مسألة النازحين وقبول الإسرائيليين من حيث المبدأ الإشارة إليهم. فقد ذكر الإسرائيليون: «لا يجحف بحق النازحين لأنهم لن يتمكنوا من المشاركة في الإنتخابات». فطلبنا أن يصبح النص «لا يجحف بحق النازحين إذا لم يتمكنوا من المشاركة في الإنتخابات». وقد إستمر النقاش جلسات مطولة حول إستعمال كلمة (Because) أو (If) وفي الواقع لم نتمكن في النهاية من وضع مفهومنا وبقي النص كما هو.

والأمثلة كثيرة على هذا النمط من النقاش. ولا بد لي أن أقر أن طيلة مفاوضات أوسلو لم نعرض النصوص على مستشار قانوني خشية تسريبها. ولذلك كنا نعتمد على خبرتنا وتجربتنا في التعامل مع النصوص، وقد حاولت أن أستفيد من بقايا المعلومات القانونية التي تلقيتها أثناء دراستي الحقوق في جامعة دمشق. ولكنني لا أستطيع أن أعتمد عليها لأنني لا أستطيع أن أصنف نفسي خبيرا قانونيا.

ولكن لا بد لي من أن أذكر أيضا أننا لم نوقع بالأحرف الأولى على وثيقة إعلان المبادئ يوم 1993/8/20 إلا بعد أن إطلع عليها المستشار القانوني طاهر شاش الذي إستدعي إلى أوسلو لهذا الغرض.

في هذه الجولة عرضت الملاحظات الفلسطينية على المشروع الإسرائيلي وطلب الوفد الإسرائيلي مهلة ساعة لمراجعتها وتقديم وجهة نظره حولها، ولما إستؤنفت الجلسة ظهر أن الجو متوتر للغاية وأن الإسرائيليين يشعرون بخيبة أمل شديدة لاعتقادهم أن الملاحظات الفلسطينية لا تعدل مشروعهم فحسب بل تنسفه من أساسه.

أوري سفير: بعد سماع نقاطكم أشعر بخيبة أمل لدينا جميعا. أنتم أسأتم فهم موقفنا تماما. إن المسألة الآن ليست مسألة عقبات لغوية، بل مواضيع ومفاهيم أساسية نختلف عليها تماما. مثلا:

- لا يمكن قبول ربط مؤسسات القدس بالمجلس المنتخب.
- تحدثتم عن السيطرة على الممرات وهذا لا نقبله.
- نازحو 1967 ذكرتموهم، ونحن لا نقبل ذلك إلا في المرحلة النهائية.
- إن الحديث عن سلطة تنفيذية وتشريعية وقانونية غير مقبول في المرحلة الإنتقالية.
- لا نقبل قوات أجنبية في غزة وأريحا، وأن الممر بينهما سيقسم بلدنا إلى قسمين وهذا غير مقبول.
- إن ذكر الحقوق الوطنية مسألة تتعلق بالدولة وترتبط بها وهذا غير مقبول.

- لقد طلبتم أريحا كمركز والآن تتحدثون عن منطقة وكذلك غزة.

أبو علاء: لقد قلنا لكم في الجولة الماضية أن لدينا نقاطا هامة ولم نستكمل النقاش، ولا بد أن تعرفوا أن الوثيقة إذا لم نتمكن من تسويقها لدى الرأي العام فلن يكتب لها النجاح، وهي بالصيغة المقترحة من قبلكم لا يمكن تسويقها. فالقدس لا يمكن تجاهلها، أو تركها للمرحلة النهائية دون ذكرها الآن، والأمن لا يهمكم وحدكم، والنازحون لا بد من بحث مسألتهم والسلطات الثلاثة التشريعية والتنفيذية والقضائية ليست بدعة، وإن كنا في مرحلة إنتقالية.

هيرشفيلد: نحن حولنا هذه القناة من قناة خاصة إلى قناة رسمية وتشارك فيها قيادتنا، وهذا بحد ذاته تقدم كبير. إلا أن التغييرات التي جلبتموها تجعل من هذا اليوم يوما أسود.

أوري سفير: لا نستطيع مناقشة الأفكار التي طرحتموها، ولو فعلنا ذلك وعدنا إلى رابين وبيريز فسيطلبون منا إغلاق هذه القناة فورا. ولذلك حرصا على هذه القناة فلا حاجة لكتابة محضر.

أبو علاء: نحن لن نكرهكم على أمر لا ترغبونه، نحن نريد الوصول إلى إتفاق، وكل أمر بالنقاش يمكن به الوصول إلى نتيجة، نحن مستعدون لبحث وضع صيغة جديدة يعود بها كل إلى قيادته.. هذا إذا شئتم.

ورفعت الجلسة بتوتر شديد بين الطرفين، إلى صباح اليوم التالي 1993/7/12.

أوري سفير: إن الحديث عن الحقوق الوطنية غير مقبول الآن لأنه حديث عن الدولة السياسية، وليس وقتها الآن، ويتم الحديث عنها في المستقبل. أما بالنسبة للولاية الجغرافية فنرجوا أن تفهموا أننا حريصون على الأمن نظرا لخبرتنا وللحروب ولصغر حجم

بلدنا. إن الأمر عندنا ليس هاجسا بل حقيقة. وعلاقاتنا معكم التي مرت عبر صراع طويل لا تعطينا الآن حتى نطمئن. كذلك لا بد من بحث مسألة النازحين مستقبلا. أما موضوع القدس فهو حساس جدا، ولا نفهم لماذا تصرون على التحكيم حيث سنكون أفضل شركاء، ولسنا بحاجة إلى أطراف أخرى تدخل لتبحث مصالحها. هذا وسنبحث عن حل براغماتي لمشاركة فلسطينيي القدس في التصويت والترشيح.

يونيل زينغر: إن إتفاق إعلان المبادئ يجب أن يتضمن بنودا تتعلق بغزة- أريحا على النحو التالي:

1. إنسحاب رمزي من أريحا وكامل غزة باستثناء المستوطنات التي تخضع لحماية الجيش اللإسرائيلي.
2. أما أريحا فليس فيها مستوطنات ومشكلتها غير معقدة.
3. تحتاج الممرات لتفصيلات كثيرة ولذلك لن يشملها الإتفاق.
4. غزة وأريحا غير معزولتين وهما جزء من الحكم الذاتي.
5. سلطة البوليس الفلسطيني في غزة أقوى من سلطته في باقي المناطق ونقبل أن تدخل قواتكم بمجرد الإنسحاب.
6. نوافق على تواجد مراقبين أجانب وليس قوات .
7. من حيث المبدأ لا إعتراض على عودة قيادة المنظمة، وإنما الأمر يخضع لاتفاقية منفصلة توضح من جملة ما توضح حرية تحركها واستخدام الطرقات.

أبو علاء: إن ذكر المنظمة في إعلان المبادئ، يحتاج إلى لقاء أو خطوة دراماتيكية بمعنى أن يتم لقاء بين رابين- أبو عمار.

يونيل زينغر: هذا يعني دمج المرحلتين، وفيه مخاطرة، وبالتالي يجب أن تكون الإلتزامات واضحة وفي إعتقادي أننا بحاجة إلى وقت أطول.

أوري سفير: هذه مجرد أفكار وليست إقتراحا رسميا منا، والفكرة هي تبديل عملنا من فرقة يعزف لها عود إلى فرقة تعزف لها

أوركسترا. وإذا عدنا إلى الحديث عن غزة وأريحا، صحيح أن الفجوة بيننا كبيرة ولكن الأفكار المطروحة مقبولة. إلا أن أهم شيء هو عامل الوقت الذي قد يسيء إلى السرية التي تحيط بهذه القناة. وسنسعى مع قيادتنا للتغلب على العقبات. وإذا إحتجنا إلى إتصال سريع فيمكن أن نتحدث عبر تيري لارسون، أو نلتقي لساعة أو أكثر في دولة أوروبية، إنما يجب أن يكون واضحا أنه خلال أسبوعين أو ثلاثة تكون الأمور ناضجة للتوقيع.

أبو علاء: سنعود إلى قيادتنا وأنتم كذلك، ونلتقي حسب الموعد المعروض وآمل أن نكون جاهزين لإعداد الوثيقة المشتركة والنهائية.

تعليق:

على الرغم من أننا لم نحقق إتفاقا مع الإسرائيليين في نهاية الجولة العاشرة، إلا أننا نستطيع القول بأننا أصبحنا على أبواب إتفاق، ولذلك كان علينا أن نوسع قاعدة المعرفة لقناة أوسلو، وأن نسعى إلى تعبئة الأجواء لتقبل ما نحن مقبلون عليه، بخاصة وأن كل المعلومات والأخبار تشير إلى فشل مفاوضات واشنطن، كما تتحدث عن خلافات بين القيادة والوفد المفاوض الذي يتمتع بسمعة عالية وطيبة على كل المستويات.

ولذلك فإن الخوض في التفاؤل يبدو عسيرا وصعبا ولا يمكن تصديقه، ومع ذلك فقد خضت التجربة، وبدأتها مع المجلس الثوري لحركة فتح الذي إنعقد في السابع عشر من تموز/ يوليو 1993. إلا أنني جذفت ضد التيارعندما تحدثت عن إيجابيات ظهرت في الجولة التاسعة والعاشرة في واشنطن، وحاولت جهدي أن أبرز نقاطا بسيطة، لأؤكد أن المفاوضات بشكل عام لم تفشل وأن أمامنا فرص كثيرة للنجاح. ثم إنطلقت بحديث جازم وحازم وقلت: حتى حتى نهاية هذا العام سيقع إتفاق لا محالة بيننا وبين الإسرائيليين. وهذا الإتفاق قد يكون مفروضا من الأمريكان، وقد يرضيكم وقد لا يرضيكم، وقد يرضي الإسرائيليين أو لا يرضيهم ولكنه سيقع، إنني أتحدث عن معلومات وليس ضربا بالرمل أو التنجيم.وإن هذا سيقوم على أساس مرحلتين، إنتقالية ونهائية مدة الأولى سنتان والثانية تصل إلى خمس سنوات، سنتمتع فيه بحكم ذاتي إنتقالي، لا مجال في الفترة الأولى للحديث عن السيادة، قد

يحصل إنسحاب من غزة وأريحا، وأن المستوطنات والقدس واللاجئين، سيؤجل البحث فيهم إلى المرحلة النهائية.

وباختصار شرحت أوراق أوسلو بالتفصيل دون أن أذكر كلمة أوسلو أو أشير إلى أية مفاوضات تجري في قنوات خلفية. وفعلت في اليومين التاليين الشيء نفسه في اللجنة المركزية. وقد جرى حوار مطول حول هذه الطروحات التي إعتبرها البعض خيالية ولا يمكن تطبيقها أو وجودها، لذلك فقد حاول بعض من يظهرون التشدد أن يضعوا شروطا يتصورون أنه لا يمكن تطبيقها وذلك من أجل الإحراج. فقد قيل مثلا: «إن حصولنا على إنسحاب من غزة وأريحا بوجود المنظمة هناك يعتبر كافيا جدا». إلا أني إعترضت على هذا الكلام وقلت له: «بدون إعلان مبادئ فإن مثل هذا المشروع لن يكون وطنيا حتى ولو كانت المنظمة على رأس السلطة في غزة وأريحا، لذلك لا بد من وضع هذا الإعلان أولا ويتضمن إنسحابا من غزة وأريحا .. أما وجود المنظمة فهذا أمر غير مطروح الآن.

قلت هذا وأنا أعرف أننا نبحث موضوع الإعتراف المتبادل، لكن كنت أخشى أن لا نصل إلى إتفاق حوله، فينسى المعترضون كل إنجاز ويتمسكون فقط بوجود المنظمة، مع أنه لم يكن مطروحا مشاركة المنظمة في الأساس إلا في المرحلة النهائية حسب رسالة التطمينات، التي أشرت إليها بطريق غير مباشر، عندما تحدثت عن كشاركة الخارج.

كان البعض يعتقد أننا نجري إتصالات سرية عبر مصر، وكانوا يتكهنون بأن مثل هذه المعلومات تأتي عبر هذه القناة، وأشير إلى معلومات ترد من الإدارة الأمريكية من أوساط إسرائيلية بأن هذه الإدارة تعد العدة لمشروع تفرضه على الطرفين. في أوساط كوادر المنظمة وحركة فتح كانوا يصدقون ما أقول لأنهم لم يتعودوا مني أن أبالغ أو أقلل عندما أتحدث عن أي موضوع. وإنما أكتفي بذكر الواقعة كما هي، ولذلك كان يطمئن إلى كلامي كل من يتفق معي أو يعترض علي.

الجولة الحادية عشرة في 1993/7/25
فندق هولفوشيولي - مركز المؤتمرات:

إتسمت هذه الجولة والتي بعدها بعملية العض على الأصابع، والعدد العكسي لمرور الزمن كان عاملا ضاغطا على الطرفين للوصول إلى إتفاق، خشية أن تتسرب أخبار القناة فتفشل، ولذلك دخلنا سويا في التفصيلاتعلى أرضية مشروعنا الذي قدمناه في البداية. وقد ظهر فيه كثير من نقاط الإختلاف الجوهرية واللفظية والشكلية.

لقد كنا نشعر أن الإسرائيليين يحاولون إستغلال الضغوط لنقبل بما يعرضون، وكنا نقول للوفد بأن لا يبدي أية إهتمامات لهذه الضغوط لأنها طبيعية في المفاوضات، وأن لا يخضع لابتزاز حتى نحصل على الحد الأدنى المطلوب لنجاح هذا المشروع. أضف إلى ذلك أننا نتحمل مسؤولية كاملة أمام القيادة التي لا تعرف شيئا والتي ستجد ألف سبب وسبب للرفض، وستبحث عن عيوب في الإتفاق قبل أن ترى الإيجابيات. ومن هنا كان لا بد من تمحيص كل كلمة وكل جملة وكل عبارة لنتمكن في النهاية من الدفاع عن الإتفاق.

كلما إقتربنا من ساعة الصفر كلما إنتابنا شعور مزدوج ولكنه متناقض، فمن جهة أصبحنا على أبواب إتفاق تاريخي، ومن جهة أخرى كنا أمام ثقل المسؤولية التي تحملناها وأمام القيادات والجماهير والعرب بشكل عام. ومع ذلك فقد كنا جميعا، وفد المفاوضات والمشرفين عليه، مستعدين لذلك.

نحن نعرف الإسرائيليين لا يفتأون في كل مناسبة أن يعبروا عن شكوكهم حول موقفنا ورغبتنا الحقيقية في الوصول إلى إتفاق، وحول قدرتنا فعلا على التوقيع إذا حان موعد التوقيع، وكانوا كلما أثرنا قضية ما يتصورون أننا إنما نبحث عن ذرائع وأسباب حتى نتملص من التوقيع.

في هذه الفترة طلع علينا الأمريكان بفكرة التسليم المبكر للسلطات مقابل أن تقدم بعض المساعدات الإقتصادية، وقد طرح هذا الحل لمواجهة الطريق المسدود الذي يعترض المفاوضات في واشنطن.

صادف هذا الإقتراح موافقة من أوساط وفد واشنطن، الذين وجدوا فيه طاقة للتنفس في ظل الإختناق الذي يعاني منه شعبنا داخل الأرض المحتلة، وعلى ضوء الشلل الذي أصاب مفاوضات واشنطن، إلا أن القبول بهذا الإقتراح يشكل خطرا شديدا على مجمل عملية السلام، لأنه قد يكون البداية والنهاية في آن معا.

لقد حاول الوفد الأمريك أن يسوق هذه الفكرة وأن يزينها ولم يكن لدى الإسرائيليين أي إعتراض على ذلك، ولا شك أننا لاحظنا في الجولة التاسعة من مفاوضات أوسلو أن الإسرائيليين يتحدثون عن مساع يقوم بها دينيس روس ليحقق مكاسب شخصية. والواقع أن الربط بين الفكرة وأقوال الوفد الإسرائيلي هي من قبيل الإفتراض وليس معلومات لدينا. وبالمقابل كنا نرى النرويجيين يضعون ثقلهم في المفاوضات، وإن كان بشكل غير مباشر لإنجاح قناة أوسلو، ليس من أجل المكسب المعنوي الذي يمكن أن يحققوه فيما لو توصلنا إلى إتفاق، وهذا أمر ومطلب مشروعان، ولكن كنا نشعر بالرغبة المتوفرة لديهم للوصول إلى السلام الفلسطيني- الإسرائيلي.

لقد جاءت فكرة النقل المبكر للسلطة في الوقت الذي قدم فيه فيصل الحسيني وحنان عشراوي وصائب عريقات إستقالاتهم من الوفد. ولكنهم ما لبثوا أن تراجعوا عن هذه الإستقالات كما تراجعوا عن التفكير بمسألة النقل المبكر للسلطة لأننا بصرناهم بمخاطرها، وأبلغناهم بأن الطرق المسدودة في واشنطن والإحباط الذي نشأ عن هذا الأمر لا يبرر القبول بأفكار من هذا النوع.

وقائع الجولة الحادية عشرة

بدأت هذه الجولة بالتوتر الشديد:

أوري سفير: لم نستقبل بعد عودتنا من الجولة الماضية بالإرتياح، لأننا لم نكن نحمل نتائج إيجابية، وقد أخذنا بعين الإعتبار الملاحظات التي حملها «تيري لارسون» أثناء وجوده في تونس. إننا نواجه عامل الوقت ومشكلة تسرب المعلومات، إن الذين يعرفون عن عملنا ينفون علمهم، والذين لا يعرفون يصرحون، نرجو أن تسمعونا أفكاركم الجديدة حول عملنا.

أبو علاء: جئنا إلى هذا اللقاء على أمل الوصول إلى الصيغة النهائية التي تنقلنا من مرحلة التفاوض على النصوص إلى مرحلة التطبيق والتفاهم على الأرض. إننا نعتقد أن الوقت أصبح مشكلة جدية تماما. فلم يعد عملنا محصورا في الإطار الذي بدأنا به. صحافتكم تجتهد وتخترع كل يوم قصة، وكذلك الصحافة العربية، والعيون الدولية والعربية ترصد تحركاتنا. هذا بالإضافة إلى أن الراعي الأمريكي قد بدأ ينشط. فنحن على أبواب زيارة دينيس روس وكريستوفر ووزير خارجية روسيا. هناك أطراف كثيرة لن يروق لها وصولنا إلى إتفاق على هذا النحو. ولذلك فقد أعددنا موقفنا في مشروع متكامل وموضوعي يراعي كل العوامل والقضايا.

وبعد ذلك وزع المشروع الفلسطيني الذي جلبه الوفد معه ورفعت الجلسة لقراءته خاصة وأن الإسرائيليين كانوا قد سلموا وفدنا نسخة عن مشروعهم.

أوري سفير (في الجلسة المستأنفة): لقد سعينا مع قيادتنا للتخفيف من حدة موقفكم السابق، ذاكرا أن الأمور الجديدة فيه هي مجرد مقترحات. إلا أننا نجد أن هناك ستة وعشرون تعديلا في وثيقتكم الموزعة علينا. وبكل الصراحة لو أخذنا التعديلات المقدمة من قبلكم وعرضناها على قيادتنا فأعتقد أنها ستكون نهاية هذه القناة. ومع ذلك دعونا نستعرض الوثيقة بندا بندا لكي تتعرفوا على الأقل على الفجوة الكبيرة بيننا.

أبو علاء: يزعجني كثيرا عبارات إنهاء هذه القناة التي تكررت من أوري سفير، إن أهم شيء نقوم به نحن وأنتم، أن نقنع قيادتنا بالمعالجة العقلانية لقضايا المرحلة الإنتقالية وضرورة الإتفاق. أعتقد أن الوثيقة الأولى التي أعدت في ساريسبورغ هي الأرض الأساسية في النصوص والملحقات، ثم جرت تعديلات مشتركة وبقيت قضايا معلقة.

إذا قرأتم هذه الوثيقة محكومين بقراءات سابقة، فمن الممكن أن تجدوا ليس ستة وعشرين تعديلا، بل مائتي تعديل، وإذا قرأنا نحن وثيقتنا من جديد سنجد فيها الكثير من النواقص، ولكنني أعتقد أنه إذا قرأناها بشكل مشترك، سنوفق لجسر الهوة والوصول إلى قناعات مشتركة.

أوري سفير: لنتدارس وثيقتكم ونسعى لمقارنتها مع المواقف التي وصلنا إلى إتفاق حولها لإجراء عملية إنقاذ.

وهنا أخذ الطرفان يراجعان المشروع بندا بندا وكلمة كلمة، ثم يثبتان النقاط المتفق عليها، ويتركان النقاط المختلف عليها، إلى أن أصبحت كل الأمور واضحة سواء المتفق عليها أو المختلف عليها، وقد إستغرق هذا وقتا طويلا جدا إلى أن رفعت الجلسة للإستراحة. وفي الجلسة التالية وزعت الوثيقة التي تم بحثها للتتضمن مواقف الطرفينالمختلف عليها موضوعة بين أقواص. وباستعراض الأقواص تبين أنه لم يلغى منها إلا قضايا ثانوية.

أوري سفير: إقترح أن يقوم كل منا خلال الساعة المقبلة بالإتصال مع قيادته.

أبو علاء: كنت أعتقد أن هناك قضايا يمكن حلها، وقضايا أخرى سنجد لها حلولا مشتركة وقضايا نتشاور عليها مع قيادتنا وتتشاورون مع قيادتكم، لكن الوضع الذي أراه مختلف تماما، حيث أن القضايا الرئيسية لم يتم التعرض لها وما زالت عالقة ضمن أقواس، لقد قبلنا بكل شجاعة مرحلة إنتقالية شروطها صعبة على أن تظل مفتوحة بأمل لمرحلة نهائية تعالج جميع القضايا العالقة والصعبة. لكن طبيعة النصوص التي تصرون عليها تضعني في موقع عدم الإطمئنان والثقة لأنها تضع قيدا كبيرا على المرحلة الإنتقالية وتحولها إلى قضايا المرحلة النهائية. ففي مجال نطاق السلطة ومجال الأمن مثلا، جئتم بأشياء لا يمكن التعامل معها، ولا يمكنني شخصيا حتى مجرد التعامل معها أو نقلها إلى قيادتي. وكثير من المواضيع الأخرى وضعت بصيغة (حسب الإتفاق) أو(كما يتفق عليها)، وهذا يعني أنها تركت مفتوحة.

واليوم تضيفون إستثناءات وشروطا جديدة تفقد المشروع كل معنى أو مضمون. كيف يمكن أن تعترضوا على تعبير الحقوق السياسية، ونحن نتحدث ونرسم لمصالحة تاريخية؟ كنت أعتقد - ويبدو أنني مخطئ- أنه لا خلاف بيننا على تنفيذ القرار 242 في المرحلة النهائية. كذلك كنت أتصور أننا مواضيع المرحلة النهائية مثل القدس والمستوطنات واللاجئين والحدود والأمن..إلخ، لذلك أتساءل..ما هو المطلوب؟ وماذا تريدون؟ إنني سأعود محبطا تماما، فالصيغ التي أمامي تجعل جهود الشهور السبعة الماضية بدون معنى.

ثم طرح أبو علاء مجموعة قضايا أخرى خلافية، وأوحى لمستمعيه أنه قد يعتذر شخصيا عن الإستمرار في وسيطلب من القيادة تكليف شخص آخر غيره[17].

أوري سفير: إذا أغلقنا هذه القناة فإن ذلك وللأسف سيلحق ضررا كبيرا ر بالمصداقية، وسينهي إمكانية شرح نظر منظمة التحرير الفلسطينية في إسرائيل، مما سيقتل إمكانية أي لقاء على مستوى عال، إنكم بمطالبكم هذه تسعون إلى كشف المعارضة والحصول على دعمها على الرغم من أنها حالة ميؤس منها، فهذا ما تعلمناه من تجربتنا وسط اليمين الإسرائيلي. إن القيادة تتطلب شجاعة لا لكسب المعارضة بل لتحطيمها.

سأذكر شيئا وبحزن، وهو أن الفلسطينين هم ضحايا هذا الصراع، ولكن يجب عليكم أن لا تستمروا في الصورة السيئة المأخوذة عنكم وهي أنكم تضيعون فرصة[18]. من أجل إضاعة فرصة. ولستم وحدكم في هذا المجال فقد ضيعنا عام 1971 فرصة عقد سلام مع السادات مما كلفنا ثمنا باهظا.[19]

17 في الوقت الذي تحدث فيه أبو علاء عن إمكانية تخليه من مهمة أوسلو. كنت قد أبلغت في نفس اليوم أحمد الطيبي الذي حمل الأسلحة مع حاييم رامون بأنني أيضا سأتخلى عن مهمة رئاسة لجنة المفاوضات. ويبدو أن هاتين الرسالتين أسهمتا في تغيير موقف القيادة الإسرائيلية وعدلت مزاجها.

18 هذا قول مأثور لأبا إيبان الوزير الأسبق للخارجية الإسرائيلية.

19 كتب موشيه دايان في مذكراته هذه الحادثة وقال: «كنا إتفقنا مع السادات في عام 1971 على فتح قناة السويس والإبتعاد عن جانبيها من طرفنا وطرف المصريين. وعندما علمت الإدارة الأمريكية بهذا الإتفاق أرسل «نيكسون» مبعوثا خاصا وعلى جناح السرعة لمقابلة رئيس الوزراء وأبلغها بشكل حازم «ولا إنش» أي لا إنسحاب إطلاقا ثم يعلق دايان بقوله: «لو تم ذلك لنا لما كانت حرب يوم الغفران ولا كانت كل الخسائر التي وقعت فيها.

إن فشل قناتنا سيؤدي إلى نتائج سلبية، كأن يقوم تحالف بين الولايات المتحدة وعدة أطراف في المنطقة، ولذلك فإنني أفضل أن نتوصل إلى إتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية مباشرة. نرجو إعادة النظر في المواضيع التي تشكل بالنسبة لنا خطا أحمر. كذلك نحن سنوصي بما يجب أن نوصي به.

أنا لست من الذين ييأسون بسرعة، وإذا رأيتم أي أمل في إنقاذ هذه العملية، فأرجو أن تبذلو الجهد متفهمين لما هو مقترح عليكم ولما يمكن الحصول عليه. أرجو أن تتصوروا معنى التوقيع على إتفاق، حيث سنبدأ الإنسحاب ويتمكن الفلسطينيون من العيش بحرية، وسنخلق حقائق جديدة كالتقدم الإقتصادي وبناء الشرطة وغيرها. في نهاية عام 1993 ستحكمون غزة وأريحا وفي عام 1995 ستبدأ المرحلة النهائية. فما هو بديل لكل هذا؟ إنكم تعرفون مشاعرنا.. كم كنت أتمنى أن أخبركم كيف ستستمر إتصالاتنا؟

أهم النقاط الخلافية الواردة في مشروع 25ـ1993/7/26:

1. المادة الأولى من إعلان المبادئ/ الفقرة الثانية:

الإقتراح الإسرائيلي:
من المفهوم أن الترتيبات الإنتقالية هي جزء لا يتجزأ من مجمل عملية السلام، وأن مفاوضات الوضع النهائي ستقود إلى تنفيذ قراري مجلس الأمن 242، 338، كما يتفق عليه بين الطرفين في إتفاقية المرحلة النهائية.

الإقتراح الفلسطيني:
من المفهوم أن الترتيبات الإنتقالية هي جزء لا يتجزأ من مجمل عملية السلام وأن مفاوضات الوضع النهائي ستقود إلى تنفيذ قراري مجلس الأمن 242، 338 بكل أوجهها.

2. المادة الخامسة من إعلان المبادئ:

البند رقم 3
الإقتراح الإسرائيلي:
من المفهوم أنه في سياق مفاوضات الوضع النهائي، فإن كل طرف يمكن أن

يثير أية قضايا للمفاوضات. الممثلون الفلسطينيون قد ذكروا أنهم سيثيرون قضايا: القدس، اللاجئين، المستوطنات، الترتيبات الأمنية، الحدود، والعلاقات والتعاون مع الجيران الآخرين، وذكرت إسرائيل أنها ستثير قضايا الوضع النهائي للضفة الغربية وقطاع غزة وعلاقاتها مع الجيران.

الإقتراح الفلسطيني:
إن هذه المفاوضات تغطي القضايا المتبقية بما يشمل: القدس، اللاجئين، المستوطنات، الترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات والتعاون مع الجيران الآخرين. وأية قضايا أخرى ذات فوائد مشتركة.

3. المادة السابعة من إعلان المبادئ:

البند رقم 5
الإقتراح الإسرائيلي:
بعد الإحتفال بتشكيل المجلس فإنهسيتم حل الإدارة المدنية.

الإقتراح الفلسطيني:
بعد الإحتفال بتشكيل المجلس فإن الإدارة المدنية والحكومة العسكرية سيتم حلهما.

4. المادة الثامنة من إعلان المبادئ:

حول الأمن ،والأمن العام
تقرأ المادة على النحو التالي: لضمان الأمن العام والأمن العام الداخلي الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، فإن المجلس سيشكل بوليسا فلسطينيا قويا،بينما ستستمر إسرائيل في تحمل جميع مسؤوليات...

الإضافة الإسرائيلية:
الدفاع ضد أي تهديد خارجي أوتهديد بالإرهاب ضد الإسرائيليين وكذلك الأمن العام للإسرائيليين.

الإضافة الفلسطينية:
"بينما ستستمر إسرائيل في تحمل مسؤوليات الدفاع ضد أي تهديد خارجي"

5. المادة الثانية عشرة من إعلان المبادئ:

حول الإرتباط والتعاون مع الأردن وإسرائيل
الإقتراح الإسرائيلي:
ستقوم حكومة إسرائيل والمجلس بدعوة حكومة الأردن ومصر للمشاركة في تأسيس مكتب لترتيبات الإرتباط والتعاون بين حكومة إسرائيل والمجلس من جهة وحكومتي مصر والأردن من جهة أخرى.

الإقتراح الفلسطيني:
سيقوم الطرفان بالإقتراح على حكومتي الأردن ومصر للمشاركة في تشكيل مكتب الإرتباط والتعاون بين إسرائيل، المجلس، مصر، والأردن لينظر بين أشياء أخرى في طرق التعاون وحل المشكلات ودراسة ترتيبات عودة نازحي 1967.

6. المادة الرابعة عشرة من إعلان المبادئ:

حول الإنسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة وأريحا
الإقتراح الإسرائيلي:
ستنفذ إسرائيل إنسحابا متصاعدا لقواتها العسكرية من قطاع غزة ومنطقة أريحا (كما سيتفق عليه) وكما هو مبين في الملحق الثاني، وسيكون مقر المجلس في أريحا (إقتراح فلسطيني: أريحا أو غزة حتى الإحتفال بتنصيب المجلس).

الإقتراح الفلسطيني:
إسرائيل ستنسحب من قطاع غزة ومنطقة أريحا كما هو مبين في الملحق الثاني.

7. الملحق رقم (1) حول صيغة الإنتخابات:
البند رقم 3: الوضع المستقبلي للنازحين الفلسطينين الذين كانوا مسجلين في 4/ 1967/6 لن يجحف به..(إقتراح إسرائيلي: بسبب أنهم)..

(إقتراح فلسطيني: إذا) لم يتمكنوا في المشاركة في العملية الإنتخابية لأسباب عملية.

على الرغم من إنتهاء الجولة الحادية عشرة بالتشاؤم الذي عبر عنه الطرفان وهذا التشاؤم هو نوع من الضغط الذي يمارسه كل طرف على الطرف الآخر. أقول بالرغم من ذلك، فإن نقاط الخلاف قد حددت وحصرت وأصبح الحديث حولها وفي إطارها، وهذا يعني أن تقدما هائلا قد وقع، ولكن ما كان يجب أن يغرق أحد بالتفاؤل لأن الإتفاق قد يفشل في آخر لحظة على كلمة أو عبارة أو جملة.. ولذلك تكثفت الإتصالات ولعب النرويجيون دورا هاما في تنشيط هذه الإتصالات وتقريب وجهات النظر.

بعد وضع هذا المشروع وتحديد نقاط الإتفاق والإختلاف نشأت نقطة لدينا، وهي ضرورة الإشارة إلى المعابر(معبر غزة- مصر) و(معبر أريحا- الأردن) مع مطالبتنا بأن تكون السيطرة لنا عليهما.

هذا وقد كان متوافقا عليه بين الوفدين أننا في اللحظة التي ننهي فيها التوقيع على إعلان المبادئ ننخرط فورا في مباحثات من أجل الإعتراف المتبادل والذي سيتمخض عنه- إن حصل - الإتفاق حول إنتقال القيادة إلى قطاع غزة وأريحا. كذلك فقد طلبنا رسالة موجهة إلى وزير خارجية النرويج من وزير خارجية إسرائيل حول مؤسسات القدس الدينية والإجتماعية والثقافية وغيرها والمحافظة عليها. وبهذا يصبح إطار الصورة للإتفاق الكامل واضحا، ويبقى أن تسد بعض الثغرات المشار إليها أعلاه والتي تحتاج إلى مفاوضات مضنية، كانت مفاوضات الربع ساعة الأخيرة.

الجولة الثانية عشرة 14/8 /1993:

كرست هذه الجولة من قبل الطرفين لمحاولة إزاحة الأقواس عن بعض النقاط المختلف عليها، وتبع هذا، الدخول في مباراة حول استعمال التعابير والكلمات وأحيانا الفواصل والنقاط، لأن كلا من هذه الأمور تؤدي إلى معاني مختلفة حسب استعمالها ومكان استعمالها.

يونيل زينغر: إستعراض بعض النقاط التي يرى ضرورة التركيز عليها بالنسبة للموقف الإسرائيلي وهي:

- الإنسحاب من غزة وأريحا شريطة أن تكون أريحا مركز المجلس.
- يرى استعمال كلمة "OVER ALL" بالنسبة لصلاحيات الأمن الإسرائيلية.
- إن الإنسحاب من إريحا لا يشمل الجسور .
- والإنسحاب من غزة لن يكون كاملا حيث سيبقى بعض الجنود.
- لا مانع لديه من استخدام تعبير الحقوق السياسية.
- تساءل عن إمكانية بحث نقل مبكر للسلطات.

أبو علاء: أننا نفهم هذه العملية على أنها مجرد تغيير شخص بآخر أو استبدال إسرائيل بفلسطين، ولقد عرضت الولايات المتحدة من خلال دينس روس على فيصل الحسيني هذا الأمر، وأبلغه أنه مستعد لترتيب لقاء بينه وبين الأمير بندر للحصول على المساعدات للمؤسسات الفلسطينية إذا تمت الموافقة على نقل مبكر للسلطات.

أوري سفير: عاد إلى موضوع إعلان المبادئ، وشرح وجهة النظر الإسرائيلية حول مواضيع المرحلة النهائية، وانسحاب الحكم العسكري والمسؤوليات الأمنية الإسرائيلية، وغيرها من المواضيع المختلف عليها مثل الجسور وتسمية مدينة أريحا أو منطقة أريحا، بعدهاانتقل الحديث بعد تثبيت نقاط الخلاف إلى مسألة الإعتراف المتبادل.

لقد انتهت هذه الجولة أيضا باختلافات واضحة حول مجموعة من النقاط، وكرر الطرف الإسرائيلي حديثه عن إمكانية إغلاق قنة أوسلو بسبب الخلافات والصعوبات التي تواجهها.

الفصل العاشر

اللحظات الحاسمة

سبع ساعات تسجل من عمر الشعب الفلسطيني وتاريخه. سبع ساعات من الحوار عبر الهاتف وضعت حدا لصراع القرن العشرين، ورسمت أولى خطوات الشعب الفلسطيني على طريق الإنعتاق والتحرر، وحددت معالم مستقبل المنطقة، وفعلت ما لم يفعله عشرون شهرا من المفاوضات العقيمة في واشنطن، فأنجزت إتفاقا كاملا لمرحلة الحكم الذاتي الإنتقالي، بما في ذلك الإنسحاب من قطاع غزة ومنطقة أريحا.

كان فريق عملنا قد أعد في السابق مع الوفد الإسرائيلي مشروع إتفاق لم يكتمل، حيث توقف الطرفان عند تسع نقاط، بعضها يطالب بها فريقنا وبعضها يطالب بها الطرف الإسرائيلي، وظننا أن الأمر لن يحل، وأن الإتفاق قد لا يرى النور.

وبوصول شمعون بيريز إلى ستوكهولم يوم السابع من أغسطس/آب 1993، إلتقى هناك وزير خارجية النرويج الذي كان عراب اللقاءات الفلسطينية الإسرائيلية ومهندس المفاوضات السرية التي دامت مستضافة على أرض بلاده مدة تسعة أشهر تقريبا، وتبادل الوزيران الرأي، واستقر الموقف على إجراء إتصال هاتفي مع تونس، على مسمع من وزير خارجية إسرائيل الذي كان متلهفا لعقد الإتفاق، لأنه وضع فيه كل سمعته السياسية ومستقبله في وزارة رابين.

وهكذا بدأت المفاوضات من أوسلو إلى تونس، ومن أوسلو إلى تل أبيب حيث كان على الهاتف في تونس أبو عمار وأبو مازن وياسر عبد ربه وأبو علاء وحسن عصفور، وكان على الخط الآخر في ستوكهولم شمعون بيريز ووزير خارجية النرويج. وفي تل أبيب إسحاق رابين. وبدأ الحديث حول النقاطالساخنة والتعديلات المطلوبة عليها وآراء كل طرف فيها. وبعد أكثر من عشر مكالمات هاتفية استقر الرأي على إزالة كل الخلافات، وتم الإتفاق على اللقاء في أوسلو، يوم الخميس 8/19 /1993 حيث سيتم التوقيع بالأحرف الأولى.

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة صباحا عندما انتهت آخر مكالمة هاتفية ووقفنا جميعا مندهشين لا نصدق هذه النهاية الي توصلنا إليها، ولم نتبادل كلمة واحدة،إلا أنه خطر ببال أحدنا أن ياتي بمصور ليلتقط لنا صورة تذكارية تخلد هذه اللحظة التاريخية التي حققناها، إلا أننا ما لبثنا أن تذكرنا أن مرحلة الجهاد الأصغر قد انتهت أو أوشكت على نهايتها وستأتي مرحلة الجهاد الأكبر، كيف نتدبر أمورنا.. كيف ننجح في هذا التحدي؟ وهل يمكن لنا أن ننجح؟

بحدود الساعة العاشرة من مساء نفس اليوم 1993/8/17 تجمعنا في مكتب عرفات الذي أبلغنا أنه تلقى مكالمة من هولست وزير خارجية النرويج المتواجد حاليا في السويد مع بيريز ووزير خارجية إسرائيل، وأنهما ينتظران أن نتحدث معهما من أجل إنهاء باقي القضايا المعلقة لأننا أمام فرصة تاريخية قد لا تتكرر وهي أحداث الإختراق المطلوب، ويعتقد هولست أنه يمكن حل القضايا على الهاتف مستغلين فرصة وجود بيريز معه، وإذا احتاج الأمر فإنه من الممكن إجراء إتصال مباشر مع رابين الذي ينتظر على الطرف الآخر في تل أبيب.

وبهذه الطريقة فإننا يمكن أن نعقد اجتماعا على الهاتف يضم الجانب الإسرائيلي والجانب النرويجي والجانب الفلسطيني، إضافة إلى وجود كل المرجعيات التي قد تحتاج إليها المفاوضات، بحيث يمكن أن يبت بشكل مباشر بكل مسألة تطرح على بساط البحث.

لقد وجدنا أنفسنا أمام لحظات حاسمة وصعبة في آن معا، وعلينا أن نتحمل مسؤولياتنا وأن لا نترك هذه الفرصة تفلت من بين أيدينا، بخاصة وأن الطرف الإسرائيلي متمثلا بالوزير بيريز يبدي حدا عاليا من الإهتمام والرغبة الشديدة في التغلب على كل الصعاب والوصول إلى حل، قبل أن تكشف وسائل الإعلام قناة أوسلو وتقضي عليها،أما الوزير النرويجي هولست والطاقم الذي يعمل معه فقد وجدوها مناسبة لإنجاح القناة التي رعوها منذ البداية والتي سيسجل لهم التاريخ أنهم أصحاب فضل في حل المشكلة الفلسطينية.

تسع مكالمات هاتفية بين تونس وستوكهولم استغرقت سبع ساعات كاملة،وبطبيعة الحال بين كل مكالمة وأخرى،كانت مكالمات مماثلة تتم بين ستوكهولم وتل أبيب للتشاور مع إسحاق رابين، وقد تناولت هذه المكالمات القضايا المتبقية والتي تحتاج إلى تفاهم عليها ومنها.

1. **المادة الأولى من إعلان المبادئ:** كانالخلاف حول هذه المادة يتعلق بتطبيق القرارين 242 ، و338، حيث يرى الإسرائيليون أنه ينص على أن ما يتفق عليه الطرفان هو تطبيق للقرارين، بينما يرى الطرف الفلسطيني ضرورة الص صراحة على تطبيق القرارين المذكورين، وقد قبل الرأي الفلسطيني وأصبح نص المادة المعتمد هو. أن المفاوضات حول الوضع الدائم ستؤدي إلى تطبيق قراري مجلس الأمن 242 و338.

2. **الفقرة الثالثة من المادة الخامسة:** وتتعلق هذه الفقرة بمواضيع المرحلة النهائية، وقد حاول الإسرائيليون أن يتجاهلوا ذكر هذه المواضيع، وأن يكتفي بالإشارة إلى أن كل طرف يمكنه أيذكر هذه المواضيع، بينما أصر الجانب الفلسطيني على تحديد المواضيع دون لبس أو غموض، بحيث يصبح الطرفان ملزمين بمناقشتها وإيجاد حلول لها عندما يحين الموعد المقرر لبدء بحثها. ومن خلال المباحثات الهاتفية تم الإتفاق على ذكر هذه المواضيع لتصبح الفقرة على النحو التالي:"من المفهوم أن المفاوضات سوف تغطي القضايا المتبقية بما فيها القدس، اللاجئين، المستوطنات، الترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات والتعاون مع جيران آخرين ومسائل أخرى ذات الإهتمام المشترك".

3. **المادة السابعة، الفقرة الخامسة:** في البداية وافقت حكومة إسرائيل على إلغاء الإدارة المدنية ولكنها أصرت على أن تحتفظ بالحكومة العسكرية الإسرائيلية في الأراضي المحتلة بحجة وجود المستوطنات والإسرائيليين الذين سيتواجدون في هذه الأراضي، إلا أننا كنا نصر على ضرورة إلغاء الإدارة المدنية والحكومة العسكرية لأنه من غير الجائز أن تكون هناك حكومتان على أراضي الضفة الغربية، وقطاع غزة، حكومة فلسطينية مؤقتة وحكومة عسكرية اسرائيلية. بعد نقاش طويل على الهاتف تم التوصل إلى الصيغة التالية:"بعد تنصيب المجلس سيتم حل الإدارة المدنية وانسحاب الحكومة العسكرية الإسرائيلية".

كان المتكلم من تونس أبوعلاء، ومنا جميعا نتابع الحوار من خلال مكبر الصوت الذي يتيح لنا فرصة الإستماع إليالطرف المتكلم في ستوكهولم وهو الوزير النرويجي هولست، والذي كان يجلس إلى جانبه الوزير بيريز وعدد من أركان وزارتي خارجية كل من إسرائيل والنرويج، وبعد ذلك يحصل صمت بحدود نصف ساعة أو أكثر تكون خطوط الهاتف بين ستوكهولم وتل أبيب مشغولة وبنفس الصورة.

كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ولم ننجز إلا ثلاث نقاط. تبقى لدينا عدد آخر من النقاط بحاجة إلى توضيح، ومن ثم أن يتم الإتفاق عليها. وتستمر المكالمات الهاتفية، بينما الغرفة التي تعج بدخان السجائر،ورائحة القهوة العربية التي تكدست فناجينها على الطاولات وامتلأت منفضات السجائر بالأعقاب، ويرن الهاتف لنتابع الحديث، وننتقل إلى نقطة أخرى:

4. **المادة الرابعة من الملحق رقم (2) الخاص بغزة وأريحا:** كنا منذ أن تم الإتفاق على الإنسحاب من غزة ومنطقة أريحا نتحدث عن السيطرة على المعابر المؤدية إليها سواء من مصر أو من الأردن، وكان الإسرائيليون يرفضون مجرد الإشارة إليها لأنهم يعتبرونها جزءا من الأمن الخارجي الذي سيبقى بأيديهم خلال المرحلة الإنتقالية، كذلك فإنهم يرفضون أن تتولى السلطة الفلسطينية مسؤولية هذه المعابر لأنها تعتبر مظهرا من مظاهر السيادة، وبالمقابل كنا نصر على إيجاد صيغة حل وسط بين الموقف الإسرائيلي وموقفنا، حتى تمكنا في النهاية من الوصول إلى صيغة غامضة، ولكنها مقبولة وهي على النحو التالي:

الإتفاق أعلاه سيتضمن ترتيبات من أجل التنسيق بين الطرفين فيما يتعلق بمعابر مصر- غزة وأريحا- الأردن.

وبالإضافة إلى هذه المادة من الملحق رقم (2)، كذلك فقد جرى حوار طويل حول المادة الخامسة من نفس الملحق، والتي حاولنا أن نؤكد فيها بأن السلطة الفلسطينية مسؤولة ليس فقط عن المكاتب في قطاع غزة وأريحا، بل أيضا عن كل المكاتب التي تنتقل إلى باقي الضفة الغربية، كذلك رغبنا أن نؤكد

مقر السلطة الفلسطينية الوطنية ليس غزة أو أريحا فحسب، بل يمكن أن يكون في أي مكان آخر في الضفة الغربية وبخاصة بعد إجراء الإنتخابات، وفي النهاية تم التوصل إلى الصيغة التالية: "المكاتب المسؤولة عن الإضطلاع على صلاحيات ومسؤوليات السلطة الفلسطينية حسب الملحق رقم(2) من إعلان المبادئ سيكون موقعها في قطاع غزة ومنطقة أريح بانتظار تنصيب المجلس".

بقيت قضايا بسيطة، وكانت الساعة قد تجاوزت الثالثة والنصف صباحا، وكان لا بد من الإنتهاء منها، إلا أننا تمكنا خلال ساعة تقريبا من الوصول إلى صيغ بشأنها وهي:

- مفاوضات المرحلة النهائية، بحيث جعلنا الصيغة مرنة والمدة قابلة للإختصار عندما أشرنا إلى أنها يمكن أن تبدأ في أقرب وقت ممكن على أن لا تتجاوز بداية السنة الثالثة.
- كذلك الأمر بالنسبة لمدة المفاوضات كلها بحيث أصبحت:" بحيث لاتتجاوز السنوات الخمسة".
- ثم ثبتنا الوجود الدولي المؤقت والمتفق عليه، وكان الإسرائيليون يرفضون ذلك.

بعد أن انتهت المكالمات الهاتفية مع الوزير هولست والوزير شمعون بيريز، وحلت كل النقاط الخلافية التي كانت معلقة، وتم الإتفاق على اللقاء في أوسلو للتوقيع بالأحرف الأولى على إعلان المبادئ، كانت الساعة قد اقتربت من الخامسة صباحا. اتصلت بسفيرنا في القاهرة سعيد كمال، وطلبت إليه أن يبعث إلى أوسلو على وجه السرعة المستشار القانوني طاهر شاش الذي رافق وفدنا في واشنطن منذ بدء العملية التفاوضية، وذلك من أجل مراجعة النصوص قبل التوقيع عليها والإطمئنان إلى صحتها وعدم وجود أية ثغرات أو مطبات فيها، إلا أن طاهر شاش لا يعرف شيئا عن أوسلو، ولا نستطيع أن نفصح له عن طبيعة مهمته، وكان عليه أن يغادر سرا، ويتولى تدبير سفره بنفسه، حرصا على أهمية مهمته.

إلتزم طاهر شاش بما طلب منه، ووصل إلى أوسلو في الساعة الخامسة من عصر يوم الخميس 1993/8/19، حيث التقاه أبو علاء الذي سلمه نص إعلان

المبادئ وطلب إليه أن يتفحصه ويعطي رأيه فيه، وبالفعل درسه بشكل جيد وبعد عدة ساعات أبلغ أبا علاء بأن النص جيد ولا عيوب فيه، ثم قفل عائدا إلى القاهرة.

الجلسة الختامية:

غادر الوفد تونس إلى أوسلو يوم 1993/8/18 وذلك من أجل التوقيع على الإتفاق بالأحرف الأولى، وقد تم ذلك في تمام الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم 1993/8/20. وفي الساعة 15,30 من نفس اليوم عقدت الجلسة الختامية بين الوفدين للإتفاق على الخطوات اللاحقة، وقد جرت الجلسة على النحو التالي:

أوري سفير: من الضروري المحافظة على سرية ما جرى فهذا موضوع حساس جدا بالنسبة لنا، إلى أن يأتي الوقت الذي تتحول فيه هه القناة الخلفية إلى قناة أمامية ، وخلال ةهذه الفترة فمن المناسب استمرار إتصالات، مثلا مع نبيل شعث، ونحن على استعداد أن نرسل أشخاصا لمقابلته لاستمرار الإتصالات معه لأنها تشكل غطاء جيدا لهذه القناة.

أبو علاء: نحن نعرف حساسية الموضوع ونشارككم الرأي، حتى بالنسبة لنا فنحن نريد المحافظة على سرية هذه القناة لمواصلة أعمال اللجان.

زينغر: بالنسبة للنقاط السبعة، الذي أعرفه أن النص المكتوب بالعربية، فهل لديكم نص بالإنكليزية.

أبو علاء: حسنا لدينا ترجمة غير رسمية.

زينغر: هل يمكن أن تسلموا لنا النص المترجم.

أبو علاء: من الأفضل أن أقرأ الترجمة قراءة فقط (قرأها بالسرعة الإملائية).

زينغر: لقد فهمت من مناقشتك مع سفير وهير شفيلد بأن مطلبنا بوقف الإنفاضة ترفضونه، لا تستطيعون تثبيته.

أبو علاء: الإنتفاضة لا يمكن وقفها بقرار، أنظر ماذا يجري في مصر، الدولة تقرر ولكن هناك جماعات تعمل ضدها، لذا المسألة ليست مسألة قرار ... من الضروري أن نعمل سويا على الأرض لإقناع يشعبنا، لا أن نتخذ قرارا يضعنا في مواجهة مع الشعب، فهذا لن يخدم السلام الذي نسعى له. وكما تلاحظ من النص الذي قرأته، أن هناك إشارة واضحة إلى الأمن والسلام، الإنتفاضة هي شكل من أشكال مقاومة الإحتلال والظلم، يجب إزالة الأسباب التي من اجلها إندلعت الإنتفاضة.

زينغر: إننا غير مخولين الآن بمناقشة النص ولذا فإننا نستفسر،ولا نستطيع ان ندخل الآن في صياغات، هل هناك تاريخ معين يمكن أن تتوقف فيه الإنتفاضة؟

أبو علاء: عندما يجري تقدم عملي وحقيقي في عملية السلام على الأرض فإن الشعب بنفسه سيغير من تصرفاته، ولكن وقفها لا يتم بقرار، فالإنتفاضة ليست هواية.

زينغر: هل يمكن أ تصدر تونس بينا تدعو فيه لوقف الإنتفاضة.

أبو علاء: لا هذا غير ممكن، الإنتفاضة مستمرة، لأن أسبابها مستمرة ما لم يحدث تقدم ملموس على الأرض فهي مستمرة.

أوري سفير: عندما تصبح المنظمة أمام الرأي العام الإسرائيلي هي مثلة الشعب الفلسطيني، فقيادتها أيضا يجب أن تتحمل مسؤولياتها. نحن لا نطلب منكم المستحيل مثل القول للشعب "كونوا سعداء"، ولكم المنظمة لها تأثيرها على الشعب فالبيانات التي تصدر في الضفة الغربية وغزة تقف المنظمة خلفها، فهي التي تصدر التعليمات، نحن نريد أن نحول

جهود الشعب تجاه السلام، والمنظمة قادرة على أن تساهم في ذلك، نحن ندرك أن هناك "حماس" ولا نتوقع أن تسيطر المنظمة على كل شيء، ولكن من الممكن أن تصدر بينا فحواه تحويل جهد الشعب من العنف إلى الإنتاج والسلام.

أبو علاء: لا نستطيع أن نطلب من شعبنا وقف الإنتفاضة لأنه كما قلت فإن الأسباب ما زالت قائمة، يجب أن نصنع مستقبلا للأطفال ونخرجهم من اوضاع الفقر، ونوفر فرص العمل في الأرض المحتلة، إن إستمرار الإحتلال وتدهور الأوضاع هما أسباب إستمرار الإنتفاضة.

زينغر: ألا يمكن ان تطلب المنظمة من الشعب أشياء إيجابية فحواها بطريقة أخرى وقف الإنتفاضة مثل التوجه إلى العمل بدل حمل الحجارة والتعاون بدل العنف.

أبو علاء: لا مكان لهذا البيان، فالبيان يشير للإرهاب ونحن ضده ويشير للأمن ونحن معه، التقدم يجب أن يكون على الأرض، دعني أسأل سؤالا هل تريدون المنظمة ضعيفة أم قوية؟

زينغر + سفير: نريدها قوية.

أبو علاء: حسنا، دعنا نتفق على البيان الذي يحوي ضمانات لكم، وعندما يحصل تقدم على الأرض فإننا تلقائيا سنطلب من شعبنا التوجه نحو البناء.

هيرشفيلد: نحن نريد أن نخبر شعبنا ونصارحهم بأن إسرائيل تتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها قائدة الشعب الفلسطيني، وهذا يعني أن على المنظمة أن تتحمل مسؤولياتها.

أوري سفير: نحن نريد ان نعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية، وهذا يتطلب ان تؤثر المنظمة بشكل مباشر على الرأي لعام الإسرائيلي قبل

هذا الإعتراف، بكلمة أخرى أن البيان المطلوب يجب أن يكسر الحاجز النفسي ما بين الرأي الإسرائيلي ومنظمة التحرير الفلسطينية، نحن نريد أن نغير سياسة إسرائيل ونريد ان تساعدونا في ذلك، لقد قال بيريز في حفل التوقيع بأن ما من أحد يريد أن يرى إستمرار الصراع وأن مستقبلا أفضل من حاضرنا يجب أن نسعى لتأمينه لأطفالنا وللأجيال المقبلة.

أبو علاء: بالنسبة للبيان إنكم تعرفون المنظمة جيدا، لقد تم تغيير دراماتيكي في سياسة المنظمة وتوجهاتها الجدية نحو السلام، ويجب ألا تحملوها أعباء من شأنها إضعافها، من المستحيل وقف الإنتفاضة بقرار وأنتم تعرفون ذلك، إن البيان الذي قرأته كاف جدا ويلبي طلباتكم، الطريق الوحيدة لوقف الإنتفاضة هو إزالة الأسباب- الإحتلال- الهيمنة- التدهور الإقتصادي.

زينغر: هل يمكن ان تقولوا بأن إستمرار الإنتفاضة لا يتمشى مع إعلان المبادئ الذي إتفقنا عليه؟

أبو علاء: الإنتفاضة ليست بناية يمكن هدمها، ولكن يمكن أن نضيف في البيان بأننا ندخل مرحلة جديدة مثلا.

زينغر: إنني أستفسر، من الواضح أنكم قد أعددتم واجبكم المنزلي HOME WORK أما نحن فلم نفعل ذلك ولكن ماذا يمكن ان تضيفوا في البيان؟

أبو علاء: إشارة مثلا لدخولنا مرحلة إعادة البناء والتطور اللاإقتصادي والتعاون أو شيء من هذا القبيل، ليس من صالحكم ولا حتى من صالحنا أن نطالب بوقف الإنتفاضة حتى لا نخدع بعضنا.

زينغر: لقد تأثرت كثيرا بخطابك في الإفتتاح، وهو يحتوي كلمات وعبارات يمكن ذكرها في البيان، إن وثيقة إعلان المبادئ مليئة بتعابير مفادها السلام والتعاون فلماذا لا تستطيع المنظمة أن تقول أوقفوا الإنتفاضة.

أبو علاء: وثيقة إعلان المبادئ هي بمثابة خطوة جوهرية نحو السلام وتعكس التحول في سياسة المنظمة. فالبيان الحالي والوثيقة يكفيان.

زينغر: أرجو أن تتفهموا مطلبنا. لقد سبق وأن أشرتم في بيان في القاهرة وآخر في جنيف للإرهاب. ألا يمكن أن تكرروا تلك الإشارة في البيان.

أبو علاء: إن موقفنا من الإرهاب لم يتغير. والنص الوارد في البيان المقترح واضح ويغطي ما ذكرت.

زينغر: لقد سبق وأن أخبرت أوري سفير بمسودة بيان آخر ويتضمن نقاطا حول المواضيع والأسئلة التي وجهناها لكم. هل يمكن أن أحصل على نسخة من تلك المسودة؟

أبو علاء: سأقرأها (قرأها بالسرعة الإملائية).

بعد القراءة هذه الأفكار من جانبنا. وأرجو أن تأخذوا بعين الإعتبار أن ما تحتاجونه ليس مجرد ورقة وليس الضغط على منظمة التحرير الفلسطينية. إنكم بحاجة لمنظمة قوية. إن الإمتحان الفعلي هو تعاوننا وتنفيذ إعلان المبادئ. كل منا قد يخطئ ولكن يجب أن ننسق.

أقترح أن يلتقي أبو مازن وبيريز ويتفقان على نص لأن هناك أشياء لا أستطيع الإجابة عليها. وبعدها يتم لقاء مع عرفات.

زينغر: بيريز لن يدخل في إعداد النصوص. هذا من واجب الخبراء ونحن ما زلنا نستكشف الأمور.

أوري سفير: إن من مصلحتنا أن نعزز وندعم منظمة التحرير الفلسطينية. وهناك أشياء أخرى كثيرة يمكن أن نفعلها مثل تعزيز علاقتكم مع أوروبا وفتح علاقات مع أمريكا وإنشاء لجان في مجال

الإقتصاد وغيرها ... وهذا يتطلب أن يقتنع رابين بأن المنظمة قد تغيرت وأصبحت شريكا فعليا في عملية السلام.

من المفهوم الآن أن لديكم الإستعداد لإصدار بيان، وهذا ما سأخبر به رابين وبيريز، سأنقل وجهة نظركم، فالامر يحتاج لمتابعة. من المتوقع ألا يحدث تغيير في تركيبة وفدنا للتفاوض حول مسألة البيان وسنخبركم بالتطورات.

أبوعلاء: إن لقاء بين بيرز وأبي مازن ليس لقاء تفاوض، إنه لقاء إتخاذ قرار، ومن الأفضل أن نتابع الموضوع كما فعلنا بالنسبة لوثيقة إعلان المبادئ والإستمرار في استخدام قناة النرويج.

زينغر: لنفرض أن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية قد عادت إلى غزة، هل سيكون عرفات هو مثلا رئيس المجلس أم سيحرك الأمور دون أن يكون رئيسا للمجلس.

أبو علاء: لا أعتقد أنه سيكون رئيس المجلس؟ هو الذي يحدد دوره. ولكنه المرجعية لكل النشاطات.

زينغر: هل ستكون المنظمة هي الحكومة. هل ستكون أنت مثلا مسؤولا عن المالية؟

أبو علاء: إنني حتى لم أسأل هذا نفسي هذا السؤال. بالتأكيد فإن المنظمة ستحرك الأمور، ولكن كيف، لا أدري على وجه التحديد. إن كانت لديكم أفكار فأرجو أن تخبرونا.

زينغر: من الممكن أن يكون هناك جسم مسؤول عن الأعمال الواردة في وثيقة إعلان المبادئ، ولكن المنظمة لها مسؤوليات أكبر بما في ذلك العلاقات الخارجية، وهذا يعني أن يكون هناك جسمان، وهذه مجرد أفكار.

أبو علاء: المنظمة مسؤولياتها أوسع بكثير من المجلس المشار إليه في وثيقة إعلان المبادئ. نقترح مثلا، وهذه مجرد فكرة، عقد مجلس

وطني في غزة كي تصبح قرارات المجلس متناسقة مع ما ورد في وثيقة إعلان المبادئ.

أوري سفير: إننا نعرف أن عرفات هو الذي سيكون المحرك وسيكون السلطة، ولكن لا يمكن نقل كل أجهزة الدولة إلى غزة. فالمنظمة لها أجهزة دولة. ولربما سيكون لعرفات مركز في غزة ومركز في الخارج كي لانخلط ما بين الفترة الإنتقالية والفترة النهائية. إن هذه مجرد أفكاري.

زينغر: إننا بحاجة لنفكر معا حول هذه المواضيع.

أوري سفير: إنني لم أسأل أحدا حول موضوع عقد اجتماع للمجلس الوطني وأعتقد أن هذا أمر غير سهل.

أبو علاء: إذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية في غزة، فإنها ستسهل أكثر تنفيذ ما اتفقنا عليه في وثيقة إعلان المبادئ.

أوري سفير: هناك أشياء كثيرة يجب أن نفكر فيها معا.

الفصل الحادي عشر

هل حافظنا على أسرار أوسلو؟

كانت المحافظة على سرية المفاوضات في مسار أوسلو صعبة إن لم تكن مستحيلة لاعتبارات موضوعية. وحيث أننا كنا مضطرين للإفصاح عن هذا المسار دون أن تتأثر سريته سواء على المستوى العربي أو الدولي أو الفلسطيني، فإن اختيار الأشخاص أو الجهات أو الدول التي يجب أن تعرف، كان صعبا تحت طائلة إساءة هذا الإختيار وبالتالي كشف السر بكامه وتدمير المسار. وكان لا بد من تحصين موقف المفوضين والمشرفين على المفاوضات وذلك لحمايتهم ولحشد التأييد المسبق لهم من قبل هذه الفعاليات الضرورية. لقد كنا بين نارين، نار المحافظة على السرية، ونار حشد التأييد اللازم لنتائج هذه المفاوضات إن نجحت.

عندما بدأت المفاوضات في أوسلو، اقترح الوفد الإسرائيلي أن يبلغ الحكومة الأمريكية والحكومة المصرية، وعندما أبلغنا الوفد الفلسطيني بهذا الإقتراح وافقنا عليه، شريطة أن يبلغ الإسرائيليون الحكومة الأمريكية ونحن نقوم بإبلاغ الحكومة المصرية. وبالفعل قام شمعون بيريز كل من وارن كريستوفر ودان كيريتزر من الإدارة الأمريكية، إلا إن هذين الرجلين لم يأخذا الأمر جديا واكتفيا بأخذ العلم، دون أن يعطيا هذه المسألة أية أهمية أو اهتمام يذكر.

أما بالنسبة لنا فقد أستمر الإتصال بعمرو موسى وأسامة الباز، نطلعهما أولا بأول على تفاصيل المفاوضات، وقد حرص الإثنان على أن يحصروا هذا السر بينهما، وبطبيعة الحال فقد كان يبلغان الرئيس مبارك بموجز ما يجري، إلا إن أحدا آخر في الإدارة المصرية لم يتسرب إليه أي خبر حول هذا الموضوع ضمانا لسريته.

وكثيرا ما كان المصريون يلتقون بمسؤولين أمريكان مثل دينيس روس أو غيره، فكانوا يتكتمون تماما ويمتنعون عن ذكر أوسلو أمامهم، لأنهم كانوا يعرفون إن هؤلاء الأشخاص خارج دائرة المعرفة. ولذلك كانو يتجاهلون ذكر هذا الموضوع إطلاقا، ويكتفون بالحديث معهم والحوار معهم عن مسار واشنطن وما يجري فيه.

في مصر ومن طرفنا، لم يكن يعرف هذه الأمور إلا سعيد كمال، وفي إحدى المرات اصطحبت معي أبا علاء حتى يشرح للمصريين تفاصيل ما يجري في أوسلو. وقد استغرب الكثيرون من القيادة سفر أبي علاء إلى القاهرة، لأنه لم يكن له دور سياسي في مجال الإتصالات مع المصريين.

وتذرعنا بأن هناك قضايا تتعلق بمسار المفاوضات المتعددة ولا بد أن تبحث معه، لأن المسؤولين المصريين عن هذا المسار بحاجة إلى تفاهم حولها. وبهذه الحجة أمكنني أن أصطحبه وحده إلى الخارجية المصرية للقاء عمرو موسى دون أن يكون دون أن يكون ممن يفترض أن يرافقونا في القاهرة إلى مثل هذه اللقاءات.

نحن نعيش على الأرض التونسية، والتونسيون لا يتدخلون إطلاقا بشؤوننا الداخلية، ولا يحاولون أن يفرضوا رأيا أو موقفا علينا، وإنما يتركون لنا حرية التصرف بكل ما نريد على أرضهم سسواء كان هذا يعجبهم أو لا يعجبهم، وكثيرا ما طالبنا منهم أن ينقلوا إلى الأمريكان أو الدول الأوروبية رأيا أو موقفا أو مطلبا. وعلى هذا الأساس فإنه من غير المعقول أن لا يطلعوا على ما يجري في أوسلو. ونحن نعرف مدى حرصهم على قضيتنا واستعدادهم لأية خدمة أو جهد يبذل من طرفهم. ولذلك كان لا بد من أن نطلعهم على مسار أوسلو.. ولكن كيف؟

لا بد من الحديث المنفرد مع وزير الخارجية أو مع كاتب الدولة للشؤون الخارجية، على أن يتم ذلك خارج إطار وزارة الخارجية. وهكذا رتبت لقاء منفردا مع سعيد بن مصضفى حدثته خلاله عن مسار أوسلو ومضمون الإتصالات الفلسطينية الإسرائيلية، وحرصنا على المحافظة على سرية هذا المسار، ورغبتنا بالإفصاح عن هذا السر للتونسيين لثقتنا بهم ولمعرفتنا بردهم الإيجابي والإستماع إلى نصاءحهم. ووعدته بأن أبلغه أولا بأول عن كل التطورات التي يمكن أن تحصل في المستقبل. وقد حافظ التونسيون على السر طيلة مدة المفاوضات ولم يخرج منهم أي إشارة لأية جهة كانت، حتى أنهم لم يظهروا أبدا بأنهم كانوا يعرفون شيئا عندما اعلن عن التوقيع حتى لا يحرجونا، ونسأل لماذا يعرفون وغيرهم كثير لا يعرف.

لقد عرض علينا جلالة الحسن الثاني أكثر من مرة ضرورة الإتصال المباشر بالإسرائيليين. وكان جوابنا دائما بأنهم يرفضون وإننا نتمنى أن يقبلوا الإتصال بنا، ولكنهم رفضوا كل الوساطات التي بعثنا بها إليهم. وفي السابع والعشرين من رمضان 1413 للهجرة، كنت وفيصل الحسيني في زيارته، فما كان منه إلا أن انفرد بي وأعاد علي السؤال، لماذا لا تتصلون بالإسرائيليين؟ ألم يحصل تقدم في موقفهم؟ فقلت له نعم لقد حصل جديد يا صاحب الجلالة ونحن نلتقي الآن. فرد علي" هذا عظيم جدا وأرجو إبلاغي مباشرة بكل ما يجري". وفي هذا اللقاء تم الإتفاق على أن يتولى سفيره في تونس الإتصال بي والحصول على المعلومات التي ينقلها مباشرة إلى جلالته دون أية واسطة. وبقينا على هذا الحال حتى 1993/8/17 حيث كان السفير في إجازة وتعطلت الواسطة. إلا إنه في هذا التاريخ أبلغت سفيرنا في المغرب بالنتائج الأخيرة، في وقت كنا قد أنهينا كل الترتيبات اللازمة للتوقيع. وأطلعته على المعلومات اللازمة وغادر فورا ليكتب تقريرا سريعا يبعثه بصفة سرية لجلالة الملك عن طريق مدير المخابرات المغربي اللواء القادري. وفي يوم 1993/8/20، اتصلت به هاتفيا وطلبت إليه إعلام الملك بأن التوقيع على الإتفاق بالأحرف الأولى قد تم بالفعل.

وكن بعد مضي أشهر على بدء أوسلو نشعر بحرج شديد لأننا لم نبلغ الأردن، وبالذات جلالة الملك حسين شخصيا. لأن الأردن شريكنا في المفاوضات وهو الذي أعطانا الغطاء القانوني للوصول إلى مدريد. وهو الذي ساعدنا في مفاوضات الكوريدور في أول جلسات واشنطن حتى نفصل المسار الأردني عن المسار الفلسطيني، وهو الذي نتحدث باستمرار عن الدخول معه في كونفدرالية، وزد على أن العلاقات بين الشعبين الأردني والفلسطيني علاقات متميزة. هذه الأسباب تجعلنا غير قادرين أبدا على مواجهة نتائج غضب الملك حسين لو توصلنا إلى إتفاق مع الإسرائيليين وفوجئ بهذا الإتفاق.ولذلك اقترحنا على أبي عمار، عندما يلتقيه وكان ذلك في شهر إبريل/ نيسان أن يبوح له بالأمر ويبلغه بأننا سنضعه في الصورة عندما نصل إلى نتيجة. ولما عاد أبو عمار من عمان أفهمنا إنه وضع الملك بالصورة وإنه راض عن هذا المسار. إلا إنني أعرف أبا عمار عندما يريد أن يقول شيئا ولا يريد قوله..بحيث تكون النتيجة أن المستمع ام يفهم منه شيئا. ولذلك رغبت أن أسافر إلى الأردن لأشرح للملك ما حصل بشيئ من التفصيل. إلا أنني لسوء حظي

لم أجده هناك وعدت دون أن أخبر أحدا. وذهبت مرة أخرى وقابلته، ولكن لم يكن وحده كما لم أكن وحدي، ومن غيراللائق أن أطلب الإنفراد به لأحدثه في الامر حتى لا أثير ريبة الحاضرين وشكوكهم وتساؤلاتهم.. فعدت إلى تونس. في محاولة ثالثة كانت النتيجة نفسها، حيث كان قد غادر عمان.. فانفردت بصديق مشترك ومقرب من الملك حسين وهو الدكتور أشرف الكردي، وقلت له: أرجو أن تبلغ جلالة الملك بأنني حضرت إلى عمان ثلاث مرات لأتحدث معه بأمر خطير يتعلق بالمفاوضات، ومن سوء حظي لم أتمكن من ذلك، وآمل أن أنجح في المرة الرابعة.

لم تأت المرة الرابعة، لأن الوقت قد فات وحصل التوقيع في أوسلو ونشر الخبر في الصحافة الإسرائيلية وغضب الحسين غضبا شديدا، لأننا أخفينا عليه الأمر من بدايتهة إلى نهايته..ولا أدري أن تقبل حججي وأعذاري أو لم يتقبلها، إلا إنني أقول، له الحق في أن يعتب.

في 1993/8/17 وفي صبيحة هذا اليوم، كنا قد أنهينا مفاوضات أوسلو بشكل نهائي، وأعددنا أنفسنا لسفر الوفد خلال بضعة أيام للتوقيع. زارني السفير السعودي في تونس إبراهيم السعد، وتحدثنا في امور شتى، ثم قلت له بأننا على وشك الوصول إلى إتفاق مع الإسرائيليين وتمنيت عليه أن يبلغ الملك فهد شخصيا، وأن يحصر المعلومات في أضيق نطاق، لأن الأمر لم ينشر ولم ينته بعد. وبالفعل وصل الخبر للملك، ووصل جواب الملك فهد سريعا بأنه سعيد. وغن المملكة تؤيد ما نقرر وإنها معنا في ذلك وتمنى لنا التوفيق. وفي 8/20 أبلغت السفير، الذي تمنى علي أن أزوده بكل جديد، بأن التوقيع في أوسلو قد حصل، وإننا بصدد عملية الإخراج وهذا يحتاج إلى بعض الوقت.

تلك هي الأطراف العربية التي اطلعت عللى قناة أوسلو، والحقيقة إنها لم تكن تسأل عن تفاصيل وإنما كانت تتابع باهتمام وحرص وتتلقى معلوماتنا بكل الجدية.. وفي نفس الوقت فإننا نسجل لها إنها لم تسرب ولم تنشلر ولم تتحدث، فقدكان الجميع على مستوى المسؤولية. كنا نتمنى ، نبلغ كل الدول العربية المعنية والمهتمة. ولكن في نفس الوقت كنا نخاف ان تفشل القناة فيتهموننا بالعبث وعدم الجدية.

هذا على المستوى العربي، أما المستوى العالمي فكان من غير الممكن أن لا يعلم الراعيان ما يجري، وإن لم نخبرهما فنحن نتصور إن مخابراتهما ستكتشف الأمر. وما دام الإسرائيليين قد أعلموا بشكل رسمي الولايات المتحدة الأمريكية،فإن واجبنا أن نعلم الروس الذين تربطنا بهم علاقات صداقة قديمة، وبيننا لجنة تنسيق مشتركة تجتمع شهريا في موسكو وتونس، وقد مضى على إنشاء هذه اللجنة خمس سنوات لم تخلف موعدا، وهذا يدل على حرص الروس على المتابعة وعلى استمرار العلاقات الودية والتنسيق معنا.

لم يعد الروس كما كانوا أيام الحكم الماركسيالسوفييتي، فقد تراخت اليد الحديدية عن الموظفين وكبار المسؤولين، وأصبح من غير الممكن ضمان حفظ المعلومات والأسرار كما كان الأمر في الماضي. ولذلك فقد فكرت طويلا قبل ان أبوح بما لدي للمسؤولين الروس، لأنه كان علي أن أختار الوقت المناسب كما أختار الشخص المناسب الذي أطمئن إليه وأثق بأنه لن يتحدث أو يثرثر أو ينقل المعلومات إلى جهات تسعى إلى تسريبها إلى وكالات الأنباء ووكالات الإستخبارات.

لي صديق أعرفه منذ عشرين سنة عندما كان وزيرا مفوضا في سفارة الإتحاد السوفييتي في دمشق، ثم إنتقل إلى الإدارة المركزية، وبعدها عمل سفيرا في عمان والعراق وفي النهاية إستقر به المقام رئيسا لدائرة الشرق الأوسط وأفريقيا، تلك الدائرة التي تتعامل معنا مباشرة وبشكل يومي، هذا الرجل هو فكتور باسافليوك. لقد كنت أثق به ثقة تامة لأنه كان يبدي كل الإهتمام بالقضية الفلسطينية، كما يحرص كل الحرص على تنمية علاقاتنا الثنائية، وكان يحاول أن يزيل العقبات الكثيرة التي إعترضتها وبخاصة إبان حرب الخليج وأثناء الإنقلاب الفاشل على ميخائيل جوربتشيف. ذلك الإنقلاب الذي أيده بعض من قيادة المنظمة، الأمر الذي جعل أعدائنا يستغلون هذا الموقف ويطالبون بإقفال سفارة فلسطين في موسكو. إلا أن هذا الرجل دافع عنا وصمد في وجه التيار المعاكس ونجح في تثبيت السفارة وتثبيت العلاقة، بل وتطويرها.

لقد أبلغت فكتور باسافليوك عن قناة أوسلو، بخاصة وإنني سبق أن طلبت منه فيما مضى أن يسعى لدى الإسرائيليين أن يقيموا قناة خلفية معنا

في موسكو، إلا أنهم رفضوا ذلك. أبلغته وأخذ الأمر على محمل الجد، وقال أنه الطريق الصحيح والوحيد إذا أردتم الوصول إلى نتائج إيجابية، لأن قناة واشنطن خاضعة لابتزاز الأضواء والخطب والكلمات المتبادلة وتبني المواقف.

وعندما كنا على أبواب الجولة الحادية عشرة والتي كانت ستعقد في نهاية شهر أغسطس/ آب 1993، طلب مني فكتور أن أحضر إلى موسكو للعمل في إطار لجنة التنسيق، حتى يتعرف المبعوث الروسي الذي سيكون قريبا من وفدنا إلى أفكارنا ومطالبنا وآراءنا. وبالفعل وصلت إلى موسكو في 1993/8/23، وعقدنا جلسة عمل رسمية وحضرها سفيرنا القائم بالأعمال في سفارتنا، وكذلك حضرها عدد من أعضاء دائرة الشرق الأوسط وأفريقيا. وتناول الحديث الورقة الامريكية التي قدمها السيد جيرجيان لوفدنا قبيل إنتهاء الدورة العاشرة، ثم المناقشات التي دارت حولها عند زيارة دينيس روس إلى المنطقة وتبعه وزير الخارجية وارن كريستوفر، الجهود الأمريكية لتقريب المواقف الفلسطينية الإسرائيلية. ثم تحدثت أيضا عن أننا سنقدم أفكارا إيجابية وبناءة، لكي لا تفشل هذه الدورة كما كان مصير سابقاتها .. وانتهت الجلسة بغداء عمل مع نائب وزير الخارجية السيد كولوكوف. وبعد ذلك إنفردت بالسيد فكتور وقلت له: إنسى كل ما قلناه في الجلسات الرمسية .. لقد وقعنا الإتفاق بالأحرف الاولى مع الإسرائيليين في أوسلو .. ولربما لن نكون بحاجة إلى الجولة الحادية عشرة لأن كل شيئ قد إنتهى. لن يعلم الأمريكان حتى الآن بما حصل لأن الإسرائيليين طلبوا أن نعطيهم مهلة لثلاثة أيام أخرى حتى يبلغوهم، لذلك فإنني أرجوك أن تحتفظ بهذه المعلومة لنفسك حتى يقوم شمعون بيريز ووزير خارجية النرويج بزيارة واشنطن وإبلاغ كريستوفر بذلك شخصيا.

لم أنتهي من كلامي حتى هجم فكتور علي يقبلني ويهنئني على هذا الإنجاز التاريخي العظيم، ونسي في غمرة فرحته أن يسألني عن تفاصيل ما حصل. كما نسي أن يسألني عن طبيعة الإتفاق وحدوده وآفاقه والقضايا التي تناولها. لقد رأيت السعادة والغبطة تلمعان في عينيه حتى ظننت أنه يبكي فرحا. بعد ذلك جائني مندوب صحيفة الحياة في موسكو جلال الماشطة ليسألني عن طبيعة المحادثات وما جرى فيها فقلت له:سأعطيك سبقا صحفيا، خلال ستة أشهر بالتحديد أو لنقل خمسة أشهر فقط

سيكون هناك حل فلسطيني، وأرجو أن تكون متأكدا أنيي واثق كل الثقة من كل كلمة أقولها، إلا أن جلال لم يتعامل مع الخبر على أنه سبق صحفي.

كان أعضاء سفارتنا يحضرون هذا اللقاء وقد فغروا أفواههم بالدهشة. لانهم لم يتعودوا أن يسمعوا مني مثل هذا الكلام المحدد والحاسم، وعندما إستفسروا مني عن هذا الخبر وطلبوا المزيد. قلت لهم سجلوا تاريخ اليوم، وكلما مر يوم أخصموه من المدة التي حددتها .. إنني أقول كلاما لا لبس فيه ولا غموض ولا إبهام وإن الإتفاق واقع حتما.

هذا على المستوى العالمي. ومن حسن الحظ أن الأخبار لم تسرب، وإن كان فكتور قد عاتب الإسرائيليين على إخفاء أخبار أوسلو عنهم قائلا: من المؤسف أنكم تجاهلتمونا ونحن الراعي الثاني لمؤتمر السلام، ولم تعلمونا شيئا عن قناة أوسلو، بينما أبلغنا بها الفلسطينيون، ونحن نشكر ثقتهم بنا.

لا شك أن عتب الروس على الإسرائيليين أوقعهم في حرج .. وأوقعنا نحن أيضا في حرج مع الإسرائيليين، لأننا لم نقل لهم بأننا أبلغنا الروس بالقناة، حتى يتداركوا الأمر ويقوموا بما قمنا به.

إن إقتصار المعلومات على ثلاثة فقط من اللجنة التنفيذية وهم ياسر عرفات وياسر عبد ربه وأنا، لا يكفي لتطويق موقف هذه اللجنة، بحيث أن شخصا مثل بشير البرغوثي، الأمين العام لحزب الشعب الفلسطيني وهو رجل يتمتع بقدر كافي من الوعي والإحترام والتقدير، وحيث أنه يعيش في الأرض المحتلة، وحيث أنه شريك أساسي في المجموعة التي تمارس عملية التفاوض وتدافع عنها، فقد كان لزاما علينا أن نطلعه منذ البداية، ليشاركنا الرأي والمشورة فيما نحن فاعلون، وأيضا ليشاركنا الدفاع عن الإتفاق على توقيعه، لأن رأيه محترم لدى عدد من الناس وهذا كفيل بإقناعهم.

لقد إطلع البرغوثي على الأفكار المطروحة على بساط البحث في أوسلو. فأبدى كل الإرتياح لها وتمنى النجاح والتوفيق، وتابعت الإتصال به في مناسبات مختلفة حتى تم التوقيع، وقد وقف ليدافع عن الإتفاق، كما وقف كل أعضاء حزبه الموقف نفسه، وهذا ما ساعدنا على الحصول على الأغلبية في اللجنة التنفيذية.

إن لأبي ماهر حضوره في أوساط فتح كما له إحترامه في أوساط المنظمات الفلسطينية لأنه يتمتع بمصداقية وشفافية وصدق، وقد سبق له أن شارك في لجنة متابعة مفاوضات واشنطن وأدلى بآرائه فيها. لكنني واظبت على تزويده بالوثائق والأخبار بعد أن إنقطع عنها حتى يبقى مطلعا على مجريات الأمور هناك.

وعندما بدأنا قناة أوسلو أعلمته منذ البداية بها. وأطلعته باستمرار على كل المعلومات والتطورات حولها. وبطبيعة الحال لم يصدر عن أبي ماهر أية إشارة لأي جهة على الإطلاق تشير إلى أنه مطلع على ما يجري أو أنه يعرف شيئا حفظا للسرية وضمانا للكتمان، حتى تم التوقيع ووقف وقفة رجل للدفاع عن الإتفاق، وكانت كلمته الشهيرة التي ألقاها في 1993/10/11 في المجلس المركزي الفلسطيني، حيث دافع دفاعا مشرفا وهاجم بعنف وبموضوعية أولئك الذين يرفضون الإتفاق ويشهرون بالقيادة التي وقعت عليه، وبلا شك فقد كان له أثر كبير في إستقطاب عدد كبير من أعضاء القيادة والمجلس الثوري.

ولعل من المفيد أن نشير إلى إستقالة محمود درويش من اللجنة النفيذية، تلك الإستقالة التي جاءت قبل الإعلان عن إتفاق أوسلو، وقد وردت في ظروف مختلفة تماما عن ظروف الإتفاق، حيث أن الجو العام في تونس كان يدعو إلى الإحباط واليأس. لقد كان درويش عضوا في لجنة متابعة مفاوضات واشنطن، ومطلعا بشكل عام على مفاوضات أوسلو. وكان ينظر بمجمل الحل إلى قلب الشاعر وعقل السياسي ونظرة الإنسان المجرب الذي عانا من الإحتلال عندما كان في إسرائيل، وفهم عقلية الإسرائيليين الذين عايشهم أكثر من عشرين عاما، عرفهم من خلالها وتعرف على نمط حياتهم وأسلوب تفكيرهم وآفاق طموحاتهم وتناقضاتهم وأوضاعهم الداخلية. ولذلك كان حريصا في النهاية على متابعة أوسلو وما بعدها وكان يحثني على المثابرة وعدم الملل والرغبة في الإبتعاد، وفي نفس الوقت إستمر في إستقالته، لأن العمل في اللجنة التنفيذية لا ينسجم من وجهة نظره مع مزاج الفنان وعاطفة الشاعر وبتناقض مع إبداع الأديب.

بين المحافظة على سرية مسار أوسلو وبين التخوف من ردود فعل المفاجأة عند إعلان التوقيع، كانت الحسابات دقيقة جدا، فبمقدار ما حرصنا على

إحاطة عملنا بهذه السرية التي أبهرت العالم وصعقت الكثيرين الذين لم يخطر ببالهم أن الساحة الفلسطينية بهذه التركيبة الغريبة والعجيبة تحفظ سرا وتخفيه تسعة أشهر كاملة دون أن تتسرب من طرفنا كلمة واحدة للصحافة أو وسائل الإعلام، في نفس الوقت كان إختيارنا دقيقا وانتقائيا للجهات التي يجب أن تطلع بصورة أو بأخرى على مجريات الأمور على المستوى الفلسطيني في اللجنتين التنفيذية والمركزية، وعلى المستوى العربي وعلى المستوى الدولي. وجاء هذا الإنتقاء لضمان التأييد في الوقت المناسب، وهكذا بمقدار ما ضبطنا السر وحافظنا عليه، بمقدار ما أبلغنا جهات مختلفة منتقاة ومضمونة، حفظته وأيدت موقفنا. لاننا نعرف أن الإنسان -مجرد إنسان- عدو لما يجهله، وبالتالي فإن عدم علم هذه الجهات التي أبلغت قد يجرها إلى الرفض لمجرد أنها لا تعرف، وإن لم ترفض بشكل قاطع فإنها في أحسن الظروف ستضعنا في موقف حرج يتعلق بالثقة أو عدم الثقة بها، وهو ما كنا نريد أن نتلافاه لأننا بحاجة دائمة لأن نحيط أنفسنا بموقف يدعمنا لا يعارضنا أو يقف منا موقف الحياد.

منذ أن إنضم أوري سفير مدير عام وزارة الخارجية الإسرائيلية بتاريخ 1993/5/21 بدأت أشعر بشيء من الإطمئنان إلى مسار أوسلو وأعلق عليه بعض الآمال التي تنعكس على ردود فعلي المتفائلة أمام كل مساعدي والعاملين معي والذين ألتقي بهم في أمكنة مختلفة، وكان الكل يستغرب هذه اللهجة المتفائلة في الوقت الذي يستمعون فيه إلى تصريحات مختلف أعضاء القيادة وأعضاء الوفد، الذين كانوا يتحدثون بلهجة إحباطية مؤكدين أن مسار واشنطن قد وصل إلى طريق مسدود، وأنهم لن يعودوا إلى الجولة القادمية.

وبدءا من شهر مايو/ أيار 1993 إرتفعت عندي لهجة التفاؤل والأمل في كل المناسبات وبخاصة في التعليقات الصحفية والتصريحات. أما في الجلسات المغلقة فقد كنت أتحدث بلغة حازمة حاسمة بأن الحل قادم قبل نهاية العام. هنا أذكر حادثة طريفة، حيث إلتقيت حسيب الصباغ في تونس وسألني: أسمعك تتحدث بتفاؤل بالغ ما سببه فقلت له: لدي معطيات كثيرة تجعلني أتفاءل، إنني مطلع على مجريات الأمور الداخلية في إسرائيل وأمريكا، وأنا متأكد من قدوم حل قريب. فرد حسيب قائلا: إنني أثق بما تقول، هل أستطيع

أن أعتمد إعتمادا كليا على ذلك فقلت له: إطمئن .. وإنني أرى الحل قريب كما أراك أمامي وهو قادم لا محالة.

ثم أوحيت له بأن أمورا خفية تجري، وحدثته عن طبيعة الحل القادم وشرحت له كل المعلومات والنقاط التي سترد فيه.

إقتنع الصباغ بكل كلمة قلتها، وراح يروج الكلام دون الإشارة إلى التفاصيل أو المصدر، ولكنه كان يقول: إن الحل قادم قبل نهاية العام وأنا أثق كل الثقة من ذلك. سمع كلامه محسن قطان الثري الفلسطيني المعروف وهو أيضا صديق لي، وكان عضوا بارزا في المجلس الوطني ومجلس الصندوق القومي، وفي نهاية الستينات كان رئيسا للمجلس الوطني، وأعلن إنسحابه عند حرب الخليج من المجلس الوطني والصندوق وغيرهما إحتجاجا على موقف المنظمة المنحاز إلى العراق. سمع القطان ما قاله الصباغ فعلق بقوله: إن هذا هراء ولا أساس له من الصحة وإن من قاله لك يعيش أوهاما وأحلاما زائفة، وإن المنظمة تريد أن تروجه من أجل إثبات وجودها ومن أجل لفت الأنظار عن أوضاعها المتردية التي بدأت تنذر بدمارها، نتيجة سياستها الخرقاء في حرب الخليج.

أصر الصباغ على موقفه ولم يتراجع قيد أنملة، معيدا على أسماع الحاضرين، الذين كان منهم عبد المجيد شومان رئيس مجلس إدارة البنك العربي، كل ما قاله في البداية، وهنا قال قطان: هل تراهنني على هذا؟؟ أنا أدفع مليون دولار إن حصل إتفاق قبل نهاية العام، وأنت تدفع مليون دولار إن لم يحصل ذلك في الوقت المحدد، ويقدم هذا المبلغ تبرعا لصندوق التعاون. قبل الصباغ الرهان، ووثقه بصفة رسمية شومان. ثم إتصل بي الصباغ مستوثقا: هل أنت متأكد مما قلت لي، لقد راهنت محسن قطان على مليون دولار؟ قلت له "إطمئن ويمكن أن ترفع المبلغ" وبعد أقل من شهر ونصف أعلن الإتفاق وكسب الصباغ الرهان.

عندما قررنا أن نبدأ الحوار مع الإسرائيليين في أوسلو واجهتنا مشكلة مالية، وهي أمر تدبير مصاريف الوفد وثمن تذاكر السفر وإقامته هناك دون أن نلفت نظر موظفي الصندوق القومي إلى ذلك. فاتفقت مع أبي علاء على أن يقدم

لي سلفة شخصية بمقدار عشرة آلاف دولار، تسجل علي في مالية حركة فتح وأسددها في الوقت المناسب. وبالفعل إستلمت المبلغ وسلمت الأعضاء المبلغ الكافي ليدفع ثمن تذكرته ومصاريف إقامته هناك. واشترطت عليهم أن لا يطلبوا من موظفي الحجز المسؤولين في المنظمة حجز تذاكرهم، وإنما عليهم أن يذهبوا بصفة شخصية إلى شركات الطيران ويشتروا التذاكر بأنفسهم على أن لا تكون طريقهم مباشرة إلى أوسلو، بل أن تمر عبر محطات مختلفة، وأن تكون هذه المحطات أيضا مختلفة من شخص لآخر، بحيث لا يلتقون في أي مكان في أوروبا وأن يتجنبوا الإتصال بأية سفارة فلسطينية في طريقهم، وأن لا يستعملوا الهاتف إطلاقا، وأن يعودوا بأوقات مختلفة ومن محطات مختلفة. أما في أوسلو فعليهم أن يتجنبوا أي لقاء ولو بالصدفة مع سفيرنا هناك أو أحد أركان سفارته.

وعندما إنتهت العشرة آلاف دولار طلبت سلفة عشرة آلاف أخرى، وثالثة ورابعة وخامسة، ولما سلمني مسؤول المالية السلفة الخامسة قال لي:

أخ أبو مازن لقد كبرت السلف ولم تسددها ولم تبلغنا كيف تصرفت بها لأننا نريد أن تقفل الحسابات فقلت له: "أرجو أن أسددها لكم في أقرب وقت ممكن ولن يتجاوز الأسبوعين، وبالفعل لم يمض الأسبوعان وإلا وأعلنا الإتفاق فقلت لمسؤول المالية: أموالكم ذهبت في أوسلو وهذا هو الحساب، وبرأت ذمتي منها.

هذا على الجانب الفلسطيني، فهل كان هناك ما يلفت النظر على الجانب الإسرائيلي؟ لا شك أن المجموعة التي كانت تعرف معلومات عن مسار أوسلو غير معروفة لنا، لأن رابين حصر هذا الأمر في إطار الوزارة المصغرة والتي تقتصر على بضعة وزراء وعدد من كبار المستشارين والموظفين المقربين له. لكن شمعون بيريز لم يكن متحفظا في تصريحاته الكثيرة والتي كان يفهم منها أن أمرا ما يجري في الخفاء، لأنه يقول:" نحن والفلسطينيون قريبون من الوصول إلى حل أكثر بكثير من توقع البعض". بينما يرى السياسيون والصحفيون نتائج واشنطن غير المشجعة، فلا بد أن يستنتجوا مما يمكن أن يستنتجوه أن أمرا ما يطبخ في الخفاء، كان بيريز يكرر عبارته المتفائلة أمام الصحفة يوميا بشكل تقريبي، ولم يكن ينف بشكل حازم ما يقال

عن لقاءات معه أو حتى إجتماعات مع آخرين، تاركا لخيال الصحافيين والسياسيين تصور ما يريد حول هذا الموضوع. وفي نفس الوقت كان يرغب في تهيئة الرأي العام الإسرائيلي لما نحن مقبلون عليه. ولذلك كان لا يترك مناسبة دون أن يشير إلى تفاؤلاته وقناعته بأن الحل قادم لا محالة. وهكذا كان كثيرا ما يصل إلى حافة الحافة حتى كاد أن يفضح كل شيء. وفي يوم 1993/8/19 كان شمعون بيريز في أوسلو، وكان في مساء ذلك اليوم مدعوا مع الوفد المرافق له على العشاء من قبل السفير الإسرائيلي هناك. وكان متفقا مع الوزير النرويجي على أن يطلبه عندما يصل المطعم. حتى جاء الهاتف يطالب بيريز بسرعة الذهاب إلى مقر رئيس الوزراء للأهمية، والواقع أن سبب الطلب كان البدء بمراسم التوقيع بالأحرف الأولى على إعلان المبادئ ولا بد أن يكون بيريز حاضرا هذه اللحظة التاريخية. وعندما تم التوقيع عاد إلى وفده وأعضاء سفارته وكأن شيئا لم يكن.

عندما كنا في مرحلة أخيرة من مفاوضات أوسلو تم الإتفاق بين وفدنا والوفد الإسرائيلي على أن تكون عملية إخراج الإتفاق، هو بإرسالها للأمريكان ليتبنوها، ومن ثم يقدمونها للوفدين على أنها مقترح أمريكي نهائي، وعلى الوفدين إما أخذه أو تركه. إلا أن الإسرائيليين ما لبثوا أن سربوا إعلان المبادئ وملحقاته جميعا، حيث نشرتها صحيفة يديعوت أحرونوت، الأمر الذي أفسد الخطة المتفق عليها، وأصبح لزاما علينا أن نتعامل مع عملية إخراج الإتفاق بطريقة أخرى. وقد أصيبت الإدارة الأمريكة بحرج شديد، فهي تعرف ولكنها لم تأخذ الأمر على محمل الجدية، ولا تعرف بأن الإتفاق كان قد تم توقيعه في أوسلو. ولذلم فإذا أعلنوا أنهم يعرفون وأنهم وراء الإتفاق، سيفهم الجميع أنهم يكذبون، وإذا قالوا بأنهم لا يعرفون فمعنى هذا أنهم آخر من يعلم، وهم الراعي الأول للمفاوضات. وكان لا بلد من إجراء مشاورات حول طريقة الإعلان الأمريكي عن مسار أوسلو وقد علمت أنهم تشاوروا مع الدكتور أسامة الباز حول مادة الإعلان الأمريكي، الذي صدر في بيان عن وزارة الخارجية الأمريكية، والذي تحدث عن وصول الإسرائيليين والفلسطينيين إلى إتفاق، وعن دور هام قامت به الولايات المتحدة، وذلك بعد لقاء وارن كريستوفر مع بيريز وهولست.

في الثالث عشر من أكتوبر/ تشرين الأول 1993 كان الموعد النهائي للتصديق على الإتفاق الفلسطيني الإسرائيلي من قبل الجهات التشريعية لكلا

الطرفين. حيث تبدأ فورا أعمال اللجان المتخصصة في تطبيق إعلان المبادئ. وقد تم الإتفاق بين عرفات ورابين يوم 1993/10/10 حيث إتفق الإثنان في القاهرة على تشكيل عدة لجان فرعية تتبع لجنة عليا، سميت لجنة المتابعة، وهي تجتمع في القاهرة برئاسة الجانب الفلسطيني، ورئاسة شمعون بيريز للجانب الإسرائيلي.

وبعد أن أنهنت اللجنة أعمالها، وبعد أن عقدت لقاء منفردا مع بيريز حضره من طرفه يوسي سريد وزير البيئة الإسرائيلي ومن طرفنا سعيد كمال سفير دولة فلسطين في القاهرة، وجرى الإتفاق على مجموعة من القضايا التي تتعلق بطبيعة عمل اللجنة واللجان الأخرى، كما جرى إستعراض لبعض القضايا الجانبية. بعد ذلك دعانا عمرو موسى وزير خارجية مصر إلى مائدة غذاء في وزارة الخارجية، وقد جلس يوسي سريد وتحدثنا في أمور شتى. لأننا كنا نعرف عن بعضنا منذ زمن بعيد، وإن كنا لم نلتقي إطلاقا إل في هذه المناسبة. وقد إستعرض على الغداء تاريخه السياسي منذ كان في حزب العمل وخلافاته مع جولد مائير ثم إنسحابه من الحزب وانضمامه إلى حركة حقوق المواطن التي تترأسها شولاميت آلوني، ثم تكوين إئتلاف ثلاثي تحت إسم حركة ميرتس، وهاهو الآن وزير في حكومة إئتلافية مع العمال، ولكنه كان يكره رابين كثيرا وينتقده ويفضل عنه شمعون بيريز باعتباره أكثر إنفتاحا وليونة في مواقفه السياسية. إلا أنه الآن يحترم رابين، إذا قال كلمة لن يتراجع عنها فهو صاحب موقف.

ثم إنتقل الحديث إلى الإتفاق الإسرائيلي الفلسطيني وأهمية تطبيقه وضروة العمل السريع من أجل ذلك، مشيرا إلى أن رالوزراء الذي يثق به كل الثقة كان قد إطلع على مجريات المفاوضات في أوسلو، ولكنه كان يحافظ على السر كمن يقبض على جمر، لأن الأمر في منتهى الخطورة وفي منتهى الأهمية. وهو في نفس الوقت لا يستطيع التحدث به لأحد لدرجة تمنى أن لا يكون قد عرف بمثل هذا السر لانه عبء ثقيل.

ثم قال: لم يكن رئيس الوزراء مؤمنا بشكل كلي بقناة أوسلو، وربما لأن الذي يتولاها هو شمعون بيريز، وهو في نفس الوقت لا زال يأمل أن تتقدم قناة واشنطن التي تجري برعاية أمريكا .. إلا أن رابين تحول موقفه فجأة عندما

أرسلت له رسالتك مع أحمد الطيبي عبر حاييم رامون وزير الصحة. وهي الرسالة ذات الأسئلة الخمسة والأجوبة الخمسة.

قلت له: لكن الأسئلة والأجوبة كانت معروفة لكم، وسبق أن ناقشناها مطولا في أوسلو ولا يوجد بها جديد.

قال: ليس الأجوبة هي التي أثرت به، ولكن الرسالة الشفوية التي نقلت له هي التي غيرت موقفه.

هنا تذكرت ما حصل: في الوقت الذي وصل فيه الطيبي إلى تونس يحمل الأسئلة، كان وفدنا في أوسلو قد وصل إلى طريق مسدود مع نظرائه الإسرائيليين حول مجموعة من النقاط الأساسية، وقد قرر وقف المفاوضات والعودة إلى تونس.

وقد كنت في حالة قلق نفسي كبير. ولذلك صببت جام غضبي أمام الطيبي وحملته رسالة قاسية إلى رامون ورابين. قلت بأننا سنوقف المفاوضات وسوف أستقيل من مهامي في لجنة المفاوضات. بطبيعة الحال لم أشر إطلاقا لما يجري في أوسلو. وطلبت منه نقلها. واتضح لاحقا إن الطيبي كان ذكيا بما فيه الكفاية، فقد أبلغ حاييم رامون بأن أبي مازن على وشك الإستقالة، وإن ذلك سيؤدي بطبيعة الحال إلى وقف المفاوضات وبالتالي إلى إسقاط الإئتلاف الحكومي في إسرائيل. هذه الرسالة التي نقلها الطيبي هي التي أدت كما تبين إلى التغيير في مسيرة المفاوضات.

بعد التوقيع على الإتفاق تحدثت مع الطيبي وكشفت له غرضي من تلك الرسالة التي حملها، فأبدى سعادة كاملة لأنه حمل شيئا أدى دورا هاما في عملية السلام من حيث لا يدري، ولكنه من حيث يرغب.

نظرا لحصر العدد المقحم في عملية أوسلو، حيث أن ثلاثة يفاوضون في أوسلو، وثلاثة يشرفون على هذه العملية. فقد تم الإتفاق على على عدم إجراء إتصالات هاتفية من تونس إلى أوسلو، ولذلك لا أحد يعرف أرقام هواتف الوفد. إضافة إلى ذلك فإن تنقل الوفد من مكان إلى آخر في النرويج، جعل من الصعب إستعمال الهاتف من قبلنا.

لكننا سمحنا بأن يجري الوفد بعض الإتصالات القصيرة والمشفرة معنا. بحيث أعطينا كل نقطة من النقاط التي ستكون مثار البحث رقما ونحتفظ بنسخة من الأرقام عندنا ونسخة أخرى مع الوفد. وبالتالي يجري الحديث حول الأرقام دون الخوض بالتفاصيل المتعلقة بالنقطة مجال البحث إلا في أضيق نطاق. وهذا ما ثبت فيما بعد، حيث أن عمليات التنصت على الهواتف لم تأت بأي نتيجة، ولم تكشف أي دولة من تلك الدول التي تهوى التنصت على الهواتف الدولية، تلك الإتصالات التي دامت تسعة أشهر كاملة. وكنا في كل جولة التي تستمر من ثمان وأربعين ساعة إلى إثنتين وسبعين ساعة، لا نسمع أكثر من مكالمة واحدة أو إثنتين في أصعب الظروف. وكان الذي يتكلم في أغلب المكالمات حسن عصفور معي فقط، ونادرا ما تكلم أبو علاء إلا إذا إضطررنا لذلك ولمرات تعد على أصابع اليد. أما بالنسبة لأبي عمار وياسر عبدربه فلم يجري معهما أي إتصال على الإطلاق طيلة مدة المفاوضات.

كذلك لم نعقد أي اجتماع في أي من المكاتب الرسمية للوفد المفاوض والوفد المشرف، وإنما كنا نختار بيتي دائما للقاء فيه، لأنني تعودت أن لا يزورني أحد بدون موعد مسبق، وهذا ما كان يعطينا الأمان بأن أحدا لن يقرع الباب ليحرجنا عندما يرى الحاضرين، ثم لن يفكر بالأسباب التي تدعوهم لمثل هذا اللقاء. والحقيقة إن جميع الإجتماعات كانت تتم ليلا وفي أوقات مختلفة ولمدة محدودة، بحيث تناقش بسرعة كل القضايا وتتخذ المواقف والقرارات فيها وينصرف الحاضرون فرادى وليس دفعة واحدة. ومن حسن الحظ إن أعضاء الوفد لا يثيرون أية شكوك لدى الآخرين، لأنه لا يمكن أن يخطر ببال أحد أنهم يقومون بدور تفاوضي ما.

عبر الهاتف، كنا نستعمل الإسم الحركي للمسار بكلمة "المتعدد" وهذه تعني مفاوضات مسار أوسلو. وكان مسموحا بسؤال واحد لا أكثر وهو: ما هي أخبار المتعدد؟ وهناك جواب واحد فقط: إما جيدة أوسيئة. وتمنع الإستفاضة في الحديث أو الأسئلة الإضافية مهما كانت. وعلى السائل عندئذ أن ينتظر حتى يتم اللقاء به، ليجري البحث بالتفاصيل والحديث عنها.

أما إ ذا كان الإستفسار عن سفر الوفد أو عودته بالهاتف. فكان السؤال: "هل عاد الطيار "؟ إشارة إلى حسن عصفور؟ وكان الإسم المتداول لأبي علاء هو

أحمد. أما عن الوسطاء النرويجيين فلا نذكر إسم البلد أو إسم أي شخص منه. وإنم نكتفي بالإشارة إلى إسم أطلق على أحد أعضاء الوفد النرويجي وهو" أبو عجقة" أما إسمه الحقيقي فهو(تيري لارسون-رئيس منظمة الفانو في وزارة الخارجية. وهو الآن سفير بوزارة الخارجية النرويجية) وقد أطلق عليه هذا الإسم، الإسم السري للوفد النرويجي وللنروج. أما بالنسبة لي فلم يكن وفدنا يذكر إسمي إطلاقا. إلا إن النرويجيين أعطونيإسما باللغة الإنكليزية وهو"THE HOLY SPIRIT" وأصبح شائعا بين الأطراف الثلاثة. بحيث إذا أرادوا الإشارة لي يطلقون هذا الإسم. والحقيقة لا أعرف سببا لهذا الإسم.

بعد انضمام أوري سفير مدير عام وزارة الخارجية إلى الوفد الإسرائيلي المفاوض في أوسلو. وشعرنا أن تطورا قد حصل من قبل الحكومة الإسرائيلية بإرسال هذا الرجل. بعد أن كان الإثنان الأولان(هيرشفيلد ورون بونديك) يدعيان بأنهما فقط يحضران بصفة أكادمية لا أكثر. وبدخوله إلى المفاوضات ازداد حماسنا لهذه القناة واهتمامن بها. وبعد جولة من وصوله. أصبح للوفد الإسرائيلي إسما رمزيا وهو "أب جعفر". فمن أين جاء هذا الإسم؟

يطلق على عبد اللطيف أبو حجلة المدير العام للدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية إسم "أبو جعفر" نسبة إلى ابنه البكر، وهذا الموقع يقابل موقع "أوري سفير" في وزارة الخارجية الإسرائيلية. ومن هنا جائتنا فكر أن نطلق على الوفد الإسرائيلي وبالذات على" أوري سفير" إسم "أبو جعفر". وأصبحت هذه التسمية معروفة في أوساط الوفود الثلاثة الفلسطيني والإسرائيلي والنرويجي.

الفصل الثاني عشر

غزة - أريحا من أين إلى أين؟

منذ فترة طويلة وزعماء إسرائيل من مختلف الأحزاب يمينها ويسارها يتحدثون عن ضرورة الإنسحاب من قطاع غزة. سواء أكان ذلك في عهد الليكود أو في عهد العمل. إلا أن جميع هذه التصريحات لم تصادف أي رد فعل من الجانب الفلسطيني، إن لم يكن حديث البعض عنه سلبيا، فب رفضه لهذه الفكرة.

فقد كان ديفيد بن غوريون يقول: " غزة هي سرطان". وكثيرا ما أكد عدد من السياسيين والعسكريين ورجال الإعلام الإسرائيلي هذه الحقيقة التي يعيشونها، كل بطريقته وحسب فهمه. فقد قال الجنرال حاييم بارليف، رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي: "إننا نحتل غزة في النهار، لكن الفدائيين يحتلونها في الليل". وقد أطلق عليها عدد من أفراد الجيش الإسرائيلي عبارات عديدة، منها: القطاع اللعين -وكر الدبابير- جحر الثعابي. وقد وصل الحد بهم إلى القول بأنه "سرطان يجب على كل جسم سليم أن يتخلص منه حتى لا ينتشر أكثر فيه".

إن الإسرائيليين سواء في السلطة أو في الأحزاب أو في الشعب أو في الجيش، قد إقتنعوا في غالبيتهم، بعد جدوى البقاء في هذه المنطقة، وانتشرت على شكل عناوين في الصحف، وعلى ألسنة القادة والسياسيين، عبارات التمني والخلاص من هذا الكابوس. وقد عزز هذا الموقف إستطلاع للرأي العام الإسرائيلي نشرته صحيفة (معاريف) في صيف 1993، وأفاد بأن 77% من المستجوبين، أعربوا عن مساندتهم لانسحاب إسرائيل من غزة بأسرع وقت ممكن، فيما أعرب نصفهم عن إعتقادهم بأن يكون إنسحاب إسرائيل من القطاع في إطار إتفاق شامل. وفي إطار الحكومة، كان هناك من يرى بضرورة الإنسحاب من القطاع بسرعة، وبقرار من جانب واحد، ويمثل ذلك الرأي حمائم حزب العمل والأحزاب اليسارية، وهناك من رأى بتفصيل التفاوض بشأن هذا الإنسحاب. وقد مثل هذا الرأي رابين وجماعته وهم الأكثرية داخل حكوم حزب العمل.

تحدث البعض في الساحة الفلسطينية عن أن إسرائيل تريد أن تتخلص من الأعباء الثقيلة، التي تقوم بها في قطاع غزة، سواء الأمنية أو الإقتصادية أو الإجتماعية. وقال البعض الآخر أن الإنتفاضة في قطاع غزة في أوج عنفوانها، وإذا تركنا إسرائيل تنسحب فهذا يعني وقف الإنتفاضة هناك وهذا ليس في صالحنا، فما دامت إسرائيل منزعجة من قطاع غزة، فعلينا أن لا نخفف عنها وأن نتركها تغرق أكثر في رمال القطاع المتحركة، وتسائل البعض الآخر عن الثمن الباهظ الذي ستدفعه لرحيل إسرائيل عن غزة. ولربما كان هذا الإنسحاب هو الأول والأخير، أي أن إسرائيل ستتركنا نغرق فيه وتهضم باقي الأراضي المحتلة وتضمها إليها.

في أحد تصريحاته قال إسحاق رابين "أتمنى أن يغرق قطاع غزة في البحر" وعندما هاجمه البعض ونعتوا تصريحه هذا بمخالفة حقوق الإنسان، وأنه يصل إلى حد العنصرية، أجاب رابين "لم أقصد إطلاقا الإستنتاجات التي توصلتم إليها .. إن الفلسطينيين يفهمون تماما ما أعني".

لفت نظري أول حديث تفوه به مسؤول إسرائيلي حول الإنسحاب من قطاع غزة، إلا أنني لم أستجب له، لأنني إعتبرته حديثا للصحافة لا يصل إلى مستوى الموقف أو القرار، حتى عندما تكررت أحاديث المسؤولين، لم أحاول أن أذكر في أي مقابلة أو لقاء صحفي أو سياسي شيئا عن هذا الأمر، لأنه من وجهة نظري لم يصل بعد إلى مستوى الموقف أو القرار، وإن كنت مقتنعا تماما بأن إنسحاب إسرائيل ليس من قطاع غزة، وإنما من شبر من أرض فلسطين مكسب هام ما دام بلا مقابل وبدون شروط مسبقة. وإن كنت حاولت فيما بعد أن أشير إلى هذا الأمر إشارة تتضمن عدم الإعتراض على الإنسحاب الإسرائيلي من غزة، إذا كانت هذه رغبة الإسرائيليين دون أن نتحمل بالمقابل أي إلتزام.

وكان الكثيرون ينتقدون هذه الإشارة ويضمنون إنتقاداتهم حيثيات لا تقوم على أساس.

وعندا أطلق إسحاق رابين تصريحا هاما قال فيه: "إذا توصلنا مع الفلسطينيين إلى إعلان مبادئ فإنه لا مانع لديه أن ينسحب من قطاع غزة". وبعدها مباشرة

صرحت لعدد من الصحف ووكالات الأنباء بأننا مستعدون لقبول الإنسحاب من قطاع غزة، ما دام في إطار إعلان مبادئ متفق عليه. وقد حاول البعض من أعضاء اللجنة المركزية أن ينتقدوا هذا التصريح دون أن يطلعوا على تفصيلاته وفحواه. ومع ذلك فإن أحدا لم يفكر بهذا الموضوع ولم يخطر على باله بأن ذلك يمكن أن يتحقق أو أن يقبل به عند الضرورة الإسرائيليون.

لقد طرحت الأمر على أبي علاء رئيس الوفد المفاوض في أوسلو، فرفض الفكرة من أساسها وقال: بالإضافة إلى أنني غير مقتنع بهذا الأمر، فإنه من غير الممكن أن يقبل به الإسرائيليون، ولذلك لا فائدة إطلاقا من بحثه الآن.

وبعد عدة لقاءات تمت بيننا، إقتنع أبو علاء بأن مسألة الإنسحاب من غزة كنموذج، مفيدة، لأنها تعبير على موقف فلسطيني، بأننا نصر على تطبيق القرار 242 بالإنسحاب، وامتحان للموقف الإسرائيلي من مسألة تطبيق هذا القرار بتجربة الإنسحاب من غزة.

وعلى الرغم من هذا الموقف فقد إتفقت مع أبي علاء ووفده بأن أقتنع بالفكرة، أن يطرحها على نظرائه في أوسلو من الإسرائيليين ونرى بعد ذلك ردة فعلهم ومدى إستعدادهم لتقبل هذا الأمر.

في أوسلو عندما طرح وفدنا فكرة الإنسحاب من قطاع غزة، إستهجن الإسرائيليون هذا الأمر و إعتبروه نكتة لا تحتمل أكثر من الإبتسام. ولكن أبا علاء أصر على وضعها على طاولة المفاوضات، ولما حاول الإسرائيليون رفضها، قال لهم بأن رئيس الوزراء رابين أعلن أنه يوافق على الإنسحاب إذا توصلنا إلى إعلان المبادئ. وهنا نحن نبحث إعلان المبادئ، فلماذا لا نبحثها؟ فقال الإسرائيليون أن هذا الذي قاله رابين إنما هو حديث للصحافة وليس موقف رسميا. فرد أبو علاء بقوله: "لا نعتقد ان الرئيس يهزل أمام الصحافة ولا ندري إن كان يتكلم بلغتين، لغة للمفاوضات وأخرى للصحافة. إننا نعتبر أن الرئيس عندما يتحدث عن موضوع فإنه جاد فيما يقول، وقد أخذت قيادتنا هذا الكلام على محمل الجد، وبالتالي كلفنا بطرحه عليكم، وبصراحة فإن هذا امتحان لمدى جديتكم في طرح القضايا الجادة".

لم يجب الطرف الإسرائيلي بالرفض أو الموافقة، وإنما قال بأنه سيعود إلى قيادته لمعرفة رأيها فيه، وإن كان يشك بالموافقة عليها، إلا أن أبا أبا علاء أوحى إليهم بأن الأمر بالنسبة لنا هام للغاية، وإن إعلان المبادئ بدونه قد لا يمر.

في الجولة التالية وافق الإسرائليون من حيث المبدأ على الإنسحاب من قطاع غزة، دون أن يدخلوا في التفاصيل الضرورية لذلك. ولكننل ألمحنا لهم بأن استلام القطاع يجب أن يكون من جهة مسؤولة قادرة على ضبط الأمن والنظام وأن تقدم جوابا على مشكلات السكان الرئيسية الخاصة بالوضع الإقتصادي والإجتماعي والإداري والأمني. وقد لاحظنا أن الإسرائيليين يتقبلون فكرة استلام قيادة المنظمة لقطاع غزة عند انسحابها منه، ولكن مثل هذا الأمر يحتاج إلى إجراءات كثيرة، لم ندخل في تفصيلاتها وإنما تركنا ذلك للإنتهاء من إعلان المبادئ بشكل كامل، ثم نلتفت إلى هذا الأمر.

عندما استمع أبو عمار إلى تقرير الوفد حول موافقة إسرائيل المبدئية على الإنسحاب راح يطلب طلبات أخرى.. مثل.. إن القطاع لا يكفي، لا بد أن ينسحبوا من مكان آخر في الضفة الغربية حتى لا يقال إن الحل يشمل غزة فقط ولا يشمل الضفة، ولذلك لا بد أن نطالب بالإنسحاب من أريحا مثلا.

وبعد ذلك راح يطلق تعبير" غزة- أريحا" كمشروع متكامل، ويتحدث فيه إلى الرؤساء والمسؤولين الذين يقابلهم، حتى شعرنا أنه يختصر كل مشروع إعلان المبادئ بهذه العبارة. ولم يعد يلتفت إلى أية قضايا في الإعلان،وإنما يكتفي بالسؤال عما تم بمشروع "غزة-أريحا"، حتيظن البعض الكثيرون أن الإتفاق أن الذي تم فيما بعد، لا يشمل إلا غزة وأريحا، وإن الحل المرحلي أصبح حلين مرحليين، أحدهما معروف والثاني غير معروف، بل روج البعض الآخر إلى أن الحل المرحلي والنهائي هو غزة- وأريحا فقط.

قبل زيارة رابين للإسماعيلية، إلتقى أبو عمار والرئيس مبارك حيث طلب منه أن يستمزج رأي رابين في مشروع غزة- أريحا.وحيث أن الرئيس مبارك لا يعرف خلفية هذا الموضوع لأن أبا عمار لم يشرحها له، فقد طرحها على رابين بشكل مباشر فما كان من رابين إلا أن غضب غضبا شديدا، ورفض الخوض في الموضوع. وقيل وقتئذ إن رابين جاء مبتهجا إلى مصر وعاد منها غاضبا.

وقبيل زيارة كريستوفر إلى المنطقة، كنا في زيارة إلى القاهرة نعد لبحث الجواب الفلسطيني على المسودة الت قدمها الأمريكان للوفد عشية انتهاء مفاوضات الجولة العاشرة. وبعد أن توصلنا إلى صيغة مناسبة يقدمها المصريون للأمريكان ويقدمها له وفدنا في القدس. في هذه الأثناء تحدث معنا أبوعمار، الذي كان في زيارة إلى جنوب شرق آسيا، وأبلغنا أنه تلقى عرضا من الأمريكان بواسطة دان كيرتزر أحد مساعدي الوزير كريستوفر في حديث له مع حنان عشراوي، وأبلغها موافقة أمريكا على مشروع غزة- أريحا، وبالتالي علينا أن نقدم تصورا لهذا المشروع.

بصراحة.. لم أصدق أن الأمريكان موافقون على هذا المشروع، وإن الأمر لا يعدو أن يكون حديثا هامشيا وجانبيا بين حنان وكيرتزر، حول هذه الفكرة..فقال كيرتزر: "لا مانع..قدموا ما ليكم".

إلا أن عرفات أصر التمسك بهذا الكلام على أنه مشروع أمريكي جاد، وأنه هبة من أمريكا لا يجوز رفضها. وعندما قلنا له إن مثل هذا الأمر وارد في إعلان المبادئ الذي يجب أن نحققه قال: " أريد غزة- أريحا"، وماذا أفعل بإعلان المبادئ؟ وما حاجتي به؟ هل أضعه في إطار أعلقه على الحائط؟

جن جنون الوفد الإسرائيلي وهو يستمع إلى مطالبتنا بالإنسحاب أيضا من أريحا، ورفضوا بادئ الأمر مجرد الخوض في هذا الأمر، لكن الوفد أصر على أن يشرح لهم أسباب هذا الطلب، وهو أنه بوابة الضفة الغربية، وأن طلب الإنسحاب هو مسألة رمزية بالنسبة لهذه الضفة، وأن الإنسحاب منها لا نتائج سلبية له، خصوصا وأنه لا توجد في تلك المنطقة مستوطنات إلى آخر ذلك من الحجج، التي جعلت الإسرائليين يطلبون مهلة للتفكير ومراجعة إسحاق رابين شخصيا، لأن بيريز لا يمكن أن يبت بهذه المسألة الحيوية الهامة.

عاد الإسرائيليون ليقولوا:" لقد وافقنا على الإنسحاب من مدينة أريحا لتتولاها قيادتكم عندما يبدأ تنفيذ الإتفاق" إلا أن طلباتنا بدأت تتلاحق بشكل أخرج الإسرائيليين عن طورهم، لكنهم قبلوا بعضها ورفضوا بعضها الآخر، وتركوا الباب مفتوحا أمام طلبات أخيرة.

عندما طلبنا أن يكون الإنسحاب من لواء أريحا وليس من مدينة أريحا " رفضوا ذلك رفضا قاطعا، فغيرنا الطلب إلى "مقاطعة أريحا"، فرفضوا ذلك أيضا. ثم تم الأمر على الإنسحاب من منطقة أريحا على أن يتم الإتفاق عليها بعد ذلك.

تبع ذلك الحديث عن ممر خاص يربط بأريحا، وألمحنا إلى أن يكون جزء تابعا لهاتين المنطقتين إلا أنهم رفضوا بإصرار لأنه يقسم دولة إسرائيل. ومن غير المعقول أن يسهموا بمثل هذا الطلب، فعرضوا ممرا آمنا للشخصيات الهامة،لكننا رفضنا أن يقتصر الأمن على الشخصيات الهامة، إنه في هذا التمييز طعنا لهذه الشخصيات أكثر من حماية لهم، وفي نهاية المطاف وافقو على أن يكون الممر آمنا للأشخاص والمواصلات.

إن هذه النقاط لم تغط مسألة غزة- أريحا، وإنما هناك نقاط أخرى لا بد من التطرق إليها، وأهمها معبر غزة وأريحا- الأردن. وكنا نريد أن يكون هذان المعبران تحت تصرفنا، أو بتصرف مشترك بيننا وبين البوليس الدولي، إلا أن الإسرائيليين بالإضافة إلى رفضهم- بداية- الإشارة إلى هذين المعبرين، فقد رفضوا فكرة أن نتولى نحن أو معنا شركاء مسؤوليتهما، لأنهما بهذه يمسان الأمن الخارجي، الذي لا زال أو سيبقى من مسؤوليتهم أثناء المرحلة الإنتقالية. وفي نهاية الحوار تم الإتفاق بيننا وبينهم، دون أن يظهروا أي تنازل نحو مشاركتنا هذا الإشراف.

إن الإتفاق على الإنسحاب من غزة-أريحا، قد فتح الباب على مصراعيه لبحث العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، لأن الإنسحاب يتطلب جهة ما تكون مسؤولة عن هاتين المنطقتين في الفترة، التي تفصل بدء أو تنفيذ الإتفاق عن موعد الإنتخابات، الذي سيأتي في فترة تسعة أشهر من تاريخ التوقيع على إعلان المبادئ. لذلك فقد تم الإتفاق على أنه بعد التوقيع بالأحرف الأولى، يمكن بحث الشروط الملازمة لهذا الإعتراف المتبادل.

مع الأسف فإن بعض التصريحات أظهرت الإتفاق وكأنه يشمل غزة- أريحا فقط، بند واحد فقط يهم غزة- أريحا... من بنود أخرى تضمنت الربط بين المرحلة الإنتقالية والمرحلة النهائية ربطا محكما. وبناء عليه سيكون هناك

نقل للسلطات أو لمعظمها في غزة وأريحا فور انسحاب الجيش الإسرائيلي منها، كما سيكون في نفس الوقت نقل لبعض السلطات في باقي الضفة الغربية إلى أن تتم الإنتخابات، سننقل كل السلطات المتفق عليها. ولذلك لا يوجد تباين بين ما سيجري في غزة وأريحا، انسحابوما يجري في باقي الضفة الغربية. كل ما في الأمر أنه سيكون في غزة وأريحا انسحاب، وبالتالي سيكون مكان للقيادات الفلسطينية فيها.. وفي المناطق الأخرى ،سيكون نقل للسلطات ووغعادة تموضع للقوات الإسرائيلية وخروجها من المدن والقرى الفلسطينية الآهلة بالسكان إلى مناطق معروفة ومحدودة عشية الإنتخابات.

لقد كان موضوع غزة أريحا أولا،نقلة مميزة في بنود إعلان المبادئ.. وهو من وجهة نظري اختبار دقيق للنوايا المستقبلية لإسرائيل ومصداقيتها.

الفصل الثالث عشر

المفاجأة

بعد انتهاء التوقيع على إعلان المبادئ بالأحرف الأولى في الساعة الثانية والنصف من صباح يوم الجمعة 1993/8/20، وقبل أن تنشر الصحافة الإسرائيلية نصوص الإتفاق وملاحقه الأربعة بالإضافة إلى المحضر المتفق عليه، كان لا بد لنا أن نواجه القيادة الفلسطينية وأعضاء الوفد الذين سيغادرون إلى واشنطن خلال أيام لاستئناف المفاوضات في جولتها الحادية عشرة.

وفي هذه الأثناء وقبل الكشف عن العملية كلها، عقدت دورة إجتماعات للجنة التنفيذية والقيادة الفلسطينية، وكنت مترددا في وضع الأوراق على جدول أعمال اللجنة خوفا من التسريب، الذي تعود عليه بعض أعضاء هذه اللجنة، الذين ما يلبثون أن ينشروا كل المعلومات التي يحصلون عليها في الصحافة العربية.

ولذلك لجأت إلى الحيلة للتخلص من الحديث، فتوجهت إلى جمال الصوراني أمين سر اللجنة التنفيذية وسألته فيما إذا كان يضمن الحفاظ على سرية ما يمكن أن أقوله، وهو في غاية الأهمية والسرية.. فأجابني الصوراني بأنه لا يضمن ذلك، وهنا أعطاني العذر للصمت. وساعدني في اليوم الثاني على الإستمرار في الصمت، ما نشرته الصحافة الأردنية عن حيثيات اجتماع اللجنة التنفيذية في الليلة الماضية، مع كل التفاصيل التي وقعت والتي لم تقع أيضا.

وهكذا مضت إجتماعات اللجنة التنفيذية دون أن أتفوه بكلمة واحدة عن الإتفاق، وإن كنت اخترت بعض الأعضاء الذين أثق بحفظهم للسر وأطلعتهم على إعلان المبادئ، وذلك تمهيدا للحصول على موافقتهم عندما يعرض هذا بشكل رسمي على اللجنة.

وفور إنتهاء أعمال اللجنة التنفيذية طالبت بعقد لقاء لأعضاء اللجنة المركزية المتواجدين في تونس من أجل وضعهم بصورة الإعلان وحيثياته، حتى

لا تتعقد الأمور أكثر فأكثر، واصبح في مواجهة اللجنتين القائدتين للساحة الفلسطينية، لأنني أعرف أن كثيرين من أعضاء القيادات الفلسطينية، إن لم تكن لديهم إعتراضات على الإعلان فإنهم سيعترضون عليه لعدم علمهم به وعدم إطلاعهم عليه. لأنهم جميعا يعتبرون أنفسهم على قدم المساواة في المعرفة. وحيث أن الطبيعة البشرية تفرض على الكثيرين أن يظهروا بمظهر المطلع على بواطن الأمور، فإن من المؤكد أن كل شخص يعرف سرا لا بد أن يطلع عليه بعض الأصدقاء، والمقربين والمعارف والأقارب، ليثبت لهم أنه مطلع. ومن المؤكد أنه سيطلب من كل هؤلاء، أن لا يطلعوا أحدا على ما يقول، إلا أن هؤلاء جميعا سيقومون بنفس المهمة، ليطلعوا من حولهم على ما يعرفونه، ويطلبون إليهم أن لا يقولوا شيئا. وهكذا وفي خلال يوم أو أقل قليلا،يكون الأمر قد وصل إلى مسامع الصحافة ويدمر كل شيء.

ولذلك تبقى مسألة السرية سلاحا ذا حدين، فهو من جهة مفيد للحفاظ على مسيرة المفاوضات، ولكنه من جهة أخرى نقطة ضعف في الأشخاص الذين يتولون المهمة، لأنهم سيتعرضون إلى الإنتقادات الشديدة، التي تتجاوز موضوع البحث إلى النواحي الشخصية.

وعلى ضوء هذا الوضع المعقد تقدمنا إلى اللجنة التنفيذية واللجنة المركزية لحركة فتح لشرح الإتفاق، حيث ووجهنا بعاصفة من الإنتقاد بعد إطلاع كلا اللجنتين على مسار هذه المفاوضات، وبصعوبة بالغة نقلنا الحديث من نقطة ضرورة الإطلاع المسبق إلى نقطة أخرى، تعلق بالموضوع والحكم عليه. ومع ذلك فقد عكست القضية الذاتية نفسها على موقف البعض، إلا أن الأغلبية العظمى في اللجنتين أعطت موافقتها لقناعتها، بأن ما توصلنا إليه يعتبر إنجازا لا يمكن التوصل إليه في غير هذه القناة.

ومن أبرز الصعوبات التي واجهتنا هي إبلاغ الوفد الذي جاء ليتلقى التعليمات حول الجولة الحادية عشرة، وأسلوب التعامل مع الورقة الأمريكة، التي تقدموا بها في نهاية الجولة العاشرة. تلك الورقة التي جاء من أجلها دينيس روس إلى المنطقة وتبعه الوزير وارن كريستوفر، في محاولة من الإدارة الأمريكية لتنشيط المساعي الدبلوماسية والضغط على الأطراف المعنية للتوصل إلى صيغة مقبولة، تكون أساسا لإعلان مبادئ يتم التفاوض عليها بين الطرفين.

عندما حضر الوفد إلى تونس قبيل الدورة الحادية عشرة لإجراء لقاءات عادية مع القيادة والحصول على التعليمات اللازمة لهذه الدورة، كان لا بد من الحديث معه عن إتفاق أوسلو الذي تم توقيعه قبل بضعة أيام. وكان هذا الأمر مفاجئة مذهلة لأعضاء الوفد، فأصبحوا بين مصدق ومكذب، بين موافق ومعارض. إلى أن إستفاقوا من الصدمة واطلعوا على التفصيلات وباركوا ما توصلنا إليه، معترفين أن هذا لم يكن من الممكن أن يحصل في واشنطن.

ويبدو أن الأمريكان عندما أبلغوا بالخبر لم يأخذوه على محمل الجد، وإنما تناولوه بكثير من اللامبالاة وبقليل جدا من الإهتمام لدرجة أنهم نسوه تماما. وعندما زار كريستوفر إسرائيل في أواخر شهر يونيو/ حزيران 1993 وأعاد الإسرائيليون على مسمعه ما أبلغوه به في السابق، قال: "إن هذه اللقاءات لا تعبر إلا عن مدى تفاؤل بيريز وأبي مازن ولن تكون لها أية نتائج".

الإعتراف المتبادل

لقد كانت الأشهر التسعة التي إستغرقتها مفاوضات أوسلو بين المنظمة وإسرائيل كافية، لإقناع الإسرائيليين بأن التفاوض مع قيادة المنظمة بشكل مباشر أفضل بكثير من التفاوض عبر وفد لا يملك صلاحيات كافية للتصرف. بالإضاف إلى ذلك فإن وفدنا في أوسلو أظهر مصداقية عالية بالإلتزام بكل ما تم الإتفاق عليه، كما أظهر جدية الحفاظ على سرية المفاوضات، في الوقت الذي تسربت فيه أخبار كثيرة في الصحافة الإسرائيلية حولها. إلا أننا كنا باستمرار نقوم بنفيها والتأكيد على عدم وجودها إطلاقا.

إن هذا السلوك الراقي الذي صدر عن وفدنا جعل الإسرائيليين يفكرون بخطوة نوعية، وهي الإنتقال من وصف المنظمة بالإرهابية، إلى التحدث معها، ومن ثم الإعتراف بها. وإذا كان الوصول إلى إعلان مبادئ حدثا هاما، فإن الحدث الأهم هو الإعتراف المتبادل. لأن العدوين التاريخيين يضعان للعداوة حدا ويجلسان إلى بعضهما البعض ويقران بوجود بعضهما بعضا.

إن وقوع مثل هذا الأمر بالنسبة لنا نحن الفلسطينيين لم يكن صعبا من الناحية السياسية، لأن المبادرة الفلسطينية التي تبناها المجلس الوطني الفلسطيني عام 1988، أشارت بوضوح إلى إمكانية قبولنا الإعتراف بإسرائيل.

لكنني أقر بأن المسألة من الناحية النفسية والمعنوية قد تكون صعبة على الكثيرين. أما بالنسبة لإسرائيل فالمسألة أكثر تعقيدا، لأن الإسرائيليين يرفضون بشكل كامل الإعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية. كما كانوا يرفضون أيضا الإعتراف بوجود الشعب الفلسطيني. وهذا الأمر توارثوه منذ قدوم تيودور هيرتزل لفلسطين في مطلع هذا القرن عندما وضع مقولته "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض". فكانت هذه المقولة قاعدة كل موقف إسرائيلي فيما بعد، ولكل موقف دولي أيضا. إذ كنا نلاحظ أن وعد بلفور الذي أطلقته بريطانيا، وصك الإنتداب الذي صدر عن عصبة الأمم، لم يتطرقا من قريب أو بعيد إلى وجود الشعب الفلسطيني، بل أشار إليه على أنه "الطوائف الأخرى التي تعيش على أرض فلسطين".

وهكذا فإن الإعتراف كان بالنسبة لنا صعبا من الناحية النفسية والمعنوية وسهلا من الناحية السياسية، وكان بالنسبة للإسرائيليين صعبا من الناحيتين، لكن العملية السياسية التي نعيشها هذه الأيام لها إستحقاقاتها التي يجب أن تدفع.

قال يوئيل زينغر رئيس الوفد الإسرائيلي إلى مفاوضات أوسلو: "أن الإعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية بالنسبة لنا له شروطه وله متطلباته، التي لا بد أن تلبوها إذا رغبتم في ذلك". فرد عليه أبو علاء قائلا: إن قيادتنا تنظر بانفتاح إلى هذه المسألة، وترغب في بحث جدي بجريه معكم حول هذا الموضوع، وبالتالي نحن بانتظار مطالعاتكم لندرسها.

أحضر الوفد الإسرائيلي النقاط التالية:

1. الإعتراف بحق إسرائيل بالوجود بأمن وسلام.
2. القبول بالقرارين 242 و 338.
3. القبول بالتفاوض حول المرحلة الإنتقالية والمرحلة النهائية والتفاوض هو الطريق الوحيد للوصول إلى تسوية سياسية.
4. نبذ الإرهاب.
5. وقف كافة أعمال العنف والإرهاب.
6. إلغاء مواد الميثاق التي تتناقض مع حق إسرائيل في الوجود، أو تتعارض مع هذه البنود.

7. إن ياسر عرفات بصفته رئيس منظمة التحرير مستعد للقاء أي مسؤول إسرائيلي.

لقد درسنا هذه النقاط بعناية فائقة وبجدية كاملة، لأننا كنا نريد فعلا الوصول إلى الإعتراف المتبادل الذي ينهي كل الشوائب التي تقف في طريق التفاوض المباشر بين الطرفين. لأننا مهما حاولنا أن نبرر ونوضح بأن الوفد الفلسطيني يمثل المنظمة، كونها هي التي عينته وهي التي توجهه وهي التي تشرف على كل صغيرة وكبيرة، وهي في النهاية مرجعه الأول والأخير، مهما حاولنا توضيح ذلك، يبقى أن حكومة إسرائيل ترفض الإعتراف بالمنظمة باعتبارها منظمة إرهابية، تنوي وتعمل على تدمير دولة إسرائيل.

حاول الإسرائيليون أن ينفوا بشكل قاطع من أذهان كل الأطراف أنهم يتفاوضون مع ياسر عرفات بصفته رئيس دولة فلسطين، التي يعترف بها أكثر من مائة دولة، ليؤكدوا أنهم يتعاملون مع المنظمة فقط. كذلك ركزوا على ضرورة إلغاء الميثاق أو كل المواد التي تنكر شرعية وجود إسرائيل. وفي نفس الوقت طالبوا بوقف الإنتفاضة فورا. أما ما تبقى من النقاط السبعة، فقد سبق للمنظمة في مناسبات رسمية مختلفة أن إلتزمت بها أو ألزمت نفسها بها، دون أن يكون أي إلتزام من قبل إسرائيل. ولهذا فإننا نعتبر أن إعادة الإلتزام بها لا يعني شيئا ولا يضر بشيء.

ولذلك فقد كنا حريصين على أن لا يتضمن الإعتراف الذي سنقدمه لإسرائيل تأكيدا قاطعا بأننا قررنا إلغاء مواد الميثاق التي تتعارض مع شرعية وجود إسرائيل، لأن مثل هذا التأكيد من حق المجلس الوطني الفلسطيني، وبالتالي لا بد من الإشارة الواضحة إلى ذلك. كذلك فإن الإشارة إلى وقف الإنتفاضة من الناحية النفسية والجماهيرية يصعب علينا أن نبرره لأنه من غير المعقول أن نطالب بوقف الإنتفاضة والإحتلال لا زال قائما، ولم نوقع بعد بشكل رسمي على الإتفاق. لهذا فقد جرى الإتفاق على أن يتم إبرام تعهد خطي يوجه لوزير خارجية النرويج بان عرفات في مناسبة ما بعد التوقيع على الإتفاق، يطالب في أحد خطاباته الجماهير بالإلتفات إلى البناء والعمران والهدوء كتعبير عن المطالبة بوقف الإنتفاضة.

وقد إستغرق الحديث عن الإعتراف المتبادل أكثر من عشرة أيام، لأن الخلاف لم يكن على ذكر بعض البنود، وإنما على كثير من التعابير والكلمات التي توقفنا نحن الطرفين عندها طويلا. وقد كان معظم الحوار حول هذه المسألة يجري عبر الوزير النرويجي، حيث جرى اللقاء الأخير في باريس، وتم فيه الإتفاق النهائي على صيغ الرسائل الثلاث، رسالة الإعتراف من قبلنا، ورسالة الإعتراف من قبل الحكومة الإسرائيلية، ورسالة ثالثة موجهة من ياسر عرفات إلى وزير خارجية النرويج حول الإنتفاضة.

جرى التوقيع على هذه الأوراق في الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء الخميس 1993/9/9 بعد نصف ساعة من إجتماع اللجنة التنفيذية التي أقرت هذه الرسائل واعتمدتها.

عديد من أعضاء القيادة الفلسطينية في اللجنة التنفيذية أو المركزية، لم يكن يخطر ببالهم أن ما وصلنا إليه من إتفاق يمكن أن نصل إليه. فبعضهم كان يقول يكفي أن تذكروا في إعلان المبادئ "الشعب الفلسطيني" وما عدا ذلك غير مهم، وآخر يقول إن غزة وأريحا وحدهما تحت رعاية منظمة التحرير كاف لنا، وثالث يقول: إذا جاء مع هذا الإعلان توقيع منظمة التحرير فهو الإنجاز التاريخي. ورابع عندما قرأ الإعلان: قال " هذا زيادة عما كنا نطمح إليه". والغريب أن هؤلاء جميعا عندما أكدنا لهم الإتفاق حقيقة لا لبس فيها ولا غموض، تراجعوا عن أقوالهم وأعلنوا المعارضة غير المبررة للإتفاق.

لقد كان يتصور هؤلاء أنه من المستحيل الوصول إلى إتفاق، ولذلك كانوا يضعون تحفظات، يعتقدون أن تحقيقها غير ممكن، وذلك من أجل أن يعارضوا، حتى تبقى صورتهم أمام الناس، تلك الصورة التي لا تتلوث، لأنهم تعودوا على اتخاذ مثل هذه المواقف، وهم في النتيجة لا يخسرون شيئا. وبعضهم اتخذ من المعارضة تعبيرا عن موقف شخصي بحت، يتلخص في أنه بعيد عن المفاوضات أو مبعد عنها، وما دام بعيدا فهو ضد كل ما يفعله الآخرون ولوكان متطابقا أو أفضل من مواقف المعارضة الحقيقية.

وهناك فئة ظريفة في معارضتها، وتقدم حيثيات موقفها على أساس أننا في المستقبل لن نستطيع أن نطبق الإتفاق نظرا لعدم قدرتنا على ذلك،

ونظرا لعدم وجود المقومات الإقتصادية والإدارية والفنية الكافية لمثل هذا التطبيق، ولذلك فهي ترفض الإتفاق. لقد كام مستوى الوعي أمام هذا الحدث التاريخي، والترفع عن الصغائر والقضايا الشخصية أكبر بكثير من أولئك الذين ينظرون إلى المستقبل والشعب والوطن ومصالحه من زوايا ضيقة وأفق محدود وانعدام الإحساس بالمسؤولية.

إن القيادة ليست مجرد مواقع وامتيازات ومكاسب، بل هي في الأساس قدر من الشجاعة واستشفاف رغبات الجماهير والتطلع إلى بناء المستقبل وخدمة القضية بكثير من نكران الذات. وهي ليست الحفاظ على الكينونة، وتحصين المواقف الشخصية والجلوس في الدائرة المريحة، بعيدا عن الدائرة الصحيحة.

أعلنت الإدارة الأمريكية أن التوقيع على إعلان المبادئ سيتم يوم الإثنين 1993/9/13، وأن الذي سيكلف بالتوقيع من الجانب الإسرائيلي هو وزير الخارجية شمعون بيريز، إلا إننا وكعادتنا، لم نقرر من هو وفدنا ومن الذي سيوقع على الإتفاق، وإن كان من المفروض أن يوقعه فاروق القدومي وزير خارجيتنا، إلا أن السيد القدومي ولأنه معارض للإتفاق رفض الذهاب إلى واشنطن، وفي هذه الأثناء كان أبو عماريرغب في حضور الإحتفالات، وهذا يتطلب أن يحضر رابين أيضا. وبناء على ذلك جرت اتصالات حثيثة في الثماني والأربعين ساعة، التي سبقت الموعد المحدد، ووجهت الدعوة إلى الإثنين للحضور، وطلب إلي أن أقوم بالتوقيع باسم منظمة التحرير الفلسطينية. ولقد كان لي بعض التحفظات على السفر، إلا أن الكثيرين بذلو جهودا لإزالة هذه التحفظات، مما جعلني أرضخ للقرار، بعد أن تمنيت أن أتملص منه دون جدوى. وكنت بعد ذلك على متن طائرة ملكية مغربية، تحمل وفدنا إلى واشنطن يوم الأحد 1993/9/12.

لقد كانت الثماني والأربعين ساعة التي قضيناها في واشنطن مليئة بالنشاط واللقاءات والإتصالات والرسميات. ولا بد أن نركز على أبرز المحطات التي توقفنا عندها في هذه الزيارة التاريخية.

عندما وقعنا إتفاق إعلان المبادئ، لم يكن هناك اعتراف متبادل بين المنظمة وإسرائيل، ولذلك ورد في الدباجة أن الإتفاق بين الوفد الفلسطيني هو في إطار

الوفد الأردني الفلسطيني المشترك. وهذا أمر طبيعي ما دام أن المفاوضات في واشنطن، بدأت على هذا النحووسارت على هذا الأساس.إلا إننا بعد التوقيع على الإعتراف المتبادل أصبح ضروريا تغيير هذه الديباجة وتغيير اسم الموقع الفلسطيني، ليصبحالإتفاق بين حكومة إسرائيل والمنظمة. وكذلك ليصبح التوقيع باسم المنظمة. وقد وصلنا إلى واشنطن دون أن تحل هذه المسألة،التي كنا نعتبرها تحصيل حاصل، بحيث يتم التعديل بشكل آلي دون أن طلب أو مفاوضات. وقد لاحظنا هناك أن الوفد الذي تواجد في واشنطن لم ينشط لإجراء التعديلات المطلوبة، وإنه انتظر حضورنا لنباشر بأنفسنا إتصالات مع الإسرائيليين والأمريكان والنرويجيين، حيث لمسنا رفضا إسرائيليا لإجراء أي تغيير بحجة أن الوقت ضيق، وإنه لا يمكن إجراء تعديلات على الصيغ الحالية الموجودة في البيت الأبيض، والتي أصبحت جاهزة للتوقيع.

وعن الدقائق الأخيرة التي سبقت حفل التوقيع في واشنطن، سجل هايل الفاهوم عضو الوفد الفلسطيني هناك ما يلي:

يوم الإثنين 1993/9/13 في السادسة صباحا إتصل بي أحد أعضاء الوفد الإسرائيلي وعرف عن نفسه بأنه مساعد شمعون بيريز، وطلب التحدث مع أبي مازن. لتحديد لقاء بين بيريز وأبي مازن في الساعة السادسة من مساء نفس اليوم، في هذه الأثناء كان أبو عمار من شقته في الفندق قد أيقض أحمد الطيبي وطلب منه الإتصال ببيريز لتغيير الفقرة الأولى من الإتفاق التي تحدثت عن (إتفاق إعلان مبادئ بين الفريق الفلسطيني في الوفد الأردني-الفلسطيني المشترك، وبين الوفد الإسرائيلي). لتصبح بين وفد منظمة التحرير الفلسطينية ووفد الحكومة الإسرائيلية.

عاد أحمد الطيبي بجواب نصفه سلبي ونصفه إيجابي، فقد وافق رابين على ذكر منظمة التحرير الفلسطينية كطرف موقع على الإتفاق في نهاية صفحاته، وأبلغ الطيبي القيادة الفلسطينية بذلك. فقال له أبو عمار أن ذلك لا يكفي، وطلب منه العودة إلى بيريز ورابين. وكان أبو عمار قد أيقضه من نومه قبل ذلك قائلا له: لن نوقع على هذا الإتفاق لأنه لا يأتي على ذكر إسم منظمة التحرير الفلسطينية، وطلب منه الإتصال بإسحاق رابين وشمعون بيريز وحاييم رامون الذي كان في تل أبيب.

عند الساعة الثامنة تقريبا تم إرسال حسن عصفور ومحمد أبو كوش، وأحمد الطيبي للإتصال بالوفد الإسرائيلي، وعاد الثلاثة دون نتيجة. في هذا اللقاء هدد الطيبي شمعون بيريز بأن الوفد الفلسطيني وياسر عرفات لن يصلوا إلى البيت الأبيض، حيث كان أصدر أبو عمار تعليماته إلى كافة أعضاء الوفد بعدم مغادرة الفندق إلى البيت الأبيض إلى حين تعديل الفقرة المطلوبة.

الساعة 8.45 إلتقى جميع أعضاء الوفد الفلسطيني في مقر إقامة أبي عمار لتباحث الأمر. وفي التاسعة صباحا إستقبل أبو عمار جيمس بيكر وأطلعه على آخر التطورات، حينها سأله بيكر: متى سيتم توقيع الإتفاق؟ أجاب أبو عمار: على الساعة الحادية عشرة. فعلق بيكر قائلا: سيوافق الإسرائيليون على التعديل على الساعة 10.58.

شارفت الساعة على 9.35، تدخلت حنان عشراوي قائلة: إن الوقت أصبح متأخرا، وبالكاد يستطيع أعضاء الوفد الفلسطيني الوصول إلى البيت الأبيض لأخذ أماكنهم في حفل التوقيع. (كانت حنان ونبيل شعث قد أجريا إتصالات مكثفة مع روس، ميللر و جيرجيان، لإجراء التعديل، إلا أن الجواب كان سلبيا).

طلب أبو عمار من أعضاء الوفد التوجه إلى البيت الأبيض، وبقي في الفندق مع أبي مازن وبقيت معهما. وأرسل أبو عمار في محاولة أخيرة منه أحمد الطيبي إلى مقر الوفد الإسرائيلي لإبلاغهم أنه لن يتم التوقيع في حالة عدم تعديل الفقرة الأولى ووضع إسم منظمة التحرير الفلسطينية. تساءل أبو مازن على العاشرة: ماذا سنفعل إذا لم يتم التعديل؟ أجاب أبو عمار: لن نوقع الإتفاقية.

عند الساعة 10.10 قرع جرس الهاتف وكان أحمد الطيبي على الخط، الذي أبلغ أبو عمار أن بيريز قد وافق على تعديل كلمة الوفد الفلسطيني بفريق منظمة التحرير الفلسطينية في الوفد الأردني- الفلسطيني المشترك. ووافق أبو عمار على التعديل.

الساعة 10.15 بدأ التحرك إلى البيت الأبيض. وصل الموكب عند العاشرة والنصف وتم إصطحاب أبي عمار وأبي مازن إلى قاعة داخلية في البيت الأبيض، وكان فيها الرئيس كلينتون ورابين وبيريز ومساعدين آخرين. وتوجهت برفقة

مسؤولة البروتوكول إلى ساحة الإحتفال، حيث كان لي مقعد مخصص قرب المنصة، التي وضعت عليها طاولة التوقيع.

طلبت مقابلة المستشار القانوني الأمريكي أو المسؤول عن بروتوكول التوقيع بإلقاء نظرة أخيرة على نصوص الإتفاقية التي ستوقع، بدأ المستشار الأمريكي بشرح سيناريو التوقيع، وأصريت على رؤية نصوص الإتفاقية، للتأكد من أن التعديل المتفق عليه قد تم إجرائه، وعندما إطلعت على نصوص الإتفاقية، إكتشفت أنه لم يتم إجراء أي تعديل عليه. لا، بل إكتشفت في الفقرة الأخيرة أنها تنص على التالي:

شمعون بيرز: عن حكومة إسرائيل.
محمود عباس: عن الوفد الفلسطيني.

ولم يكن هناك أي ذكر لمنظمة التحرير الفلسطينية في كل الإتفاق.

سارعت لإبلاغ المستشار الأمريكي، بأن لدي تعليمات صارمة بعدم عرض الإتفاقية على أبي مازن في حال عدم إجراء التعديلات المطلوبة، وطلبت منه مراجعة بيريز الموجود داخل البيت الأبيض للتأكد.

حينها هرع المستشار القانوني الأمريكي إلى داخل البيت الأبيض للتشاور مع بيريز، وتوجهت إلى الصف الأول من صفوف الحاضرين وطلبت من حنان عشراوي المجيئ معي لحل المشكلة. عاد المستشار الأمريكي، فطلبت منه التحدث عن الجواب أمام حنان، فقال المستشار بأن بيريز أكد على موافقته على التعديل وأن بإمكان أبي مازن عند التوقيع أن يعدل بيده كلمة الوفد الفلسطيني ويشطبها ويضع مكانها منظمة التحرير الفلسطينية. حينها طلبت حنان أن يوقع أبو مازن قبل بيريز ليكون التعديل موافقا عليه ومثبتا قانونيا، لكن المستشار الأمريكي تعلل بأن البروتوكول يقضي بأن يوقع بيريز أولا. عادت حنان لمكانها وأوصتني بالإصرار على الموقف.

وتوجهت للمستشار الأمريكي طالبا أن يعاد طباعة الصفحة الأخيرة بشكلها الجديد. وبالفعل أسرع المستشار الأمريكي إلى طباعة التعديل

داخل البيت الأبيض على أربعة نسخ ورجع مع المستشار القانوني الإسرائيلي يونيل زينغر، وأضيفت الصفحات الجديدة إلى ملف الإتفاقية، ثم طلبت شطب الصفحة الأخيرة غير المعدلة في كافة النسخ، وتم ذلك.

أما بالنسبة للصفحة الأولى فقد تم تعديلها بخط اليد واستبدلت كلمة الوفد الفلسطيني بـ(فريق منظمة التحرير الفلسطينية في الوفد الأردني-الفلسطيني المشترك)، ووقعت والمستشار الإسرائيلي على هذا التعديل بالأحرف الأولى من إسمينا.

عند الحادية عشرة وعشرة دقائق بدأت مراسم التوقيع بعد تأخير دام عشرة دقائق، وذلك بعد أن تم كل شيء حسب ما أردناه وسعينا إليه.

وفي البيت الأبيض إستقبلنا الرئيس كلينتون وزوجته هيلاري والرئيس السابق جورج بوش والرئيس الأسبق جيمي كارتر وزوجته ونائب الرئيس غور وغيرهم. وكان ضمن الحضور وزير خارجية النرويج الذي إعتبر نجم الإحتفال باعتباره رعى الإتفاق شخصيا حتى أوصله إلى التوقيع. بعد ذلك دخل إلى القاعة إسحاق رابين وزوجته وشمعون بيريز، وبقي هؤلاء بعيدين عنا، وراح الرئيس كلينتون وبقية الأمريكان المسؤولين يتنقلون بيننا وبينهم لتمرير النصف ساعة التي تفصلنا عن بدء الإحتفالات. وكان الجميع يشيدون بجهود الأطراف المعنية، التي وصلت إلى هذا الإتفاق في إطار من السرية المطلقة، التي حمت المفاوضات تسعة أشهر كاملة دون أن تلفت إليها أنظار وسائل الإعلام أو حتى مخابرات الدول الكبرى. تحدثوا عن إمكانية تطبيق الإتفاق وضرورة الإلتزام بالنصوص والعمل على حل المشاكل الإقتصادية والإجتماعية، التي سنواجهها عند التطبيق. وبمنتهى الوضوح تحدث كلينتون عن إلتزام أمريكا بالدعم الإقتصادي، إلا أنه عرج على المفاوضات والطريقة التي نجح بها، مشيرا إلى أنه لو إستمرت المفاوضات في واشنطن وحدها لما أتيح لها أن تنجح، لأنها كانت تدار تحت سمع وبصر العالم من خلال التركيز الإعلامي على ما يجري فيها ومن خلال تصرف الأطراف المعنية التي تتحدث بكل شيء أمام وسائل الإعلام، وبالتالي فإنها لا تستطيع على طاولة المفاوضات أن تتحدث بصراحة حتى لا يسجل عليها ما تقول وتحاسب أمام القيادات والمسؤولين والشعب. وبهذا فقد كانت هذه المفاوضات تجري في

الشارع. بينما في أوسلو فقد تمكنت الأطراف أن تتطرح أفكارها بحرية تامة، الأمر الذي جعلها تصل إلى نتائج مبهرة بهذه الفترة الزمنية القياسية.

كان حديث الرئيس كلينتون يجري على مسمع الوزير النرويجي الذي بدا عليه الشعور بالإعتزاز والغبطة، لأنه وبلده كانا الحاضنة الدافئة والحريصة على هذه المفاوضات. لقد أكبرت في رئيس أكبر وأعضم دولة في العالم أن يتحدث بهذه الصراحة، وأن يعزو الفضل لأصحابه، ولم يجد غضاضة في التحدث بهذا الوضوح عن مفاوضات يفترض أنه الراعي الأول لها وهو لم يطلع على تفاصيلها. وإن كان في النهاية قد جير نتائجها لصالح بلده.

على شرف الوفدين الإسرائيلي والفلسطيني دعانا وارن كريستوفر إلى حفل غداء ضم كل وزراء خارجية أمريكا السابقين وعددا من وزراء الخارجية العرب والأجانب، الذين حضروا إحتفال التوقيع، وكذلك عدد من كبار المسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية. وكان من ضمن الحضور هنري كيسنجر صاحب نظرية الخطوة خطوة وزير خارجية أمريكا الأسبق في عهد نكسون وجيرالد فورد، وقد تحدث إلى جليسه ياسر عبد ربه من الوفد الفلسطيني ويوسي بيلين وزير خارجية إسرائيل، فقال: كنت ولازلت ضد إقامة دولة فلسطينية مستقلة، إلا أن هذا الإتفاق والذي نحتفل بالتوقيع عليه اليوم، جعل نشوء هذه الدولة أمرا لا يمكن تفاديه. ثم إلتفت إلى يوسي بيلين وقال له: لو كانت جولدا حية لعلقت لكم المشانق وأعدمتكم. وفي نهاية حفل الغداء إلتقينا صدفة على باب الخارجية فالتفت إلي وقال: "لقد قمتم بعمل جيد".

في الساعة الرابعة والنصف من يوم الإحتفال 1993/9/13 كنا -جميع الوفد- على موعد مع وزير الخارجية وارن كريستوفر. وقد ذهب الوفد الفلسطيني إلى هناك، وقبل بدء الإجتماع العام رغب كريستوفر بلقاء أبي عمار وأنا على إنفراد ودخلنا مكتبه ومعه دينيس روس، وقد قال كريستوفر: "أعبر عن حماسي لما أنجزناه هذا اليوم وأهنئكم عليه". لقد عدت لتوي من إجتماع ضم اليهود والعرب ولاحظت روح المصالحة من خلال الساعات الثلاث الأخيرة، تلك الروح التي بدأت لي مذهلة. إن شجاعتكم ورئيس وزراء إسرائيل قد فتحت الطريق أمام الجميع. لن تكون أمامنا عقبات، وبدأنا رحلة الصعود إلى أعلى. أعتقد أن إلتزامكم هو من أهم الإلتزامات التي يمكن أن يقوم بها زعيم في العالم.

من الصعب علي أن أقدر عدد الذين إستمعوا إليكم اليوم، ولكنهم يزيدون بالضرورة عن مائة مليون نسمة. لذلك فإنني أقول بأن عمليات الغموض والتأخير في دراسة القضايا يجب أن ننتهي منها، ومن المهم أن تنفذ الإلتزامات بوضوح شديد، وسأقول هذا الكلام لأصدقائي في إسرائيل أيضا، هذه القضية في غاية الأهمية، وأخص هنا مسألة نبذ العنف، إن إلتزامكم بإنهاء العنف سيكون من الأمور التي سيلتفت إليها العالم بأسره. ولذلك رغبت أن أستحث سيادتكم على السير المخلص نحو إنهاء العنف، وأن يكون إلتزامكم بذلك صريحا. لا يوجد طريق واحد لتحقيق ذلك. أحيانا يكون بأن تتخذوا خطوة محددة عندما تعرفون مصدر العنف، وأحيانا أخرى تتحدثون عن ذلك علنا، ليس متوقعا منكم أن تكونوا الرجل الفولاذي القادر على كل شيء. ولكنني أعتقد أن من المهم أن تدركوا الحاجة الضرورية لتنفيذ ذلك. إنني أتكلم بروح الصداقة التي تولدت بيننا لأن نجاح الإتفاق يتوقف على ذلك. وهناك موضوع آخر تحدثت فيه على طاولة الغداء مع السيد عباس وهي القضايا الإقتصادية، التي إقترح أن تكون لديكم مشاريع عملية تشعر الناس بفائدة الإتفاق.

ثم تناول الحديث دينس روس فقال: أريد أن أشير إلى نقطة واحدة، وهي تحسين الأجواء، وقد تحدث الوزير عن الإتصال المباشر بينكم وبين الإسرائيليين، فكلما أسرعتم بتشكيل اللجان في المجالات المختلفة كالأمن والإقتصاد، ستكون هناك فوائد سريعة،وسيكون تأثير ذلك بشكل مباشر على نفسية الإسرائيليين، لأنهم سيشعرون أنكم من خلال هذه اللجان،تعطون دفعة قوية للعلاقات. كذلك فإنها أي اللجان ستكون جزء هاما من عملية شرحالتطورات الجديدة والوضع الجديد. لا بد أن يتم وبسرعة وضع آلية تنفيذ عمل هذه اللجان.

لقد كنت حريصا منذ بدأت مفاوضات أوسلو أن أطلب دائما من الوفد وألح عليه أن لا يكتفي بجلسات العمل المطولة والمملة، بل يختار في أوقات الفراغ أن يجلس إلى الوفد الإسرائيلي بشكل عشوائي وفردي للتحدث بأمور خاصة وشخصية والتخلص من رسميات المفاوضات، وذلك من أجل خلق علاقات إنسانية تلعب دورا في الإقناع والإقتناع. وبالرغم من معرفتي أن مثل هذه العلاقات لها تأثير محدود، وإذا أسيئ استعمالها سيكون لها تأثير سلبي. وهكذا فإنه بمقدار ما يمكن الإستعانة بهذا النوع من العلاقات، بمقدار ما تنعكس سلبيا على نفسية المفاوض غير المحصن.

كنا عند بداية مدريد وواشنطن طلبنا من الوفد الفلسطيني أن يحول بناء علاقات إنسانية وشخصية محدودة مع أعضاء الوفد الإسرائيلي،وذلك للخروج منجمود الرسميات التي يمكن أن تتسم بها هذه تامفاوضات، بسبب كثرة عدد أعضاء الوفود المشاركة، وسيطرة وسائل الإعلام على كل صغيرة وكبيرة فيها، إلا أن الوفد لم يتجاوب مع هذا الطلب خشية ان يتهم بالإتصالات غير المشروعة، أو تبدأ الإتهامات والشكوك بين أعضاء الوفد أنفسهم، الأمر الذي جعلهم يضيعون فرصا كثيرة لتبادل الأفكار بشكل غير رسمي للوصول إلى تفاهم حول القضايا الرسمية المطروحة.

لقد كانت تجربة وفد أوسلو في هذا المضمار ناجحة، فقد سعوا إلى خلق علاقات إنسانية مع الوفد الإسرائيلي، ولكنهم تركوا مسافة واسعة للتصرف الرسمي أثناء المفاوضات، هذه المسافة أتاحت لهم أن يفاوضوا بعناد واضح وصلابة، عندما يتعلق الأمر بالقضايا الأساسية والمشاكل الجذرية، والخطوط الحمراء المرسومة لهم.

وفي هذا المجال فقد كسب الوفد وبسرعة، خبرة جيدة في أسلوب المفاوضات، بحيث كان يعمل على رفع السقف الموضوع له في الوقت المناسب لمثل هذا الموقف، عندما يكتشف أن الوفد الإسرائيلي لا يمكنه القبول بالمطلوب، وذلك من أجل الوصول إلى السقف الذي حددله. وكنت في كثير من الأحيان أستغرب هذا التصرف، ولكن عندما يعود الوفد وأطلع على الحيثيات أؤيد ما جنحو إليه.

كان هذا الأسلوب الذي اتبعه الوفد من العوامل الأساسية، التي ساعدت على الوصول إلى نتائج كثيرة، لم تكن في الحسبان ولم يكن أحد يتوقعها أو يحسب لها حسابا.

لقد كان اللقاء مع بيريز دافئا على الغم من أنه الأول بيننا، إلا أن وجود الوفدين المتعارفين ساعد على مزد من الدفء.ولذلك بدأنا الحديث حول النواحي العملية التي يمكن تنفيذها في محاولة لإعطاء الجماهير ثقة أكثر في الإتفاق.

تحدث بيريز قائلا:" لا بد من بدء الإتصالات ولو بشكل غير رسمي في هذه الفترة للبحث في تشكيل اللجان وتركيبها، وذلك من أجل ضرورة استمرار التفاوض، كذلك لا تنسو تشكيل قوة البوليس وهذه تحتاج إلى توفير الأموال اللازمة لها. بالإضافة إلى ذلك لا بد من توفير الدعم المالي للمؤسسات وخصوصا الجامعات. أما مسألة الدعم المالي بشكل عام فإنني أقترح لجنة أمريكية- أوروبية وتضم الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي. هناك قضايا مستعجلة مثل محطة تحلية مياه في قطاع غزة وإنشاء شبكة تلفونات، وهذه بالذات يمكن أن يوكل أمر بنائها إلى شركة خاصة،ولا بد من الإهتمام بقطاع الإسكان في غزة لحاجة السكان الماسة له سواء من حيث السكن أو تشغيا اليد العاملة. أعتقد أننا سنكون بحاجة إلى شركات استثمار عربية- يهودية. كما أعتقد أننا بحاجة إلى توحيد لغة عملنا مع المجموعة الدولية. ولا أرى ما يمنع من تدريب عناصر في الداخل وإحضار مدربين من الخارج في قطاع غزة وأريحا. إلا أن إمكانية إتخاذ إجراءات بناء الثقة سواء فيما يتعلق بالمعتقلين والمبعدين وفك الحصار عن القدس، سيتم بعد مناقشة الإتفاق في الكنيست. وستبدأ إجراءات غير مرئية لفك الحصار عن القدس. وفي النهاية أقترح تشكيل لجنة ارتباط يومية من أبي علاء وأوري سفير.

إنتهت رحلة أمريكا بالتعريج على نيويورك للقاء الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي، الذي أبدى أبتهاجا لتوقيع الإتفاق الإسرائيلي- الفلسطيني، ولعله أكثر المبتهجين في الوطن العربي لأنه أول من تضامن مع الرئيس الراحل أنور السادات ولم يتخل عنه كغيره من وزراء الخارجية عندما وقع إتفاقية كامب ديفيد.

وقد عرض بطرس غالي مساعدة الأمم المتحدة ومؤسساتها المتخصصة في القيام بدور ما لبناء البنية التحتية الفلسطينية، وأظهر حماساشديدا لإرسال بعثات بحث وتقص إلى الأرض المحتلة لدراسة ما يمكن أن تقوم به هذه المؤسسات على أرض الواقع.

الفصل الرابع عشر

رؤية مستقبلية

كانت نضالات الشعب الفلسطيني المتعددة والطويلة، تهدف إلى استيراد كرامته وحقه ومكانته بين شعوب الأرض في دولة مستقلة. وكانت هذه النضالات تعبيرا صادقا عن رفضه الإنصياع للواقع الذي فرض عليه. ولم تكن إنتقاما بقدر ما كانت تعبيرا عن إرادة جماعية لديه، بعد أن تشرد في بقاع الأرض تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية.

وجائت إنتفاضته في الأرض المحتلة إمتدادا طبيعيا لتلك النضالات، فأظهرته ندا متعادلا للإسرائيلين الذين عارضوا وجوده وسعوا إلى طمسه، فاقتنعوا بعد أن حسمت المعركة.

كان للقاءات والإتصالات السابقة التي تمت في ظروف سرية، دور في توضيح كثير من الأمور، التي كانت غائبة وسط أجواء الصراع الدموي الذي سيطر على المنطقة، وانتهت تلك النظريات والأحلام الزائفة التي طغت على التفكير. فقد طرح الفلسطينيون هدفهم، وفهم الإسرائيليون ذلك الهدف. وكان لا بد من التعامل معه تعاملا أدى في النهاية إلى الجلوس على مائدة المفاوضات، والوصول إلى التوقيع على إعلان مبادئ، والإعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية.

إذا أردنا أن نتحدث عن الرغبات الإسرائيلية مجردة عن الظروف الموضوعية المحيطة، فإن إسرائيل في الأساس قامت على نظرية هيرتزل الذي يقول: "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض". ولا زال شعار حيروت إلى يومنا هذا هو أن الضفتين تشكلان دولة إسرائيل، أضف إلى أن بعض التوراتيين يقول بأن أرض إسرائيل هي من الفرات إلى النيل.

وحتى الجولة السادسة من مفاوضات واشنطن كان الياكيم روبنشتاين يستعمل تعبير يهودا والسامرا عندما يريد أن يتحدث عن الضفة الغربية، وفي أحسن حالاته كان يشير إلى الأراضي المحتلة بكلمة المناطق.

هذا بالنسبة للأرض، أما بالنسبة للشعب، فقد حرمت كلمة فلسطين ومنعت من الإستعمال والتداول، لأن إسرائيل قد حلت محلها وأصبحت هذه الكلمة جزءا من التاريخ القديم، وانسحب هذا على السكان، حيث يشار إليهم بالسكان العرب. ويعني هذا أن هؤلاء السكان يتمتعون بحقوق مدنية ودينية في أحسن الحالات. وكثيرا ما كان يطلق عليهم الطوائف غير اليهودية. وهو التعبير الذي إستعمل في وعد بلفور وفي صك الإنتداب الصادر عن عصبة الأمم. وبقي هذا التعبير حيا، حتى أن إسرائيل بعد أن إحتلت الضفة الغربية وغزة، أنشأت ما أطلقت عليه إسم "الإدارة المدنية" لتؤكد هذا المعنى، وكان ذلك في العام 1978.

وفي الجولات العشرة التي تمت في واشنطن كان المفاوضون الإسرائيليون يرفضون إستعمال تعبير الشعب الفلسطيني، وإنما يصرون على إستعمال تعبير "الفلسطينيين" حتى الإدارة الأمريكية كانت ترفض في ما مضى إستعمال تعبير "الشعب" وبقيت على هذا الحال حتى عام 1988. عندما عقد المجلس الوطني الفلسطيني، أرسل الرئيس بوش رسالة إلى الملك حسن الثاني، تحمل هذه الرسالة هدية إلى المجلس الوطني الفلسطيني. وكانت تلك الهدية تقول بأنه إعتبارا من تاريخه ستستعمل الإدارة الأمريكية تعبير "الشعب الفلسطيني" بدل " الفلسطينيين".

وإذا أردنا أن نستزيد من الشواهد التاريخية نقول بأنه في العام 1921 عندما وصل إلى بريطانيا منيف الحسيني وعيسى العيسى، رفضة تشرشل وزير المستعمرات في ذلك الوقت أن يستقبلهم بصفتهم يمثلون أي شيء. وإنما بصفتهم رجالا محترمين. وفي عام 1985 رفضت تاتشر أن تستقبل المطران إيليا خوري ومحمد ملحم بصفتهما يمثلان منظمة التحرير الفلسطينية وبالتالي يحصل اللقاء.

أذكر كل هذه الشواهد التاريخية والواقعية لأقول بأن الأمر لو ترك لإسرائيل لما إعترفت بشيء ولما قبلت بأي حل، ولذلك وفي مرحلة من مراحل النضال الفلسطيني ومن إجل إجهاض هذا النضال إخترعت روابط القرى، ثم ما لبث أن تخلت عنها بعد أن فشلت في إثبات وجودها وبعد أن لفظها الشعب.

لن نزعم أننا وقعنا على إتفاق مبادئ يقيم دولة فلسطينية مستقلة ولا يوجد بند من البنود يوضح هذه المقولة، وعلينا أن نعترف بأننا إتفقنا على حكم ذاتي إنتقالي يشمل الضفة الغربية وغزة. ومن حيث المبدأ فإن ما يسمى بخيار غزة أريحا لا يعني أن السلطة الفلسطينية ستقتصر عليه. لأن قراءة المبادئ بهذه الطريقة فيها كثير من التجني على الحقيقة كما فيها بعض الحول السياسي. لأننا إذا عدنا إلى الإتفاق نجد مثلا أن المادة الرابعة تقول: يعتبر الطرفان الضفة الغربية وقطاع غزة وحدة تراتبية واحدة يجب المحافظة على وحدتها وسلامتها خلال الفترة الإنتقالية. كذلك إن البند الرابع من المادة الخامسة يقول: يتفق الطرفان على أن لا تجحف أو تخل إتفاقيات المرحلة الإنتقالية بنتيجة مفاوضات الوضع الدائم. وهذا يعني من جملة ما يعني أن المرحلة الإنتقالية لا تتوقف على ما يسمى بخيار غزة أريحا وإنما يشمل كل الضفة الغربية وقطاع غزة حيث سيتم إستلام السلطات المحددة في المناطق كلها في نفس الوقت (المادة 6 من الإتفاق).

وبالإطلاع على المادة السابعة الفقرة "4" من الإتفاق، نرى أنها تنص على إقامة عدد من السلطات الخاصة بالكهرباء والميناء والبيئة والصادرات والأراضي والمياه، كلها سلطات فيها الكثير من سمات السيادة التي نسعى إلى تحقيقها في المستقبل.

إن مكونات الحكم الذاتي الإنتقالي ومقوماته وأولوياته تختلف تماما عن أولويات النظام المستقل. وبالتالي فإن الحاجات الأولوية لمثل كياننا يجب أن تحقق قبل غيرها وأن تكون لها الدرجة الأولى في التطبيق، خاصة وأننا نستلم أرضا محروقة بحاجة إلى البدائيات والأولويات التي يحتاجها كيان يبدأ حياته من الصفر.

إما أن تكون مهمة مجلس الحكم الذاتي هي القيام بالواجبات تجاه السكان نيابة عن إسرائيل، فهذا تدحضه بنود كثيرة في الإتفاق سبق أن شرحناها وتناولناها بالتفصيل.

ومعروف أنه لا تفصل الشعب الفلسطيني عن الشعب الإسرائيلي هوة حضارية واسعة، كما لا توجد مسافات في المستوى الثقافي بين الشعبين،

لذلك فإن التقارب في المستوى الثقافي والحضاري بينهما يحول دون أية نظرة فوقية يمكن أن تدور بخلد الإسرائيليين. أما على المستوى الإقتصادي فإن الطاقات الفلسطينية التي سيتاح لها -إذا حصل- المساهمة في مشروع السلطة الفلسطينية ستجعل من هذا الوطن منارة إزدهار، قد لا تستطيع منافسة الإسرائيليين ولكن لا تبتعد عنهم كثيرا.

وعلينا أن لا ننسى عند مناقشة موضوع السيادة أن نأخذ بعين الإعتبار طبيعة المفاوضات والصراع الفلسطيني- الإسرائيلي. فهذا صراع خاص وللسيادة معنى خاص. إن السيادة التي يتم بحثها هي سيادة نسبية أصلا، ومن طبيعة خاصة ترتبط ليس بمبدأ الحقوق القومية السيادية بقدر ما ترتبط بخلق وجود قومي غير موجود أصلا. كذلك فإن آلية تطبيق الإتفاق، تدفع بعوامل السيادة المتعددة إلى الظهور والتبلور أكثر وأكثر حتى تتحقق بالكامل.

قد يكون تفصيل معنى الحقوق السياسية المشروعة ترك للمفاوضات، ولكن العبارات وردت في أكثر من مكان، حيث تقول المقدمة: "الإعتراف بحقوق الشعبين السياسية والمشروعة"، كذلك فإن الفقرة الثالثة من المادة الثالثة من إتفاق إعلان المبادئ تنص على: "أن الإنتخابات ستشكل خطوة تمهيدية إنتقالية هامة نحو تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومتطلباته العادلة".

إننا ونحن نتكلم عن إعلان مبادئ، وليس عن إتفاقية تفصيلية، نعتقد أن هذه المسألة المطروحة قد إستوفت حقها، بخاصة وأن الإتفاق يستند في الأساس على الشرعية الدولية وينص على تطبيقها.

إن قيام كيان جديد في الشرق الأوسط لأول مرة في تاريخ الشرق الأوسط، يتطلب رؤية شمولية لمستقبل هذا الكيان، ليس من حيث نشأته وشكله وتطوره وعلاقاته بإسرائيل فحسب، بل وجود هذا الكيان في قلب الأمة العربية وعلاقاته مع جيرانه أولا وعلاقاته مع العرب الآخرين ثانيا، بحيث تحسب بشكل دقيق تلك العلاقات المختلفة والمعقدة، حتى لا يكون لقمة سائغة للإسرائيليين وحتى لا يخرج من جلده العربي الذي لا يمكن له أن يستغني عنه.

لو ألقينا نظرة على إتفاق إعلان المبادئ لأمكننا أن نلخص المواضيع التي تحتاج إلى العمل الدؤوب لتحقيقها في السنتين القادمتين، وبمقدار ما كان التطبيق سليما ومبنيا على أسس واضحة وراسخة، بمقدار ما أمكننا أن نعبر إلى بقية القضايا التي ستواجهنا في المرحلة النهائية. تلك القضايا التي ستتوج نضالنا بالإستقلال وإيجاد حل عادل لمشكلة اللاجئين. ينسجم ويتطابق مع الشرعية الدولية. وبطبيعة الحال فعندما نتحدث عن الإستقلال فإننا نفترض إنهاء مشاكل القدس والمستوطنات والحدود والعلاقات مع الجيران والقضايا الأمنية.

إن إسرائيل تسعى إلى ضم أجزاء من الضفة والقطاع، وستحاول السيطرة على المياه وستعمل على ضم القدس سواء كانت نتيجة الحل دولة مستقلة أو كونفدرالية ولكن علينا أن نوضح نقطة تبدو للكثيرين غامضة وهي تعبير "الكونفدرالية". إن الكونفدرالية لها تعريف واحد في القانون الدولي يقول: "الكونفدرالية إتفاق تعاقدي بين كيانين مستقلين أو أكثر". وهذا يعني أن الكونفدرالية والدولة المستقلة ليس بديلا عن بعضهما البعض، وإنما تنطلق الكونفدرالية من الدولة المستقلة وليس لها طريق آخر. ولذلك علينا أن لا نربط بين رغبات إسرائيل بالضم والسيطرة وبين الخيار الذي سيتم في النهاية وهو الكونفدرالية. ومن هنا فأيا كان هذا الخيار فإن من واجبنا أن نناضل حتى يطبق القرار 242 بشكل كامل، ليكون الإنسحاب كاملا من كل الأراضي التي إحتلت عام 1967، وأن سيطرة الكيان الفلسطيني على كل ثرواتها بما فيها المياه.

وعلينا أن نميز عند الحديث عن مشكلة اللاجئين بين مسألتين الأولى أشكال الحلول التي قد نصل إليها نتيجة المفاوضات التي ستبدأ بعد سنتين. والمسألة الثانية هي الواجبات الملقاة على عاتق الدولة الفلسطينية تجاه اللاجئين، وهذه مسألة أخرى تخص الجانب الفلسطيني لتخفيف معاناة شعبنا في اللجوء إلى حين حل المشكلة وهذه الواجبات تتخلص بحق المواطنة لكل فلسطيني أينما كان، ومن حق الرعاية الإجتماعية من تعليم وصحة وتقاعد.. وكذلك تنظيم علاقات الجاليات الفلسطينية وضمان مصالحهم مع الدول المضيفة إلى أن يتم حل المشكلة بالمفاوضات مع إسرائيل.

لقد رفض الإسرائيليون في البداية تحديد مواضيع المرحلة النهائية واقترحوا أن يتقدم كل طرف بالموضوع الذي يراه مناسبا على طاولة المفاوضات دون إلتزام من الطرف الآخر. إلا أن تحديد هذه المواضيع كما جاء في الإتفاق، بالإضافة إلى أنه يلزم الإسرائيليين بضرورة بحثها، فهو يمكن أن يشكل ملامح المرحلة النهائية بخاصة عندما يتحدث عن الحدود والعلاقات مع الجيران والترتيبات الأمنية والمسائل ذات الإهتمام المشترك. ناهيك عن ثلاثة مسائل هامة وهي اللاجئون، المستوطنات، والقدس.

ومعروف أن القدس قد ضمت بقرار من الكنيست إلى أرض إسرائيل، إلا أن مجرد وضعها على جدول أعمال المرحلة النهائية فهذا يعني من وجهة النظر الإسرائيلية أنها مسألة مختلف عليها وإن قرار الضم قد إنتهى. إلا أننا يجب أن نعلم أن القضايا هذه تحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل للوصول إلى حلول بشأنها، وتحتاج إلى نضال وإلى صبر. فالمخاطر قائمة ولم يعرف التاريخ إتفاقات بدون مخاطر.

تعهدت الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة بان تقدم الكيان الفلسطيني دعما إقتصاديا ليتمكن من النهوض والوقوف على قدميه. وما أن إنتهت مراسم الإحتفال بالتوقيع على إعلان المبادئ حتى بادرت أمريكا بدعوة الدول الغنية لمؤتمر في واشنطن لتحقيق هذه الغاية. وقد تم عقد هذا المؤتمر واتخذ قرارا بتقديم مليارين وستمائة مليون دولار للكيان الفلسطيني تصرف على خمس سنوات. ولكن هناك شرط ضروري للصرف يتعلق بطبيعة المؤسسات الإقتصادية التي سينشئها هذا الكيان وعلاقة هذه المؤسسة بغيرها من مؤسسات الكيان أو المنظمة. مع العلم أن شروط البنك الدولي والدول المانحة تستجوب نظاما صارما للصرف بحيث تذهب الأموال مباشرة إلى المشاريع دون وسطاء حتى يطمئن كل المانحين إلى أن أموالهم ذهبت في الطريق الصحيح.

إن ما يفترضه العقل السليم والمصلحة العامة هو أن نستقطب الكفاءات العلمية والإقتصادية والخبرات المالية وغيرها في المجالات كافة لتشكيل المؤسسة أو المؤسسات المطلوبة للنهوض بالوضع الإقتصادي في الأراضي التي ستحرر، ويترك لهؤلاء الأشخاص والمؤسسات مطلق الحرية في التصرف

ما دمنا نختارهم من أصحاب السمعة الطيبة والرجال الذين هم فوق مستوى الشبهات.

وهناك مسألة أخرى ترتبط بنقل السلطة من الإسرائيليين إلى الفلسطينيين، وهذه المسألة تعتبر إمتحانا صعبا لنا، لأنها تفترض حسن إختيار الكفاءات الفنية والعملية والتقنية والإدارية التي ستحل محل الإسرائيليين الذين قاموا بتسيير الدوائر والمؤسسات طيلة ستة وعشرين عاما. إضافة إلى ذلك فإنه لا بد من حسن إختيار قيادة السلطة من الشخصيات المرموقة والمعروفة بوطنيتها ونزاهتها والتي تمثل إلى حد ما كل شرائح المجتمع، تمهيدا لإجراء الإنتخابات التي يفترض أن تحصل خلال ثلاثة أشهر من إنتهاء الإنسحاب من قطاع غزة ومنطقة أريحا. هذا إذا لم يحصل أو يقع ما يحول دون تحقيق الإنتخابات لأسباب ليست موضوعية.

لا أعتقد ولا يصح أن نعتقد أن الشعب الفلسطيني يمكن أن يختار أسلوبا لحياته غير الأسلوب الديمقراطي الحر، الذي يستند إلى حرية الفكر والإعتقاد والكلمة، كما يعتمد الإقتصاد الحر نمطا لحياته. وهذا يتطلب تعددية الأحزاب والإتجاهات والعقائد، لأنه يثبت بما لا يقبل مجالا للشك بأن فكرة الحزب الواحد أو الحزب القائد أو الإقتصاد الموجه والمرتبط بالحكومة كلها سقطت وعفا عنها الزمن ونبذتها كل الشعوب في هذه الحقبة من نهاية القرن العشرين. والشعب الفلسطيني الذي قارع الإحتلال عقودا من الزمن من أجل الحصول على حريته لا يمكن أن يسمح لحاكم كائنا من كان أن يحرمه من هذه الحرية.

إن قيادات وكوادر الكيان الفلسطيني يجب أن تكون في معظمها أو في غالبيتها العظمى إن لم تكن كلها، من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة، لأسباب عملية تتعلق بطبيعة المهمة التي سيقومون بها ونجاح هذه المهمة، ولأسباب نفسية ومعنوية تنسحب على تركيبة مجتمعنا الذي لا يختلف عن المجتمعات المحيطة من حيث أساس علاقاته الإنسانية والإجتماعية، ولأسباب سياسية، تقتضي وجود التكامل بين الداخل والخارج بحيث يكون هناك إرتباطا عضويا بين القيادات على أن تتولى قيادة الخارج مهمة العلاقات الدولية، كما تهتم بالقضايا الأخرى المتعلقة بالمرحلة النهائية وبخاصة مشكلة اللاجئين التي ستبقى بحاجة إلى حل لفترة لا نعرف مداها.

إنني أعرف صعوبة مثل هذه الأفكار على الكثيرين الذين يستعدون لتبوء المناصب العليا في الكيان الفلسطيني، والذين يمنون النفس بمواقع رفيعة مكافأة لهم على سنوات النضال الطويلة. ولكنها أفكار لا تلزم أحدا بمقدار ما هي رؤية شخصية لمستقبل وطن يتطلب قدرا من الشفافية والبحث عن الأصلح والأنسب للشعب والوطن.

إن الغصات والآلام التي تعرض لها البعض، من جراء سنوات اللجوء الطويلة وأعوام الغربة القاسية والصعبة، يجب أن لا تحرف أنظارنا عن الحقيقة القائلة بأن الوطن الفلسطيني جزء لا يتجزأمن هذه الأمة، وأن علينا أن لا نخرج من جلودنا، وأن نذكر ونتذكر بأن الغصات والآلام تعادل الدفء والحنان، وهي لا تضاهي التضحيات التي قدمت على تخوم الوطن ومن أجله.

ويبقى سؤال كبير حول إمكانية نجاة الإقتصاد الفلسطيني من فخ التبعية للإقتصاد الإسرائيلي والحاصل حاليا، إلى الإرتباط بالسوق العربية والإقتصاد العربي. وللإجابة على هذا السؤال فإن الشعارات والقوالب الجامدة والأمنيات لا تنفع ولا تفيد، ولا بد من توفير شروط ذاتية وموضوعية يتم التعامل بها بمنتهى الدقة والحكمة والمسؤولية للوصول إلى الهدف المنشود. لأنه علينا أن نعترف بأن الوضع الحالي للإقتصاد الفلسطيني -هذا إن أمكن أن نسمي ما لدينا إقتصادا- مرتبط إرتباطا محكما بالإقتصاد الإسرائيلي ةتابع له تبعية -تكاد- تكون مطلقة. وإذا توفرت النوايا الطيبة لدى الإسرائيليين لرفع مستوى شعبنا المعيشي، فيجب علينا أن لا نفترض توفر هذه النوايا للإنعتاق من القبضة الإقتصادية الإسرائيلية، التي ترى في السوق الإستهلاكية الفلسطينية، على ضيق مساحتها، واليد العاملة الفلسطينية -لتوفرها- والسوق العربية التي تأتي بالتبعية أو التتابع، ترى في جميع ذلك مجالات هامة للإعتماد عليها في إزدهار الإقتصاد الإسرائيلي واستمراره وتطوره، وبالتأكيد فإن إسرائيل تطمع في تأمين المجال الحيوي الذي تطمع فيه كل دولة من الدول المتقدمة التي تبحث عن الأسواق الواسعة والأيدي العاملة الرخيصة.

ونعود إلى السؤال الكبير حول إمكانية الإنعتاق من فخ التبعية للإقتصاد الإسرائيلي، لنقول بأن هذه مهمة فلسطينية، ولكنها في الأساس مهمة

عربية. وبمقدار ما نتحمل نحن الفلسطينيين مسؤولية بناء على المؤسسات المختصة وجلب رؤوس الأموال والتعامل الحضاري مع العالم على أسس عملية وفنية وتقنية حديثة، بمقدار ما نتحمل أيضا مسؤولية الإرتباط الوثيق مع العالم العربي القريب والبعيد. هذا الإرتباط الذي يتطلب التكامل في إطار المصالح المشتركة.بخاصة ونحن مضطرون أن نمر بمراحل أربع، تبدأ بالإنفصال التدريجي عن الإقتصاد الإسرائيلي، وتمر بالتعاون غير المتكافئ مع هذا الإقتصاد، وتعبر إلى التعاون المتكافئ وتنتهي بالتكامل الإقتصادي العربي.

نحن نعرف أن المهمة صعبة ومعقدة، ولكن لو عرف كل طرف مسؤوليته وقام بها، فمما لا شك فيه أنه لا ينتهي القرن العشرون إلا وتكون الأوضاع الإقتصادية في المنطقة في أحسن حالاتها .. إلا أن هذا يتطلب بحثا جديا في السوق العربية المشتركة؟

وهذا أيضا يقودنا إلى سؤال كبير وهو كيف يمكن إستكمال الإنجاز السياسي الفلسطيني ونقله إلى إستقلال فعلي؟

لا يوجد أي وجه شبه بيننا وبين أي شعب حصل على حكم ذاتي، ثم وصل إلى الإستقلال. كما لا يوجد أي وجه شبه بيننا وبين أي شعب أستوطن الآخرون أرضه ثم وصل إلى الإستقلال.

إن الكيان الفلسطيني وليد يخرج من رحم الإشتباك مع الكيان الإسرائيلي الباقي والمهيمن والمتمكن، ثم يسعى لكي ينفصل عنه ويبني لنفسه كيانا مستقلا ويسيج هذا المكان بسياج متين غير قابل للإختراق والتلف.

إن نصوص الإتفاق التي تقرأ على أنها زرعت أوتاد الإستقلال، لا تكفي لبناء الإستقلال لأن موازين القوى هي التي تحكم بالنتائج، والقوة أهم من القانون، وإن تكلم العالم كله عن سيادة القانون وعبر عن إحترامه لها. إن الأماني والآمال مشروعة ومطلوبة، ولكن الواقع هو الذي يفرض نفسه وهو الذي يعتد به، وإن كان من حقنا أن نسعى إلى تغييره، فلا بد من توفر شروط معينة:

- إن الكيان الجديد يجب أن يمثل كل أبناء الشعب الفلسطيني أينما كانوا ويعبر عن مصالحهم، حق المواطنة المقدس لكل فلسطيني أينما كان. هذه ليست دولة الضفة والقطاع إنها دولة فلسطين.
- أن يشعر اللاجئون أن لهم مصلحة في الإرتباط بهذه الدولة، من خلال الهوية ومن خلال حماية مصالحهم العامة، إلى حين إنتهاء المفاوضات حول وضعهم النهائي.
- لا بد لنا، قبل كل شيء أن نحترم في كياننا الجديد حقوق الإنسان، وأن نقيم هذا الكيان على أسس الديمقراطية الحديثة والحرية التامة والتعددية السياسية والإقتصاد الحر، وهذا لا يعني عدم وجود قطاع عام لبعض المجالات الضرورية، والإنتقال من عقلية الثورة إلى عقلية الدولة في بناء المؤسسات المتخصصة وغير ذلك من الأدوات والعناصر والأشخاص المشهود بكفاءتهم وأمانتهم وجدارتهم..

لقد إستعملت بعض الدول شعار «الولاء قبل الكفاءة»، وقد أدى هذا الشعار بتلك الدول إلى الكوارث والمصائب.

- لا يجوز الإستهانة بالعلاقة مع الدول العربية المجاورة، بل لا بد من الإرتباط الوثيق معها على المستوى السياسي والإجتماعي والثقافي والحضاري، بشكل يجعلها سندا قويا لتطوير هذا الكيان نحو الإستقلال، وإزالة كل أسباب التنافس أو التنافر معها، مهما كانت. بل إن هذا الكيان بحاجة إلى علاقات وطيدة مع كل الدول العربية التي ستسهم إسهاما هاما في بناء هذا الكيان.
- إن بناء العلاقات المتينة مع دول العالم لها أثر مباشر على تبني هذا الكيان وتقديم إمكانات النمو والبقاء والتطور له، ولذلك فإن من الضروري أن يبني هذا الكيان شبكة علاقات دولية وقوية تشمل القضايا الإقتصادية والثقافية والتعامل الفني بشكل حضاري يبرز وجه شعبنا وحقيقته.
- وأخيرا لا بد من بناء علاقات مع دولة إسرائيل قائمة على الثقة المتبادلة حتى يطمئن الإسرائيليون إلى هذا الجار الجديد والعدو القديم، ومدى قدرته على التحول من العداء إلى التطبيع، دون إفراط أو تفريط، وبخطوات تتوازى وتتماشى مع الخطوات العربية الأخرى.

قائمة الملاحق

1. نص رسالة عرفات لهولست (1993/9/9) بخصوص إسهام الشعب الفلسطيني في البناء وتشجيعه لعملية السلام ونبذ الإرهاب.

2. رسالة عرفات لرابين (1993/9/9). للإعتراف بحق دولة إسرائيل في الوجود بسلام.

3. رسالة رابين لعرفات بالإعتراف بالمنظمة (1993/9/9).

4. رسائل بخصوص الإعتراف المتبادل وتعهد حول القدس الشرقية.

5. إتفاق إعلان المبادئ في أوسلو (1993/8/9) والتوقيع بالأحرف الأولى:
   - أبو علاء.
   - حسن عصفور.
   - أوري سفير.
   - يوئيل زينغر.

6. إتفاق إعلان المبادئ في واشنطن (1993/9/13) مع التصحيحات التي تمت في آخر لحظة. وتوقيعات التصحيحات من قبل يوئيل زينغر وهائل الفاهوم بالأحرف الأولى، ثم التوقيع النهائي من قبل: أبومازن- بيريز- كريستوفر- كوزيريف.

1. نص الرسالة التي وقعها الرئيس عرفات لتشجيع التوجه لدى الشعب الفلسطيني نحو الإسهام في تحقيق السلام والتعمير والبناء ونبذ الإرهاب

سعادة وزير خارجية النرويج
جوهان جورغن هولست

أود أن أوكد لكم أن تصريحاتي العلنية ستتخذ المواقف التالية عند توقيع إعلان المبادئ.

على ضوء العهد الجديد الذي ينبئ به توقيع إعلان المبادئ فإن منظمة التحرير الفلسطينية تشجع الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة وتدعوه إلى المشاركة في التدابير التي تؤدي إلى التطبيع ورفض العنف والإرهاب والإسهام في تحقيق السلام والإستقرار والمشاركة الإيجابية في التعمير والتنمية الإقتصادية والتعاون.

المخلص ياسر عرفات
رئيس منظمة التحرير الفلسطينية
93/9/9

2. فيما يلي ترجمة النص الحرفي للرسائل المتبادلة بين الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين حو إتفاق الإعتراف المتبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل.

1992/9/9

السيد رئيس الوزراء

إن توقيع إعلان المبادئ مؤشر على مرحلة جديدة في تاريخ الشرق الأوسط.
ومن هذه القناعة فإنني أود أن أؤكد على الإلتزامات التالية:

تعترف منظمة التحرير الفلسطينية بحق دولة إسرائيل في أن توجد بسلام وأمان.
تقبل منظمة التحرير الفلسطينية قراري مجلس الأمن 242 ، 338 .

تلتزم منظمة التحرير الفلسطينية أن توقيع إعلان المبادئ يشكل حدثا تاريخيا. كما يدشن حقبة جديدة للتعايش السلمي الخالي من العنف وجميع الأعمال الأخرى التي تهدد السلام والإستقرار. وبناء عليه فإن المنظمة تنبذ اللجوء إلى الإرهاب وأعمال العنف الأخرى. وسوف تتحمل مسؤوليتها إزاء جميع عناصر وأفراد منظمة التحرير الفلسطينية من أجل ضمان إمتثالهم ولمنع المخالفات والمخالفين للنظام.

وبالنظر إلى آفاق هذه المرحلة الجديدة وتوقيع إعلان المبائ واستنادا إلى الموافقة الفلسطينيةعلى قراري مجلس 242 ،338 فإن المنظمة تؤكد أن تلك المواد الواردة في الميثاق والتي ترفض حق إسرائيل في أن توجد. وكذلك بنود الميثاق التي لا تنسجم مع الإلتزامات الواردة في هذه الرسالة تصبح الآن غير عاملة وليست سارية المفعول. وتبعا لذلك فإن منظمة التحرير الفلسطينية ستقوم بعرض الأمر على المجلس الوطني الفلسطيني من أجل الحصول على الموافقة الرسمية على التغييرات الضرورية في الميثاق الوطني والمتصلة بذلك.

ياسر عرفات
رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

.3

السيد ياسر عرفات
رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

تجاوبا مع رسالتكم المؤرخة 1993/9/9 أود أن أؤكد لكم بأنه على ضوء الإلتزامات الواردة في رسالتكم فإن حكومة إسرائيل قد قررت أن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل للشعب الفلسطيني، وأن تشرع في المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ضمن إطار عملية السلام في الشرق الأوسط.

1993/9/9

إسحاق رابين
رئيس وزراء إسرائيل

4. رسائل بخصوص الإعتراف المتبادل، وتعهد حول القدس الشرقية.

Permanent Observer Mission
of Palestine
to the United Nations

البعثة الراقبة الدائمة
لفلسطين
لدى الأمم المتحدة

The Permanent Observer Mission of Palestine to the United Nations presents its compliments to the Permanent Mission of Norway to the United Nations and will highly appreciate it if you will kindly deliver the enclosed letter to His Excellency, Mr. Johan Jorgen Holst, Foreign Minister of Norway.

Please accept the assurances of our highest consideration.

New York, 29 September 1993

The Permanent Mission of Norway
to the United Nations
825 Third Avenue, 39th Floor
New York

Royal Ministry of Foreign Affairs
The Minister of Foreign Affairs

Oslo, 26 October 1993

Chairman Yassir Arafat
The Palestine Liberation Organization
Tunis
Tunisia

BY FAX NO. 095-216-1-787.174

Dear friend

I want to confirm to you that I have now received the letter on East-Jerusalem as agreed between the parties, duly signed by Israeli foreign minister Shimon Peres.

I shall bring the letter with me to the meeting in Paris on 5 November and show it to your representatives as agreed.

Let me also extend to you an invitation to visit Norway at a time which is convenient to you. I know that you have a very busy schedule, but it would give us great pleasure to be able to receive you here.

With warm regards,

Johan Jørgen Holst

MINISTER OF FOREIGN AFFAIRS

שר החוץ

749503

Jerusalem, October 11 1993

Dear Minister Holst,

I wish to confirm that the palestinian institutions of East Jerusalem and the interests and well-being of the palestinians of East Jerusalem are of great importance and will be preserved.

Therefore, all the palestinian institutions of East Jerusalem, including the economic, social, educational and cultural, and the holy Christian and Moslem places, are performing an essential task for the palestinian population.

Needless to say, we will not hamper their activity; on the contrary, the fulfilment of this important mission is to be encouraged.

Sincerely,

Shimon Peres
Foreign Minister of Israel

His Excellency
Johan Jorgen Holst
Foreign Minister of Norway

September 9, 1993

Mr. Chairman,

In response to your letter of September 9, 1993, I wish to confirm to you that, in light of the PLO commitments included in your letter, the Government of Israel has decided to recognize the PLO as the representative of the Palestinian people and commence negotiations with the PLO within the Middle East peace process.

Sincerely,

Y. Rabin

Yitzhak Rabin
Prime Minister of Israel

10.9.93

Yasser Arafat
Chairman
The Palestinian Liberation Organization

5. إتفاق إعلان المبادئ في أوسلو 1993/8/9
بالأحرف الأولى: أبو علاء- حسن عصفور- أوري سفير- يوئيل زينغر

Final agreed draft of August 19, 1993

DECLARATION OF PRINCIPLES ON
INTERIM SELF-GOVERNMENT ARRANGEMENTS

The Government of the State of Israel and the Palestinian team (in the Jordanian-Palestinian delegation to the Middle East Peace Conference) (the "Palestinian Delegation"), representing the Palestinian people, agree that it is time to put an end to decades of confrontation and conflict, recognize their mutual legitimate and political rights, and strive to live in peaceful coexistence and mutual dignity and security and achieve a just, lasting and comprehensive peace settlement and historic reconciliation through the agreed political process.
Accordingly, the two sides agree to the following principles:

Article I

AIM OF THE NEGOTIATIONS

The aim of the Israeli-Palestinian negotiations within the current Middle East peace process is, among other things, to establish a Palestinian Interim Self-Government Authority, the elected Council, (the "Council") for the Palestinian people in the West Bank and the Gaza Strip, for a transitional period not exceeding five years, leading to a permanent settlement based on Security Council Resolutions 242 and 338.
It is understood that the interim arrangements are an

Article XVI

ISRAELI-PALESTINIAN COOPERATION CONCERNING REGIONAL PROGRAMS

Both parties view the multilateral working groups as an appropiate instrument for promoting a "Marshall Plan", the regional programs and other programs, including special programs for the West Bank and Gaza Strip, as indicated in the protocol attached as Annex IV.

Article XVII

MISCELLANEOUS PROVISIONS

1. This Declaration of Principles will enter into force one month after its signing.
2. All protocols annexed to this Declaration of Principles and Agreed Minutes pertaining thereto shall be regarded as an integral part hereof.

Done at Washington, D.C., this ___ day of _____, 1993.

For the Government of Israel For the Palestinian Delegation

Witnessed By:

The United States of America The Russian Federation

Done at Washington, D.C., this ____ day of _____, 1993.

Subject approval

For the Government of Israel

For the Palestinian Delegation

Witnessed By:

The United States of America

The Russian Federation

6. إتفاق إعلان المبادئ في واشنطن (1993/9/13) مع التصحيحات التي تمت في آخر لحظة، وتوقيعات التصحيحات من قبل يوئيل زينغر وهائل الفاهوم بالأحرف الأولى، ثم التوقيع النهائي من قبل: أبو مازن- بيريز- كريستوفر- كوزيريف.

DECLARATION OF PRINCIPLES ON
INTERIM SELF-GOVERNMENT ARRANGEMENTS

The Government of the State of Israel and the ~~Palestinian~~ P.L.O. team (in the Jordanian-Palestinian delegation to the Middle East Peace Conference) (the "Palestinian Delegation"), representing the Palestinian people, agree that it is time to put an end to decades of confrontation and conflict, recognize their mutual legitimate and political rights, and strive to live in peaceful coexistence and mutual dignity and security and achieve a just, lasting and comprehensive peace settlement and historic reconciliation through the agreed political process.

Accordingly, the two sides agree to the following principles:

2. All protocols annexed to this Declaration of Principles and Agreed Minutes pertaining thereto shall be regarded as an integral part hereof.

DONE at Washington, D.C., this thirteenth day of September, 1993.

For the Government of Israel:

Shimon Peres

For the P.L.O.:

Witnessed By:

The United States of America

The Russian Federation

DONE at Washington, D.C., this thirteenth day of September, 1993.

For the Government of Israel:

Shimon Peres

For the P.L.O.:

Witnessed By:

Warren Christopher

The United States of America

The Russian Federation

المؤلف

الإسم: محمود عباس (أبو مازن).

مكان وتاريخ الولادة: صفد 1935.

الحالة الإجتماعية: متزوج وله ثلاثة أبناء هم: مازن، ياسر، طارق، وله أربعة أحفاد.

الدراسة:

- أنهى دراسته الإبتدائية في صفد، ثم هاجر مع عائلته إلى سوريا إثر نكبة عام 1948 حيث أكمل دراسته هناك.
- يحمل إجازة في الحقوق من جامعة دمشق.
- تحصل على الدكتوراه في التاريخ من معهد الإستشراق في موسكو.

المؤلفات:

- له 11 مؤلفا منشورا في تاريخ الصراع العربي الصهيوني إضافة إلى العديد من المقالات.
- يعمل على إعداد يوميات القضية الفلسطينية وقد أنجز منها ما يزيد على 40 مجلدا بمعدل 300 صفحة ولم ينشر شيء منها بعد.

النشاط السياسي:

- بدأ نشاطه السياسي في منتصف الخمسينات بتأسيس جمعية فلسطينية في سوريا عام 1954.
- شارك في نهاية الخمسينات في تأسيس حركة فتح وكان من القلائل الذين إتخذوا قرار إنطلاق الثورة الفلسطينية عام 1965.
- عضو المجلس الوطني الفلسطيني منذ دخول حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) لمنظمة التحرير الفلسطينية.

- عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية/ رئيس دائرة العلاقات القومية والدولية منذ العام 1980. إضافة إلى العديد من المسؤوليات الأخرى مثل:
  - رئيس الجانب الفلسطيني في اللجنة الفلسطينية- الأردنية المشتركة.
  - رئيس الجانب الفلسطيني في اللجنة الفلسطينية- السوفييتية (فيما بعد- الروسية) المشتركة.
  - رئيس إتحاد جمعيات الصداقة الفلسطينية.
- أول من طرح فكرة الإتصال مع القوى اليهودية المحبة للسلام داخل إسرائيل وخارجها ضمن حركة فتح.
- ساهم بفعالية في تبني المجلس الوطني الفلسطيني 1977 لقرار فتح الحوار مع القوى اليهودية والإسرائيلية التي تدعم الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.
- بعد إطلاق المجلس الوطني الفلسطيني لمبادرة السلام الفلسطينية سنة 1988. أشرفت دائرته على كافة الندوات واللقاءات التي تمت مع القوى الإسرائيلية واليهودية في أوربا وأمريكا وغيرها.
- منذ إنطلاق المفاوضات العربية- الإسرائيلية عام 1991 تولى رئاسة لجنة متابعة المفاوضات بشقيها الثنائي والمتعدد.